

مركز دراسات الدكتوراه : "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"

تكوين الدكتوراه : التاريخ والتراث

محور : الدراسات الإسلامية

مختبر : الخطاب والإبداع والمجتمع والأديان

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية

في موضوع :

تشكل الفرق اليهودية وامتداد "المسيحانية" منذ عهد النبي عيسى
عليه السلام إلى ما بعد ظهور الإسلام: فرقة الغيورين (الزيلوت) أنموذجا

اسم الأستاذة المشرفة:

الدكتورة حنان السقاط

إعداد الطالب الباحث:

بدر الحمومي

تاريخ المناقشة : 08 أكتوبر 2021

لجنة المناقشة :

الدكتور الأستاذ أحمد فرحان رئيسا

الدكتور الأستاذ سعيد كفايتي عضوا

الدكتور الأستاذ محمد حاتمي عضوا

الدكتورة الأستاذة حنان السقاط مشرفة ومقررة

السنة الجامعية : 2020-2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ}

[سورة الأنبياء، الآية : 105]

إهداء

إلى الذين خذلهم الزمن ...

إلى الذين وثقوا في الإنسان ...

إلى الذين خابت آمالهم ...

نتم أحق بالإهداء، لأنكم أنتم الغاية من وراء، بعث الرسل والأنبياء.

[رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي
الْقُلُوبِ، لِأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمَى بِالْبَصَرِ، وَأَرْسَلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ].
(لوقا 4: 18)

شكر وتقدير

تحياتي والعبر

وتحري الدقة في التعبير

لتقديم الشكر الجزيل والتقدير

بعد حمد الله العلي التقدير

لكل من أعان على التحرير

وقدم الكثير ليكون العمل في أحسن تصوير

أساتذتي المرموقين بجامعة سيدي محمد بن عبد الله كل باسمه وصفته ... شكرا.

عائتي الكريمة داخل وخارج الوطن وكل فرد فيها باسمه وصفته ... شكرا.

إدارة مؤسسة الكلية بكل عناصرها ... شكرا.

الزملاء والأصدقاء المقربون ... شكرا.

مقدمة

لعل العشر سنوات من القراءة والبحث في موضوع المسيحية المبكرة كانت كافية لإرجاعي لنقطة الصفر. إن البحث العلمي مليء بالمفاجآت ولولا تقديري الكبير له لاعتبرته من الغادرين. كيف لا والعلوم الحقّة مثلاً لم تحدد مصدر كثير من الظواهر كالأمراض على سبيل المثال ولا الوسيلة اليقين لمعالجتها وآخرها كان فيروس كورونا كوفيد 19. كيف يتوقع إذن من الباحث في العلوم الاجتماعية - التي لا تخضع للتجربة ولا يمكن السيطرة عليها لارتباطها بالإنسان - أن يتيقن من مكان وزمن بروز جماعة معينة وحقيقة علاقتها بأحد الأنبياء؟ فالمؤرخون أنفسهم الذين عاصروا كثيراً من الأحداث التاريخية لم ينقلوا بدقة ما رأته أمهات أعينهم.

لقد بدأت البحث في قضية الزيلوت قبل أن ألتحق بسلك الإجازة. لقد كان الأمر هواية بالنسبة لي. فكنت أقرأ الروايات المتعلقة بالموضوع كشفرة دافنشي، أو أشاهد فيلماً كالإغراء الأخير للسيد المسيح، أو أقرأ بحثاً صحفياً ككتاب الإرث المسيحي. وبدأت شيئاً فشيئاً أتوجه إلى الدراسات الأكاديمية. فافتتنت بجماعة الزيلوت ورأيتها أمراً ذا مغزى ضمن التاريخ اليهودي الروماني. فكيف لأمة من أهل الكتاب أن تقبل على نفسها احتلالاً وثنيا لأراضيها التي وهبها الله ﷻ لها دون أن ينطق فيها رجل رشيد؟ كما استهوتني فكرة ربط أي علاقة ولو سطحية بين السيد المسيح والفرقة، لأن وجود نبي كان ليزكي خطوات المقاومة اليتيمة بفلسطين آنذاك.

لقد كنت متحمساً جداً لقضية ثورية عيسى ﷺ ورفضت كل ما قيل عنه من خنوع وخضوع للرومان. وذلك لأنني استحسنتم صورة القائد الشجاع المرعب للعدو الغاصب من أمثال: الحسين والخطابي وتشّي جيفارا. لقد كانت تلك صورة لامعة استولت على تفكيري.

لكن بعد تأمل سنين تبين لي أنه ليس من الضروري أن يلجأ امرؤ لحمل السلاح ليعتبر ثائراً ملهماً. ودليل ذلك هو التحولات الاجتماعية التي عرفتها كثير من المجتمعات دون الحاجة إلى تغيير جذري في المنظومات. وتعد ألمانيا أقرب مثال على ذلك. فلم يعرف إليها العنف طريقاً منذ التسعينات ولكنها بنت نفسها وحققت نهضة حضارية.

لقد تفاجأت بعد سنين من مناقشة بحث الماجستير المعنون "المسيح والفكر الثوري". فبعد نشره كتاباً عنونته "المسيح ثائراً" لاحظت أنني أراجع عن الاستفاضة في الإجابة على السؤال الإشكالي الذي طرحته: هل المسيح كان ثائراً ضد روما؟ كانت الإجابة نعم وبالأدلة وكنت أنوي التوسع في أطروحة الدكتوراه فقط في التاريخ اليهودي والمسيحي في تلك الفترة لأؤكد على النظرية السابقة وأسبكها بعناية أكثر. لكن تبين لي أمرين: الأول أن الزيلوت فرقة لا تأثير كبير لها في الحرب اليهودية ولم يكن ظهورها إلا محتشماً لمدة قصيرة في الحرب. والثاني: أن ظهورها تم بعد توفي الله ﷺ للمسيح ﷺ بأكثر من ثلاث وثلاثين سنة مما ينفي ارتباطه بها.

إن الأطروحة التي بين الدفتين لم تعكس فقط العمل الأكاديمي الذي ينبغي أن يقدم لنيل شهادة الدكتوراه، بل هي انعكاس لمراجعات ويوميات عشتها أغوص في بحر التاريخ والفلسفة وأخوض معارك وإن قلّت شراسة عن أحداث الفترة التاريخية التي عالجتها. إنها مغامرة علمية وتجربة بحثية أحببت مشاركتها. إن المتفحص لهذه الدراسة سيلاحظ إشارتها إلى قضايا فلسفية تضمنتها الفترة التاريخية المدروسة، ومن ثم يمكن اعتبار الدراسة بحث في تاريخ الأفكار. فهو بحث فكري قبل أن يكون تاريخياً وهذا مصير متوقع لرسالة تخصصت

في تاريخ الأديان. فأرجو أن أكون قد بلغت مقصدي، وما كان من صواب في الدراسة فهو بفضل الله ﷻ وما كان من خطأ فهو من نفسي وحتى الشيطان منه براء.

موضوع البحث

كان اليهود في مطلع القرن الميلادي الأول منقسمين إلى فرق وهي: الصدوقية¹ والفريسية² والأسينية³ والزيلوت والسامرية⁴. ويعود بروز هذه الفرق إلى عديد من العوامل

¹ **الصدوقية:** فرقة يهودية نسبة إلى صادق الكاهن وأسرته الذين ورد في التوراة أنهم كانوا المسؤولين عن الكهانة اللاوية منذ عهد داود وسليمان (حزقيال 48؛ 11). وكانوا لا يعترفون بأي عبادة غير العبادة اليهودية التقليدية القائمة على الذبيحة في الهيكل، وقد شكلوا الطبقة الأرستقراطية الدينية التي تعاونت مع المحتل لأرض فلسطين في عهد عيسى، وإن كانت بداية نشأتهم تشهد بعكس ذلك. ومن المعروف أنهم استمروا قائلين بقوة واستقلالية حتى القرن الثاني الميلادي. وقد اشتهروا برفض أسفار الأنبياء بعد موسى ورفض التلمود، وإنكار القيامة، كما عرفوا براديكاليته في إنكار الهرطقات والتأويلات وتحيزهم لسلطان الهيكل والكهان. ورغم حريتهم في مسائل الدين إلا أنهم كانوا متوسعين في مسائل المعيشة، يختلطون بالأجانب لأن أعمالهم ومراكزهم كانت مرتبطة بهم، فكانوا أقرب اليهود إلى الأخذ بالثقافة اليونانية. المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد**، الجزء 5، م.س، ص: 323؛ الصليبي، كمال. **البحث عن يسوع: قراءة جديدة في الأناجيل**، ص: 40؛ منى، زياد. **مقدمة في تاريخ فلسطين القديم**. بيروت: دار البيان، 2000، ص: 228-229؛ العقاد، عباس محمود. **حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث**. م.س، ص: 29-31.

² **الفريسية:** بالعبرية פרושיים (بيروشم) وتعني بالعربية المنزلون، والإسم يظهر أنه ذو أصل آرامي «فريشين» ويعني معتزلة. وقد كانوا يقرون بصلاحيه العبادة خارج الهيكل، معتمدين في ذلك على المجامع أو الكنس، ولا تقوم العبادة بالضرورة على الذبيحة بل على قراءة الأسفار المقدسة وتفسيرها، ومنه جاء اسم "فرش" بمعنى فسر، أي أنهم المفسرون للشريعة، وهم كذلك في نظر أعدائهم قد فرزوا أنفسهم عن السلف واعتزلوا طريق الجماعة الأولى. لكن هناك من يرى أن اسمهم مأخوذ من كلمة "فرز" العربية أي أنهم متميزون في نظرتهم لأنفسهم شأنهم شأن الشعب الإسرائيلي (اللاويين 20: 26). والفريسيون فرقة واسعة الانتشار بين اليهود في عهد السيد المسيح ولم يكن أفرادها يخالطون الأجانب وقل أن تجد بين أفراد الفرقة رؤساء ووجهاء. ومن ركائز الإيمان عند الفريسيين الاعتقاد بالمصير وتقويض الأمور لله ﷻ. ومن اعتقاداتهم أيضا أن النفس تظل خالدة، إذ تنتقل بعد هذه الحياة إلى جسد آخر، وأن الأشرار يعانون من العذاب إلى الأبد، وهم الذين يعترفون بالعهد القديم الكتابي والتلمود الشفوي، وكانوا أقرب إلى الروحانية والآداب النظرية وآداب التأمل والتفكير والغالب عليهم المرونة والقياس وتحكيم العقل في مسائل النصوص والتقاليد. وقد كان جزء من الفريسيين يتبعون الحبر هيل وجزء آخر يتبع الحبر شماي. حاول العهد الجديد دائما إظهار عداوة الفريسيين لعيسى ﷺ وهو أمر مبالغ فيه، لأن القول الراجح عند المؤرخين أن معلمي عيسى عليه في صباه كانوا من فرقة الفريسيين. وكانت كثير من آرائه تتفق وآراؤهم. وقد غادروا أورشليم بعد حرب 70م، وعقدوا صفقة مع الرومان الذين سمحوا لهم بعقد اجتماع لمجلسهم سنهريين. المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد**، الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق، 1999، الجزء 5، ص: 321؛ يوسفوس. **تاريخ يوسفوس اليهودي**، بيروت: المطبعة العلمية، 1872، ص: 93؛ الصليبي، كمال. **البحث عن يسوع: قراءة جديدة في الأناجيل**. عمان: دار الشروق، ص: 40-41؛ العقاد، عباس محمود. **حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث**. القاهرة: نهضة مصر، 2005، ص: 30-32؛ منى، زياد. **مقدمة في تاريخ فلسطين القديم**. م.س، ص: 229-230 و263؛ الخصري، حنا جرجس. **تاريخ الفكر المسيحي: يسوع المسيح عبر الأجيال**. القاهرة: دار الثقافة، 1981م، ص: 263.

³ **الأسينية:** فرقة دينية يهودية لم يأت ذكرها في العهد الجديد، وما ذكر عنها في كتابات فيلون ويوسفوس متناقض. ولعل هذا يدل على وجود خلافات في صفوف الأسينيين أنفسهم الذين لم يزد عددهم عن أربعة آلاف (أو أكثر). وكانوا يمارسون شعائهم شمال غرب البحر الميت في الفترة ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والأول الميلادي. ويرى بعض الباحثين أن الأسينيين جناح متطرف من الفريسيين نظرا للتقارب العقائدي بينهم، ويظهر هذا في ابتعادهم عن اليهودية من حيث هي دين قرباني مرتبط بهيكل القدس واهتمامهم بتفسير الكتب المقدسة. وقد آمن الأسينيون بخلود الروح والثواب والعقاب، ووقفوا ضد العبودية والملكية الخاصة، بل وضد التجارة وانسحبوا تماما من الحياة العامة "... المسيري. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. الجزء 5، م.س، ص: 325.

& Flavius, Joseph. *Histoire des Juifs, sous le titre de "Antiquités judaïques"*. Trad. Arnauld D'andily, Paris: Gisey, 1870, Tome Quatrième, Livre XVIII, chapitre 2. P : 176.

⁴ **السامرية:** بالعبرية שומרון (شومرونيم) أي سكان السامرة ويعود الشقاق بينهم وبين بقية اليهود إلى عهد سليمان ﷻ والقصة وردت في سفر الملوك الأول 12، وفي سفر الأخبار الأيام الثاني 10، حيث أنشأ عشرة أسباط إسرائيل مملكة الشمال بالسامرة تزعمهم سبط أفرام، بينما أنشأ سبطا يهوذا وبنيامين ليؤسسوا مملكة يهوذا إسرائيل الجنوبية. وتتلخص عقيدة فرقة السامرية في الإيمان بالإله الخالق الواحد "إل" أو "أللا" أو "يهوه"، وممارسة العبادة في جبل جرزيم تل الراس، وتقديم الخروف أضحية في عيد الفصح، وتقويم خاص مختلف عن تقويم باقي الفرق اليهودية. وطغوس دينية مستقلة عن بقية الفرق، وعدم الاعتراف بالتوراة إلا الأخماس وسفر يشوع كتابا تاريخيا. بعد الاحتلال الآشوري لمملكة إسرائيل شمالا تم توطين قبائل من أعراق مختلفة بالسامرة، لتحل محل المهجرين من اليهود.

التاريخية والدينية والسياسية. وتعتبر فرقة الزيلوت - وتسمى بالعبرية "هقنائيم" חקנאים

- جماعة يهودية برزت في القرن الميلادي الأول، وقد عُرفت بأصوليتها ونزعتها القومية وبمقاومتها للإمبراطورية الرومانية في الأراضي التي وجدت فيها تلك الفرقة، سواء تعلق الأمر بفلسطين وسورية أو مصر وليبيا وأفريقية.

يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس¹ (Josephus Flavius): "قام جليلي اسمه يهوذا، بدفع اليهود للثورة، من خلال لومه لهم على ما يدفعونه للرومان من ضرائب، لأنهم (بذلك) ضمينا كما لو كانوا يعترفون أن الرومان سادة لهم مساوين إياهم بالله. وصار يهوذا بهذا مؤسسا لفرقة دينية مختلف تماما عن الثلاث فرق الأولى، التي تمثلت أولها في الفريسيين، وثانيها في الصدوقيين وثالثها في الأسينيين..."².

فامتزج المستوطنون الجدد مع من تبقى من اليهود بعد السبي الآشوري، واتحدت معتقداتهم مع عبادة يهوه، ومن ثم استقبل انشقاقهم عن بقية اليهود، ومن ثم لم يشارك السامريون في الثورة اليهودية ضد الرومان سنة 70م، ولكنهم قاموا بثورة سنة 79-81م، فهدمت شكيم، وبني مكانها نابلس. وعاش السامريون بعدها مرحلة ازدهار فكري منذ القرن الرابع الميلادي، ولكن البيزنطيين في القرن السادس اضطهدهم، وقد ساعد السامريون المسلمين إبان الفتح، كما أعانواهم ضد الغزو الصليبي. فعاشوا في جو من التسامح الديني مع المسلمين. منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم. م.س، ص: 228؛ المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد. الجزء 5، م.س، ص: 320.

¹ يوسيفوس فلافيوس: مؤرخ يهودي روماني اسمه يوسف بن متتيا بن جوريون وهو ينحدر من سلالة الكهنة اللاويين ومن سلالة الحشمونيين من جهة أمه وهي ابنة جوناثان كبير الكهنة في عهد هيراكليس. عندما كان مره 13 سنة رغب في تعلم الآراء المتنوعة للفريسيين والصدوقيين والأسينيين.. وفي الأخير انتمى إلى الفريسيين الذين اعتبرهم أقرب الفرق إلى الرواقيين اليونانيين. وفي سنة 63م سافر يوسيفوس إلى روما بعد أن كان قد شارك في البداية في الحرب ضد الرومان غير أنه انحاز إلى صف الرومان بعد القبض عليه. أحسن فسبازيانوس معاملته وقام بإعطائه أرضا بيهودا. تعتبر مؤلفاته المصدر الوحيد للثورة اليهودية ضد الرومان. وقد أعجب الملك أغريبيا الثاني بكتابات يوسيفوس وأشار عليه ببعض الإضافات. ومن ثم فقد عاش يوسيفوس بعض الأحداث التي كان يكتب عنها وأراد من الناس أن تعرفها كما أنه رأى أهمية خروجها إلى النور لأنها حسب وصفه لا تحتل أن تظل في طي الكتمان. كما كتب مؤلفاته عن تاريخ اليهود ردا على من كتبوا في التاريخ وعثموا الحقيقة واتهموا اليهود وحملوهم مسؤولية الحرب وتملقوا للرومان فضلا عن أنه كتب الكتاب باللغة المتداولة وهي اليونانية. وقد أكد يوسيفوس في كتاباته أن اليهود عادة يرفضون قتال إخوانهم في الدين لأن الشريعة تحرم ذلك ولكنهم وجدوا أنفسهم منورطين في حربهم ضد الرومان بغير إرادتهم.

Flavius, Joseph. « Autobiographie de Flavius Joseph. » *Oeuvres complètes de Flavius Joseph*, Trad. Arnauld d'Andilly. Ed. J.A.C Buchon. Librairie delagrave, Paris : 1852, p: 2-3; 25;28; Flavius, Joseph. « Histoire Ancienne des Juifs. » Ibid, p : 3-4.

² Flavius, Josèphe. *Histoire des Juifs, sous le titre de "Antiquités judaïques"*. Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XII, p : 231. « un Galiléen nommé Judas, Porta les Juifs à se révolter, en leur reprochant que ce qu'ils payaient tribut aux Romains, était égal les hommes à Dieu. Puisqu'ils les reconnaissent pour maîtres aussi-bien que lui. Ce Judas fut l'auteur d'une nouvelle Secte entièrement différente des trois autres, dont la première était celle des Pharisiens, la seconde celle des Saducéens, & la troisième celle des Essénien ».

تم البحث في هذه الأطروحة في الجذور اللغوية والتاريخية لفرقة الزيلوت، وذلك مع التزامن في البحث في مسارها التاريخي إلى حدود القرن الثاني الميلادي. كما تم استعراض الآراء الخاصة بعلاقتها بالمسيح ﷺ سواء المؤيدة لأطروحة انتماء المسيح لهذه الفرقة أو الرفضة لها، مع إبداء رأي هذه الأطروحة في هذا الموضوع بالتحديد، وهو الميل لعدم انتماء عيسى ﷺ لفرقة بحد ذاتها بغض النظر عن تبنيه لبعض أفكارها. وأخيرا تم بيان علاقة الفكر المسيحاني¹ وخاصة الهوس الإسخاطولوجي (الأخروي) بالغيوريين بما عرفته الأمم عبر التاريخ من تحولات ثقافية واجتماعية عبر التاريخ مع عرض نماذج مقارنة من باب الأمثلة لا الحصر.

أهمية الموضوع

تبرز أهمية هذا الموضوع باعتباره إعادة فتح أوراق فرقة يهودية لم تعد موجودة منذ القرن الثاني الميلادي. كما أن إعادة طرح الموضوع في الساحة العلمية يساهم في عرض الرؤى الحديثة حول هذه الفرقة عن طريق استنطاق الوثائق من جديد لتكوين أقرب صورة ممكنة عن طبيعة فرقة الزيلوت وعلاقتها بفصائل ثورية أخرى كجماعة السكاريين. كما أن محاولة إيجاد رابط بين تلك الفرقة اليهودية والمسيح ﷺ قد كشفت تلك العلاقة التاريخية التي جمعت بين اليهودية والمسيحية في فترة تاريخية قبل أن تستقل كل ديانة منهما بكيانها الخاص. وقد تم التركيز أيضا على الفكر المسيحاني الذي يعد أهم ملامح تلك الفترة وخاصة أنه تمكن

¹ **المسيحانية:** مرجعيتها الأدب القياامي (أبوكالبيس) (Apocalypse) الموجود في أسفار دانيال وحزقيال وإشعياء وغيرها. ولعلها تعكس يأس مؤلفيها وملهم من الأحوال السائدة مما أدى لبلورة هذا الفكر الذي يؤمن بقدوم مسيح مخلص انتهى بتكون الديانة المسيحية فيما بعد، ويرى البعض أن الأدب الأبوكالبيسي هو من إنتاج الغيوريين. ينظر: منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم. م.س، ص: 126.

من عقائد معظم الفرق اليهودية آنذاك. ولم يكن الحديث في هذه الرسالة عن المسيحية من منطلق تاريخي فقط، بل من منظور فكري وكيف أن الهوس الإسخاطولوجي ما زال يجري إلى حدود الزمن المعاصر من الأديان السماوية مجرى الدم، وذلك لارتباطه بنبوات مستقبلية وطموحات روحية طغت عليها المادية.

دوافع اختيار الموضوع

بصفة عامة يمكن اختصار دوافع اختيار الموضوع في خمس نقط مهمة وهي:

- المساهمة في إغناء المكتبة العربية التي تفتقر لمثل هذه المواضيع.
- التحليل والدراسة العلمية لظاهرة الفرقانية منذ صدر المسيحية إلى ما بعد ظهور الإسلام.
- البحث في فرقة الزيلوت قد يساهم في فهم بعض القضايا الدينية ليس فقط القديمة بل أيضا المعاصرة.
- البحث في قضية المسيح التاريخي، وكذلك الماضي قدما في عرض مزيد من الدراسات حول علاقته بالثورة اليهودية الرومانية.
- دراسة الفكر المسيحي وخاصة الجزء المتعلق بالهوس الإسخاطولوجي الذي له صلة وثيقة بالأديان السماوية إلى وقتنا الحاضر.

الدراسات السابقة

لحد اليوم وبعد أن نشرت كتابي "المسيح ثائرا" والذي كان عبارة عن رسالة ماستر في الدراسات السامية ومقارنة الأديان لم يتم تناول الموضوع - فيما أعلم- في أي رسالة ماستر أو دكتوراه في الجامعة أو في أي معهد أو أي كتاب باللغة العربية سواء تعلق الأمر بالمغرب أو بالدول العربية. لكن على المستوى العالمي فإن الكتب والمقالات والبحوث الجامعية عديدة في هذا الباب، نذكر منها أهمها لارتباطها بأطروحة الدكتوراه التي بين الدفتين:

يحاول مارتن هينجل¹ (Martin Hengel) إثبات أن السكارين منهج وليس فرقة؛ أي أن الإثنين يكونان فرقة واحدة، ولكن واحدة شغلت الجانب الدعوي الأيديولوجي والثانية شغلت مهام حرب العصابات والاغتيال. علما أن منهج السكارين جاء متأخرا عن سنة 6م². وقد اعتبر سولومون تسيتلين³ (Solomon Zeitlin) الزيوت والسيكارين فرقتين متميزتين عن بعضها البعض. واعتبر الطرفين جماعة متعصبة سلمت إسرائيل بسهولة إلى أيدي

¹ مارتن هينجل (1926-2009): مؤرخ وعالم في تاريخ الكتاب المقدس. ولد بمدينة ثيوبينجن جنوب شتوتغارد بألمانيا واشتغل بها أستاذا جامعيًا. يعتبر من أول من رفضوا ربط الزيوت بالمسيح ﷺ. من أعماله كثير نذكر كتيب *War Jesus Revolutionär?* وكتاب *Die Evangelienüberschriften*.

Pitts, Andrew W. "Martin Hengel, the New Tübingen School, and the Study of Christian Origins." *Pillars in the History of Biblical Interpretation*, Vol. 2, 2014, pp: 137-157. P: 137-138.

² Hengel, Martin. *Die Zeloten: Untersuchungen zur Jüdischen Freiheitsbewegung in der Zeit von Herodes I. bis 70 N. CHR.* Leiden: Brill, 1976.

³ سلومون تسيتلين (1892-1984): كان من العلماء اليهود المشتغلين على مخطوطات البحر الميت. وشغل منصب أستاذ الدراسات ما بعد الكتابية والمؤسسات بكلية دروسي بفلاذلفيا. مع أنه من ولد بروسيا إلا أن نجمه برز في أمريكا. ألف كتاب *Who Crucified Jesus?* و *Maimonides A Biography*.

"Solomon Zeitlin Dead at 84." *Daily News Bulletin*. Jewish Telegraphic Agency, Vol. 43, No. 249, 30 December 1976, pp: 1-4, p: 4.

الرومان جراء قتالها أبناء جلدتها¹. كما ربط شيمون أبيلبوم (Shimon Applebaum)² الزيوت والسكرارين بالجليليين الذي عرف عنهم التمرد وقطع الطريق. ولكنه اعتبر السكرارين أهل الدعوة الإيديولوجية التي تضمنت فكرة وحدانية السيادة لهوه والمنفردين باغتيال اليهود الموالين للرومان³. أما مورتون سميث (Morton Smith)⁴ فقد توصل إلى خلاصة مفادها أن الحراك اليهودي ضد روما هو عبارة عن ائتلاف أو تحالف ثلاثي بين ثلاث فرق وهي: الفلسفة الرابعة التي تأسست سنة 6م وفرقي الزيوت والسكرارين اللتان ظهرتتا سنة 67م. وذكر أن السكرارين هم أول من ظهر من هذا التنظيم المسلح سنة 6م أي أنهم امتداد للفلسفة الرابعة التي أسسها يهوذا الجليلي⁵.

كما ذكر صاحب كتاب *The Sicarii in Josephus's Judean War* أن السكرارين لم ينخرطوا في الحرب ضد الرومان حسب المؤلف؛ بل استغلوا حالة الفوضى السياسية لتصفية حساباتهم الأيديولوجية مع بقية الفرق اليهودية. وحتى عندما انحصروا في المسعدة

¹ Zeitlin, Solomon. "Zealots and Sicarii." *Journal of Biblical Literature*, Vol. 81, No. 4, The Society of Biblical Literature, December 1962, pp. 395-398.

² شيمون أبيلبوم (1911-2008): أركيولوجي إسرائيلي. شغل منصب أستاذ الأركيولوجيا الكلاسيكية والتاريخ اليهودي بجامعة تل أبيب. له أعمال مثل *Jews and Greeks in Ancient Cyrene* و *Agriculture in Roman Britain*.

"Shimon Applebaum (1911-2008)." - Auteur - Ressources de la Bibliothèque nationale de France. n.d. Retrieved 09 December 2020, from https://data.bnf.fr/fr/12021738/shimon_applebaum

³ Applebaum, Shimon. « The Zealots: The Case for Revaluation. » *The Journal of Roman Studies*, Vol. 61, 1971, pp. 155-170.

⁴ مورتون سميث (1915-1991): مؤرخ أمريكي شغل منصب أستاذ التاريخ القديم بجامعة كولومبيا. هو مكتشف رسالة دير مار سابا سنة 1958 التي تشير إلى إنجيل مرقس السري. ألف *Jesus the Magician* و *The Ancient Greeks*.

Gordon, L.. "SMITH, Morton". *All Scholar: Rutgers School of Art and Sciences*. n.d. Retrieved 09 December 2020, from <https://dbcs.rutgers.edu/all-scholars/9131-smith-morton>

⁵ Smith, Morton. « Zealots and Sicarii, Their Origins and Relation. » *The Harvard Theological Review*, Vol. 64, No. 1 January 1971, pp. 1-19.

لم يحاربوا الرومان؛ بل انتحروا فحسب. بينما فرقة الزيلوت والفصائل الثورية الأخرى هي من كان في مقدمة الحرب ضد الرومان¹. ويعد كتاب *Jesus and the Zealots* من أقدم الدراسات المباشرة حول علاقة المسيح بالزيلوت. حاول من خلاله القس وعالم الدين المقارن صمويل براندون (Samuel Brandon)² إثبات علاقة المسيح بالحراك الثوري ضد الرومان وأكد أن صلب المسيح كان عقوبة سياسية جراء تمرد³.

وسواء تعلق الأمر بالدراسات التي ذكرت هاهنا أم تلك التي لم يشر إليها، فإن أيا منها لم يتناول الموضوع بالطريقة التي تنوّل بها في هذه الرسالة. بحيث يركز هنا على تلاقح الأفكار بين الفرق بحيث تذوب الفروق وتصير الفكرة واحدة. فدراسة علاقة الفصائل الثورية ببعضها وكذلك علاقتها بعيسى ﷺ يتم من منطلق تحييد الصور النمطية الإيديولوجيا التي تطبعها المؤلفات التاريخية في ذهنية القارئ. كما يتم ربط علاقة الفكرة - باعتبارها فلسفة وليس الفرقة - بالواقع المعاش فضلا عن ربطها بما هو يهودي وإسلامي. كما أن الأطروحة تؤكد على التمييز بين مختلف الحركات اليهودية الداعية إلى الحرية مع التأكيد على أن الفلسفة الرابعة ليست هي منبع كل تلك الحركات بما في ذلك فرقة الزيلوت.

وتعتبر الغيرة بوصفها عقيدة ومفهوم يهودي جوهر موضوع الدراسة. وقد افترض بعض الباحثين أن الغيرة هي الموجه والدافع من وراء الحرب اليهودية الرومانية. لكن

¹ Brighton, Mark. *The Sicarii in Josephus's Judean War: Rhetorical Analysis and Historical Observations*. Atlanta: Society of Biblical Literature, 2009.

² صمويل براندون (1907-1971م): كان قسا بريطانيا وعالما في مقارنة الأديان، وأضحى أستاذا لمقارنة الأديان في جامعة مانشستر سنة 1951م. من أعماله:

The Judgment of the Dead: The Idea of Life after Death in the Major Religions

³ Brandon, Samuel George Frederick. *Jésus et les Zélotes : Recherche sur le facteur politique dans le Christianisme primitif*. Trad. Georges et Béatrice Formentelli. Paris: Flammarion, 1975.

الأطروحة تؤكد أن الغيرة ليست بالضرورة دعوة للحرب ضد غير اليهود؛ بل هي بالأحرى دفاع عن عبادة الله ﷻ باستخدام التكتيك المتاح والبعيد عن العنف. لذلك، جاء عيسى ﷺ لينقذ ما تبقى من إسرائيل، وربما كُذِّب باعتباره مسيحًا بسبب طريقته المختلفة في فهم تبعات الغيورية.

إشكالية الموضوع

تقوم الإشكالية الأولى لهذه الدراسة على البحث في طبيعة فرقة الزيلوت، وما تميزت به من صفات اعتبرت عند البعض همجية وإرهابية، وما مدى صحة ذلك، فإن من شأن البحث في جذورها وتاريخها كشف ذلك، فما هو نوع هذه الفرقة اليهودية وبماذا تميزت وما هي جذورها وما هي الأحداث التاريخية التي شارك فيها المنتمون إليها؟ كما تبرز الإشكالية الثانية لهذه الدراسة حينما يحاول الباحث كشف الآراء المتعلقة باليهودية-المسيحية باعتبارها امتدادا للفكر الغيوري، انطلاقا من ربط الفصائل الثورية بشخصية المسيح ﷺ، فما هي حدود تلك العلاقة التي تربط بين المسيح والغيورية؟

لقد اتضح أن مناقشة الفرق بين الزيلوت والفلسفة الرابعة والسكرابين أمر ضروري. وذلك بهدف تحديد دور كل جماعة ومدى طبيعتها علاقتها بالسيد المسيح. وهذه بحد ذاتها إشكالية معقدة تستلزم الدقة. وأخيرا فإن البحث يناقش قضية تأثير الفكر المسيحاني وخاصة الهوس الإسخاطولوجي في الأديان السماوية منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، ونتائجه السلبية على المجتمعات الدينية في الزمن المعاصر.

منهج البحث

يقوم البحث على منهج التحليل وتحديد ما هو متعلق بالوثائق الدينية والتاريخية. كما تقوم الدراسة على المنهج التاريخي والذي ينطلق من فحص الوثائق التاريخية وتحليلها ومقارنتها. كذلك تبرز أهمية هذا المنهج في تحديد الإطار الفلسفي والاجتماعي الذي تميزت به الفترة المدروسة.

المنهج المتبع

يعتبر التدقيق في النصوص القديمة وتحليلها هو الركن الأساس للمنهج المتبع في هذا الموضوع. وقد اعتمد البحث بشكل جوهري على كتابات يوسيفوس فلافيوس المختلفة ونظرا لمعرفتي المتواضعة باللغة اليونانية فقد كان الاعتماد على البحوث السابقة منارة للنقد اللغوي في هذه المصادر. فقد اعتمدت على كتابات يوسيفوس في أصلها اليوناني وكذلك الترجمات إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والعربية. كما اضطلعت على الاختلافات والفروق بين النصوص سواء بين لغة وأخرى أو بين كتاب وآخر وأكدت عليها. كما إنني أقوم بالإحالة على رقم الصفحة ورقم الفصل ورقم الكتاب من تلك النسخة، سيرا على منوال الكتب القديمة وتوحيدا للمنهجية. وتم اعتماد نفس طريقة الإحالة في كتاب تاريخ الكنيسة، لمؤلفه يوسابيوس القيصري (Eusebius of Caesarea)¹ الذي يعد مصدرا مهما لنقل الأحداث المتعلقة بالقرن الميلادي الثاني.

¹ يوسابيوس القيصري (265-340م): مؤرخ الكنيسة، ولد بفلسطين، ودرس بمدينة القيصرية، وتلمذ على يد بمفيلوس الذي كان تلميذا لأوريجانوس الذي تأثر يوسابيوس بفكره، خاصة أنه كان يؤمن بعدم المساواة بين الأب والإبن والروح القدس لكنه كان يرفض القول بخلق الإبن. وقد شغل يوسابيوس منصب أسقف سنة 314م، وقد أقيل من منصبه لتعاطفه مع أريوس في البداية، لكنه عاد إلى منصبه لمشاركته في إدانة أريوس في مجمع نيقية سنة 325م، وبعد ذلك ترأس مجمع صور 235م ليدين أثناسيوس. "وصف يوسابيوس بأنه

كما يعتبر الاعتماد على الكتاب المقدس ثاني ركن أساسي للمنهج المتبع حيث اعتمد على الترجمات العربية والانجليزية والفرنسية وكذلك العبرية واليونانية. وقد تم التأكيد على التباينات التي تهم الموضوع بين اللغات والنسخ. وقد كانت نسخة الفاندايك هي النسخة الأكثر تداولاً في البحث. وتم الاعتماد على رواية حفص عن عاصم للقرآن الكريم. وقد ورد إثبات ترجمة الفاندايك والقرآن الكريم برواية حفص وكتب الحديث النبوي الشريف في لائحة المصادر والمراجع. وقد أحلت على النصوص الكتابية والقرآنية في المتن دون الهامش، بينما أحلت في الهامش على أبواب وأرقام الأحاديث المذكورة.

كما اعتمدت على آخر مستجدات البحوث الأركيولوجية والتاريخية والميدانية فيما يخص الحرب اليهودية ومدى مطابقتها لما نصت عليه الكتابات التاريخية القديمة. واعتمدت على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبعض كتابات التراث الإسلامي لتتبع آثار الفكر المسيحاني وربط الهوس الإسقاطولوجي - الذي تميزت به فرقة الزيلوت - باليهودية والإسلام المعاصرين. لقد كان من الضروري أيضاً الاضطلاع على كتابات تخص الشأن الإسرائيلي المعاصر لنقل الرأي المعاصر لليهود الصهاينة في الفصائل الثائرة ضد روما والتأكيد على مخالفة بعضهم للإيديولوجيا اليهودية الربية والفكر التلمودي. وعلى ذكر التلمود فإن الاعتماد كان بالأساس على النسخة المترجمة بالأردن ونسخة إنجليزية طبعت بمدينة نيويورك الأمريكية، وكلاهما تعدان النسخة البابلية للتلمود. كما اعتمدت على النسخة الإنجليزية من

واسع المعرفة". كما اعتبر "هيردوت المسيحيين" (أبو التاريخ) لأن كتاباته التاريخية اعتبرت أفضل إنجازاته التي نال بفضلها الشهرة في التاريخ، ومن كتاباته أيضاً: "حياة قسطنطين"، و"دحض ودفاع"، و"التحضير الإنجيلي". عبد المسيح، عادل فرج. موسوعة آباء الكنيسة. القاهرة: دار الثقافة، 2006م، الجزء 3، ص: 102-112.

المدراس والهكادا، وقد كانت المقارنة والتحليل السبيل الوحيد لجمع شتات الموضوع وتكوين صورة واضحة حول الحرب اليهودية الرومانية وعلاقتها بالمسيحية المبكرة.

كما أن طريقة تناول الموضوع تجمع بين ما هو لغوي وتاريخي وفكري لتكوين صورة ثلاثية الأبعاد حول الحراك المسيحاني في القرن الأول والثاني الميلادي. وقد استخدمت مصطلحات معينة لكي أتجنب الخلط بين العام والخاص. فمصطلح الزيوت يعد إشكالا بحد ذاته ولهذا فإنني استعضت عنه في بعض المواضع بلفظ "الغيورين" وهو مصطلح يضم كل الفرق التي شاركت في الحرب والفتن في القرن الميلادي الأول وكذلك الثاني. فهو يعبر عن اتجاه ديني وسياسي سعى للتغيير عن طريق حمل السلاح. ويعد كذلك مصطلح المسيحانية مفهوما واسعا يتعلق بكافة الأديان الإبراهيمية وفروعها. وأمل عبارة الهوس الإسقاطولوجي فهي تحدد نوع المسيحانية موضوع النقد في هذا البحث. ويقصد بها هنا السعي لتحقيق النبوات المسيحانية عن طريق خلق فتنة أو صراع من شأنه أن يعجل بالتدخل الإلهي الأبوكاليسي (apocalypse) الذي يتمثل في أيام المسيح في اليهودية وعلامات الساعة الكبرى في الإسلام. وقد كان من الضروري تقديم المباحث الفلسفية المختصة بالفكر الغيوري قبل عرض تاريخ الغيورين، وذلك لكون المباحث الفلسفية الأولى مداخل تعريفية للفرقة وجذورها قبل الخوض في الأحداث المتعلقة بها. وهذا قد يؤدي إلى صعوبة فهم الباب الأول دون الرجوع إلى الباب الثاني. وتعتبر المرجعيات المعتمدة في الأطروحة أسماء بارزة في تخصصها، لذلك تم الحرص على التعريف بتلك الأعلام في الهامش خاصة المعاصرة منها. وقمت بفهرسة الأعلام وآيات القرآن الكريم والكتاب المقدس في الصفحات الأخيرة من البحث.

التصميم

بعد المقدمة وقبل الخاتمة تم تقسيم الموضوع إلى أربعة أبواب وهي:

عنونت الباب الأول "تعريف فرقة الغيورين (الزيلوت) وبيان جذورهم الفكرية":

وفيه فصلين: يتم في الأول تناول تعريف فرقة الزيلوت، سواء تعلق الأمر بالدلالة اللغوية أو الاصطلاحية، ويتم في الثاني الحديث عن الجذور الفكرية للزيلوت.

أسميت الباب الثاني "تاريخ الغيورين قطاع الطرق": وتم تقسيمه إلى ثلاثة فصول:

يتم في الأول تناول موضوع الاضطرابات التي سبقت اندلاع الثورة اليهودية الأولى. وفي الفصل الثاني يتم التطرق للحديث عن اندلاع الثورة اليهودية الأولى (66-71م). أما الفصل الثالث فيتطرق فيه لتبعات الحرب اليهودية الرومانية في الفترة الممتدة بين سنة 71م و135م وعلاقة الثورة اليهودية الثانية بالأولى.

وقد عنونت الباب الثالث "علاقة عيسى ﷺ بحراك الغيورين": وفيه فصلين: يتم

الحديث في الفصل الأول عن نظرة المسيح لمفهوم الغيرة ومدى تماشيه مع الحراك الاجتماعي للغيورين. وفي الفصل الثاني يتم مناقشة الآراء حول علاقة المسيح بالحراك الثوري الغيوري من خلال رسالته ﷺ سواء في القرن الميلادي الأول أو الثاني.

وأخير سميت الباب الرابع "من المسيحانية إلى الهوس الإسخاطولوجي": وهذا

الباب دراسة تحليلية مقارنة، يتم فيها الوقوف عند معالم المسيحانية وتحولها إلى هوس إسخاطولوجي ارتبط بالنبوات الأخروية. وقد قُسم إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول عن المسيحانية ومراحل تطورها منذ السبي إلى ما بعد خراب أورشليم. والفصل الثاني يناقش

الهوس الإسقاطولوجي وأثره عبر تاريخ اليهود منذ عهد عيسى إلى العصر الحالي (نماذج مختارة). وأما الفصل الثالث فعن المسيحية عند المسلمين وأثره (نماذج مختارة).

الصعوبات

تكمن صعوبات الباحث في هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- حداثة الموضوع في البحث العلمي العربي، ومن ثم كل المراجع المباشرة باللغات الأجنبية، ولم يترجم منها إلى اللغة العربية إلا النادر. كما ترتب على جدة الموضوع ضرورة الإطالة في بسط السياق المتعلق به، وعرض متآني لهذه النظرة الجديدة التي يطرحها البحث.
- طول المادة الخام، حيث يصعب استيعاب وحصر كل المعلومات التي وفرتها المصادر والمراجع خاصة.
- أغلب المصادر المعتمدة مصادر معادية أو مغرضة وغير محايدة. وبالنتيجة تستوجب تحليلاً لمعلوماتها برزانة وحذر.

الباب الأول:

تعريف فرقة الغيورين (النزيلوت) وبيان جذورها الفكرية

يكشف البحث عن طبيعة الفرقة والأفكار التي تتبناها وكذلك الجذور التاريخية لتلك الأفكار، وذلك من خلال الدلالة اللغوية والاصطلاحية والجذور الفكرية لفرقة الزيروت. يقودنا البحث في الفصل الأول إلى ضرورة التمييز بين كل من الزيروت والفلسفة الرابعة والسكاريين، وإلى التأكيد أن هذه الفصائل كلها يمكن تسميتها بالغيوريين. كما يوجهنا البحث في الفصل الثاني إلى الوقوف عند الكتاب المقدس وكذلك تاريخ الدولة المكابية ومن ثم التعرف عن قرب على فلسفة الغيوريين.

الفصل الأول:

تعريف فرقة الغيورين (الزيلوت)

ينبغي عدم الاستهانة بالدلالة اللغوية لفرقة الزيوت نظرا لتشعبها ولعلاقتها بلغات مثل اليونانية والعبرية فهي تقدم بشكل أوضح فكرة عن الأفكار والأعمال التي تميل إليها الفرقة. كما أن الفهم الاصطلاحي يفرض على الباحث فهم السياق الذي برزت خلاله هذه الفرقة. ويساعدنا الباحثين اللغوي والاصطلاحي في تعريفها بدقة ومن ثم التمييز بينها وبين فرق أخرى كالسكاريين والفلسفة الرابعة والتي اعتبرت عند عدد من الباحثين انعكاسا لتجمع حركي واحد، بينما أخذت عند آخرين شكل تجمعات متعددة.

المبحث الأول: تنقيب لغوي ومصطلحي لفهم سياق تسمية الزيوت.

وردت كلمة "زيوت" في مؤلفات يوسيفوس وفي الكتاب المقدس باللغة اليونانية (ζηλωτής = Zilotis)، لكن بما أن الفرقة يهودية فمن الأدق أولا العودة للأصل العبري للكلمة وهي "قنء" זנא. فبذلك يتوضح معنى الكلمة من خلال فهم سياقها في الكتاب المقدس وكتب الحرب اليهودية وتاريخ اليهود.

بالرجوع إلى القاموس العبري نجد أن الفعل "قنء" זנא يقابله حسد، وغار، مثال الرجل يغار على امرأته من فلان والعكس أو يشك فيها، ويعبر عنها بالجملة "قنء لايشتو" זנא 177. والاسم "قنءه" זנאה يقابله الحسد والغيرة والتعصب المجرد أو التعصب الأعمى، والحقد والضغينة، والحماس والغضب. والمعنى الدقيق والجوهري للكلمة هو الغيرة حسب يوسيفوس حيث أطلقها على أصحابها، حيث يقول: "إن الزيوتيين - فقد أطلق هؤلاء الأئمة على أنفسهم كذلك - لكي يأمنوا أنفسهم من آثار كره الشعب، إذ انسحبوا للهيكل وصنعوا

لهم قلعة هناك"¹. فالظاهر أن التسمية جاءت دعاية لهم² وحماية لهم من غضب الشعب، ولربما كانت تسمية "زيلوت" - أي غيور- محبوبة لدى الكهنة والشعب الإسرائيلي لأنها تمثل فضيلة ومبدأ نصت عليه الشريعة.

الملاحظ أن يوسيفوس لم يتحمس لاستخدام تسمية "الزيلوت" كثيرا ليقفل من أهمية دلالتها عند اليهود الذين يفترض أنهم قراؤه، حيث أشار أن أفضع ما قاموا به هو شيء مخالف للغيرة التي يدعونها ألا وهو تدنيس المقدسات. فليس من شيم الغيورين سوى حمايتها وليس تدنيسها. ولطالما علم يوسيفوس أن هذه الفرقة لا تستحق اسم "الزيلوت"، فقد أشار إلى أنهم تجرؤوا إلى اتخاذ هذا الاسم ظلما وعدوانا³، وهذا يؤكد عداوة يوسيفوس للغيورين. وفي سياق آخر تحدث فيه يوسيفوس عن الأدوميين بصفتهم أيضا زيلوت، حيث قال: "لقد أثبتوا أنهم زيلوت ولكن ليس عن طريق حب العدل واحترام المقدسات التي كانت سببا في تسميتهم زورا لإضلال الناس، ولكن عن طريق غيرتهم الحقّة وتوقد شغفهم الذي أدى بهم لاقتراف جرائم فوق التصور"⁴. ومن ثم يكون الزيلوت هو الاسم الذي ارتضاه هؤلاء لأنفسهم.

¹ Flavius, Joseph. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Ibid, Livre IV, Chapitre XII, p: 693. « Les Zelateurs (car c'est le nom que ces impies donnaient), pour se garantir des effets de la haine du peuple, s'enfuirent d'qns le temple en firent leur citadelle ...»

² يقول يوسيفوس: "سمى هؤلاء الأئمة أنفسهم زيلوت"، هذا كل ما قاله يوسيفوس لكن الجملة الموالية لها وإن كانت وصفا لسبب تحصنهم في الهيكل لكن يمكن أن تكون مفيدة لمعرفة سبب تسمية الزيلوت، حيث قال يوسيفوس: "(سمى هؤلاء الأئمة أنفسهم) "زيلوت"، لكي يأمنوا أنفسهم من آثار كره الشعب، انسحبوا للهيكل وصنعوا لهم قلعة هناك"، فلا يعلم إن كانت الجملة تصف سبب تسمية الزيلوت أم سبب هربهم للهيكل.

Flavius, Joseph. « La guerre des Juifs Contre les Romains ». Ibid.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains ». Ibid, Livre IV, Chapitre XVII, p: 703.

⁴ Ibid. Livre VII, Chapitre XXX, p: 802. « Ils ont fait voir qu'ils étaient véritablement des zélateurs, non pas par l'amour des choses justes et saintes qui leur avait fait prendre ce nom qu'ils s'attribuaient si faussement et dont ils éblouissaient les ignorans, mais par le zèle véritable et par l'ardente passion qu'ils avaient de surpasser en toutes sortes de crimes les plus grands criminels qui aient jamais été dans le monde ».

والنعت أو الوصف כָּנֵא (قنءي) يعني متعصب، ومتحمس، وغيور، وضنين، وكذلك حسود¹، ومتحمس هي الكلمة التي اختارها زياد مني² في بحثه المتعلق بتاريخ فلسطين ليطلقها على الزيلوت. فسماهم بالخمس ورجح أن "هقنائيم" כִּנְיָאִים تعني المتعصبون. ويقصد بذلك أنهم المتحمسون أو المتعصبون للشرية³. وقد تعني أيضا حماة الشريعة؛ لأن أصل كلمة "قنء" כָּנֵא تدل على الحماية ف"قنء" حامي الشيء، ومنه جاءت في اللغة العربية كلمة قنية التي هي ملك ومسؤولية مقتنيها⁴. والفعل اقتنى في أصله العبري "قَنَه" כָּנָה يعني ملك، ومع كثرة الاستعمال دلت خصيصا على الملك الذي تم اشتراؤه. فكان كلمة "هقنائيم" أي الزيلوت- تدل على حماة الشريعة ومالكها بعد أن كرسوا مالهم وحياتهم لاقتنائها وامتلاكها، فصاروا أوصياء عليها⁵. وهذا المعنى يؤيده اللفظ العبري "قنأ" כָּנָה الذي يعني شخص مكرس لله باعتباره عميلا ورسولا ينزل العقاب الإلهي وقضائه بالأمم الوثنية ومن ثم يرد غضب الله ﷻ على إسرائيل (العدد 25: 10-13)⁶.

¹ قوجمان، يحزقيل/יחזקאל, قاموس عبري-عربي/מילון עברי-ערבי. بيروت: دار الجيل، 1970، ص: 821. وينظر: كمال، ريجي. المعجم الحديث: عبري-عربي، للمترجم وللطالب الجامعي، الطبعة الثانية. بيروت: دار العلم للملايين، 1992، ص: 424-425.

² زياد مني: باحث فلسطيني مقدسي في التاريخ القديم، ومتخصص في الدراسات التوراتية. مقيم بسوريا. مؤسس ورئيس دار قدمس للنشر في كل من دمشق وبيروت. حصل على الدكتوراه في علم الآثار من لايبزيك، ألمانيا الشرقية. وهو معد برنامج "كتاب قرأته" في قناة الجزيرة الفضائية. له كتب عدة، منها: "تلفيق صورة الآخر في التلمود".

"زياد مني". معرفة. د.ت. مسترجع بتاريخ 27 دجنبر 2020 من shorturl.at/lvzH8.

³ مني، زياد. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم. م.س، ص: 151؛ 234.

⁴ ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م، ج 5، ص: 31.

⁵ Benner, Jeff A. *The Ancient Hebrew Lexicon of the Bible: Hebrew Letters, Words and Roots Defined within their Ancient Cultural Context*. Texas: Vitural Book Worm, 2005, p: 247.

⁶ Farmer, William Reuben. *Maccabees, Zealots, and Josephus: An Inquiry into Jewish Nationalism in the Greco -Roman Period*, 2nd ed. New York, Columbia University Press: 1958, p: 178.

إن كلمة "قنء" العبرية، تدل على الغيرة، كما تدل على التعصب والحماس لشيء ما، فيمكن أن يطلق على الزيلوت اسم "قنائيم"، ويقابل ذلك في العربية لفظة «الغيورين». لكن مع مزيد من التعمق في البحث اللغوي نجد عدد من الكلمات ترسم صورة عن الصفات التي من الممكن أن يتصف بها الغيورون. فمثلا نجد في المعجم العبري كلمة "قَنَه" קנה وتعني العرين أو مخبئ الحيوانات البرية¹. وجمعها "قِنُوت" קנאות تذكر بالمصدر العربي "قُنُوتٌ" وجذره فعل قَنَتَ الذي يقصد به في اللغة العربية الطاعة الدينية لقوله الله ﷻ: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [سورة البقرة، جزء من الآية: 238]². فهذا المعنى يدل على الانعزالية التي تشبه انعزالية الحيوانات البرية وفي نفس الوقت يدل في اللغة العربية على الالتزام الديني. فكأنه يشير إلى سلوك تلك الجماعة التي أغرقت في الالتزام بالشريعة مما دفعها للانعزالية وتجنب الاختلاط بالأغيار. كما يدل فعل "قَنء باعفي" קנא באעפי على الاهتمام الخاص³ الذي يحيطه المرء بأمر أو شخص. وقد كان محط اهتمام الزيلوت هو الشريعة. كما تدل اللفظة "قنء" קנא على الحسد كما سبق، وهناك نص في سفر إشعياء (11: 13) يذكر اللفظ ويقصد به الحسد وحب المنافسة والندية. كما تدل "قنء" קנא على الطموح⁴. ويعني الاسم "قَنَه" קנה كذلك غصن الشجرة أو القصب؛ وهو من المعاني القديمة للكلمة⁵. وتعني "قَنَه"

¹ ألامأליח، אנרהים وربיעי، כרך. מלון חדש ושלם: עברי – צרפתי. Tel-Aviv: Yavneh، 1955. 7: 3435-3436.

² ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. م.س، ج 5، ص: 31.

³ ألامأליח، אנרהים وربיעי، כרך. מלון חדש ושלם: עברי – צרפתי. م.س، 7: 3420.

⁴ ألامأליח، אנרהים وربיעي، כרך. מלון חדש ושלם: עברי – צרפתי. م.س، 7: 3421-3422.

⁵ Benner, Jeff A. *The Ancient Hebrew Lexicon of the Bible : Hebrew Letters, Words and Roots Defined within their Ancient Cultural Context*. Ibid, p : 247.

קָדָה فصيلة كاسيات البذور (Angiospermae) وهي النباتات المزهرة. وتقال المتلازمة اللفظية "قَنֵה מְדָה" קָדָה קָדָה يقصد بها وحدة القياس¹.

كما أن هناك قرية بالجليل تسمى قانا. ومن ثم قد يكون سبب تسميتهم بـ "القنائيم" نسبة إلى المنطقة التي ينتمون إليها، خاصة أن الجليل عرفت بعصيان أهلها لأي سلطة كانت. لكن لماذا لم يسموا بالجليليين نسبة إلى المنطقة كلها؟ لعل ذلك يعود لأسباب تاريخية لا يمكن التأكد منها، ولكن لما كان من المعلوم حسب يوسيفوس أن الثقافة الهلنسية كانت منتشرة بين الجليليين ولم يكونوا متدينين كما هو حال الزيلوت فلم يعتبروا زيلوتاً. أضف إلى ذلك أن سكان صفورية كانوا ميالين للرومان²، فمن الممكن أن توضع فرضية أن سكان قانا شكلوا استثناء بوصفهم عصاة متدينون شكلوا نبع الهيجان الشعبي ضد الرومان أثناء الحرب اليهودية. ولا شك أن الجليليين قد حملوا روحانية تجاه المعبد بوصفه مسكن الرب، ولكنهم في الوقت نفسه احتقروا الكهنة الذين نصبوا أنفسهم وسطاء للرب³.

ويمكن افتراض أن الجليليين لم يكونوا جهاديين بل مناضلين ولعل عيسى ﷺ حمل نفس تلك المشاعر العدائية للكهنة المعبد وهي لم تكن عدائية ذات أصل كتابي وإنما بفعل جشع كهنة الهيكل. ورسالة عيسى العدائية للكهنة لم تكن بدعة فهي رسالة حملها قبله يوحنا المعمدان وأنبياء العهد القديم ولهذا نقل عيسى ﷺ قول إشعياء عن فساد قلوب الفريسيين وابتعادهم عن وصايا الله ﷻ واستعاضتهم عنها بتعاليم بشرية (متى 23: 15-8).

¹ אלמאליח, אנרהים ורביעי, כרך. מלון חדש ושלם: עברי – צרפתי, 7: 3434-3435.

² Flavius, Joseph. « Autobiographie de Flavius Joseph. » Ibid, p : 8 ; 10.

³ Farmer, William Reuben. *Maccabees, Zealots, and Josephus: An Inquiry into Jewish Nationalism in the Greco -Roman Period.* Ibid, p: 178.

9/إشعيا 29: 13). ومن ثم فإن القضية التي اشترك في معارضتها الجليليون - ومنهم عيسى عليه السلام بوصفه من الجليل (متى 21: 11) ويهوذا الجليلي وكل الفلاحين الذين عانوا ويلات الاحتلال الروماني والتسلط الكهنوتي في الدفاع عنها - هي استغلال الدين في سياسية الشعب وحرمانه من حقوقه في العيش الكريم¹ وهذا لا يتعارض مع رسالة السماء التي تدعو إلى العدل.

أما فرقة الزيلوت فلم تكن مناضلة بهذا المفهوم، إذ التمرد الذي له صلة بفكر الغيرة لم يتم في فلسطين وحدها بل في كل من مصر وليبيا وغيرها. ولم تكن تلك البقع مقدسة لدى اليهود ولا حملت أي دلالات مسيحية خاصة. ولذلك فإن حرب اليهود ضد الرومان كان لها صبغة دينية ذات بعد عالمي تم تطعيمها بالأفكار المسيحية عن اقتراب نهاية العالم. ومن ثم فإن دراسة كلمة الزيلوت تسهم كذلك في فهم سياق الثورة اليهودية وخلفياتها. كما أنها تسهم في فهم العلاقة التي ربطت نضال الشعب ضد الظلم وعلاقة ذلك برسالة عيسى والأنبياء التي لا ترضى بالظلم.

نجد في التوراة العبرانية أن كلمة "قنء" קנא ترد لأول مرة في سفر الخروج (20؛ 34/5؛ 14) وتكرر في سفر التثنية (4؛ 5/24؛ 9/6؛ 15)، للدلالة على صفة من صفات الإله التوراتي وهي صفة الغيور الذي لا يقبل عبادة غيره، لكن الكلمة "قنء" קנא أو "قنءه" קנאו انتقلت في سفر العدد (5؛ 14 و 15/25؛ 11 و 13) للدلالة في البداية على غيرة الرجل على زوجته جراء شكه في خيانتها له، فيقوم بعرضها على الكاهن الذي يقوم بطقس يسمى تقديم الغيرة أو شريعة الغيرة (العدد 5؛ 29) ليكشف ما إذا كانت زوجته قد خانتها، ويبدو

¹ Aslan, Reza. *Zealot: The Life and Times of Jesus of Nazareth*. New York: Random House, 2013, p: 100-104.

أن الغرض من هذه الشريعة تبرؤ الرجل أمام الإله التوراتي من ذنب المرأة في حالة ما إذا كانت خائنة.

ومعنى كلمة "قنء" $\kappa\alpha\iota\ \nu\epsilon\epsilon$ في نفس السفر يدل على الغيرة على الإله التوراتي، تلك الغيرة المستمدة من الإله نفسه، بحيث إنها عين غيرة الرب، فيقول مؤلف التوراة على لسان الرب: [«فِيئَحَاسُ بْنُ أَلِيعَازَرَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنُ قَدْ رَدَّ سَخَطِي عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكُونِهِ غَارَ غَيْرَتِي فِي وَسْطِهِمْ حَتَّى لَمْ أَفْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِغَيْرَتِي. لِذَلِكَ قُلْ: هَآنَذَا أُعْطِيهِ مِيثَاقِي مِيثَاقَ السَّلَامِ، فَيَكُونُ لَهُ وَلَدٌ مِنْ بَعْدِهِ مِيثَاقَ كَهَنُوتٍ أَبَدِيٍّ، لِأَجْلِ أَنَّهُ غَارَ لِلَّهِ وَكَفَّرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»] (عدد 25؛ 11 و 13)¹. وهذا الفعل من فنحاس الكاهن اللاوي حفيد هارون النبي هو الذي سيكون النموذج الأمثل للفكر الزيلولتي الذي سينهجه اليهود والمسيحيون المتحمسون للشريعة. وعلى العموم فإن الفعل "قنء" $\kappa\alpha\iota\ \nu\epsilon\epsilon$ يدل على غيرة للرب وتعصب للشريعة وتحمس لها، وهذا العمل -كما يدل سفر العدد- أمر يرضي الرب التوراتي.

ولم يكن الإنجيل أول من ذكر كلمة زيلولت ($\zeta\eta\lambda\omega\tau\eta\varsigma$ = Zilotis) باللغة اليونانية، بل ذكرت الكلمة قبل ذلك في سفر المكابيين الأول (2؛ 27 و 54 و 58)، والترجمة المعتادة لها في اللغة العربية تدور حول الغيرة، والفعل "غار". فنقرأ في سفر المكابيين: [فَلَمَّا رَأَى مَتَتِيَا ذَلِكَ غَارَ وَارْتَعَشَ حِقْوَاهُ وَاسْتَشَاطَ غَضَبًا وَفَاقًا لِلشَّرِيعَةِ (وحرفيا "موافقا للشريعة") فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ] (المكابيون الأول 2؛ 24).

¹ ينظر: الفغالي، بولس وعوكر، أنطوان (ترجمة). النصوص المذكورة في العهد القديم العبري ترجمة بين السطور: عبري-عربي، الطبعة الأولى. بيروت: المكتبة البولسية، 2007.

تعتبر الغيرة من الخصال التي كان يمتاز بها اليهودي المتدين منذ القديم، ولقد كان فنحاس قدوة الحشمونيين، لذلك ورد في سفر المكابيين [وَعَارَ لِلشَّرِيعَةِ كَمَا فَعَلَ فِنْحَاسُ بِزُمَرِي بْنِ سَالُو. وَصَاحَ مَتَنِّيَا فِي الْمَدِينَةِ بَصُوتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا كُلُّ مَنْ غَارَ لِلشَّرِيعَةِ وَحَافِظًا عَلَى الْعَهْدِ فَلْيَخْرُجْ وَرَائِي] (المكابيون الأول 2؛ 24-27). وقد اتخذت هذه الغيرة في القرن الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد اتجاهها سياسيا أكثر من قبل عند حزب الغيورين¹.

وترد كلمة زيلوت (ζηλωτής = Zilotis) اليونانية في العهد الجديد في عدد من المواضع أهمها ما ورد في إنجيل لوقا (6؛ 15) وهو النص الذي يشير إلى سمعان الغيور أحد تلامذة المسيح. وقد رُود كذلك في أعمال الرسل (21؛ 20) حديث عن أولئك الغيورين للشريعة الذين عبروا عن استنكارهم لتقليل بولس من شأن الشريعة، ولذلك استخدم لفظ «زيلوت» (ζηλωτής = Zilotis) للدفاع عن نفسه فقال: [«وَكُنْتُ غَيُورًا لِلَّهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعُكُمْ الْيَوْمَ»] (أعمال الرسل 22؛ 3).

تعمد يوسيفوس تجنب تسمية الزيلوت واستبدالها باسم قاطع طريق (Brigand/Lestai) (ληστή = مرقس 14؛ 43 و48) لطمس مميزاتا في الشريعة اليهودية². ولعل مصدر هذه التسمية روماني بحت، حيث وصف به ملاك أراضي فقدوها بسبب الحروب والاحتلال، فصاروا مجرمين خارجين عن القانون. ولكن كثيرا من هؤلاء لم يفقهوا فلسفة الغيرة ومع

¹ ينظر: الرهينة اليسوعية. الكتاب المقدس: العهد القديم، الطبعة الثالثة. بيروت: دار المشرق، 1988، ص: 958.

² الفغالي، وعوكر، والخوري، وفخري (ترجمة). العهد الجديد ترجمة بين السطور، يوناني - عربي، الطبعة الأولى. بيروت: الجامعة الأنطوية، 2003 ص: 247. وينظر:

La bible, Second 21. Genève : Société Biblique de Genève, 2007 ; Flavius. Histoire des Juifs, Tome Quatrième, Livre IV, Chapitre XXXIV, p : 559.

ذلك وافقوا الزيلوت في قضية رفض دفع الضريبة للرومان باعتباره خطيئة. ومع ذلك، نجد بعض الأغنياء قد انضموا إلى المتمردين ضد الرومان بدافع الغيرة على الدين¹.

إن للفظ الزيلوت أو الغيرة جذورا توراثية، حيث يعبر هذا اللفظ عن توجه ديني لدى المؤمنين بالشرعية فهم متعصبون لها ومستमितون في حماية كل المقدسات المتعلقة بالإله التوراتي، حتى وإن كان ثمن تلك الغيرة الموت. ويمكن القول إن الزيلوت هم الجماعة أو الأفراد الذي يتبنون حس المسؤولية تجاه دينهم ووطنهم. ومن ثم فهم يرفضون أي تبعية وأي تدخل أجنبي في شؤونهم الاجتماعية والدينية. ويقومون بحملات تطهيرية حتى من داخل أتباع ديانتهم لمنع أي مخالفة للشرعية وذلك باللجوء إلى العنف وحمل السلاح وأحيانا الاغتيال.

المبحث الثاني: مفهوم فرقة الغيورين.

إن الرأي التقليدي الأولي عن الغيورين يشير إلى كونهم فرقة دينية يهودية مثل الفريسيين والصدوقيين وغيرهم. ولعل يوسفوس فلافيوس يرى هذا الرأي لأنه يسميهم الفرقة الرابعة². وإن كان في الواقع يقول باللغة اليونانية "أيريسي" (αἱρεση) والتي تعني المدرسة الفلسفية وقد تعني كذلك الهرطقة، ولكن يوسفوس يقصد بالذات أن الفرق اليهودية ما هي إلا ما يقابل عند اليونان المدارس الفكرية باعتبار أن قراءه من الهلنسيين³.

¹ Seward, Desmon. *Jerusalem's Traitor: Josephus, Massada, and the Fall of Judea*. Cambrige : Da Capo Press, 2009, p : 118; Flavius. *Histoire des Juifs*. Ibid. Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XII, p : 231; « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Ibid. Livre V, Chapitre I, p: 724.

² Flavius. *Histoire des Juifs*, Ibid, Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XII, p : 231.

³ Josephus. *Jewish Antiquities*, Trans. Ralph Marcus. London: William Heineman, 1957, Book XIII, para.9, p: 310; Paul, Robert Stephen. *Etymological Dictionary of Greek*. Ed. Alexander Lubotsky. Leiden: Koninklijke Brill, 2009, p: 42.

أشارت الدراسات الأكاديمية المعمقة لكتابات يوسفوس إلى أن الزيلوت ليسوا فرقة؛ بل جناح أو حزب سياسي وتنظيم عسكري متطرف من الفريسيين. فقد ذكر يوسفوس أن الفلسفة الرابعة تتفق في كل شيء مع الفريسيين إلا في تمسكهم الحرفي في أنه لا سيد إلا الله¹. وقد صرح يوسفوس بطريقة ملتوية عن علاقة الفلسفة الرابعة بالفريسيين. لكن يوسفوس استخدم لفظة الزيلوت فقط في سياق الحديث عن ألعازر بن سمعان². وأما البقية الذين سكت عنهم فلا يخرجون عن كونهم فرقا "ستاستاسيا" (στασιασταί) سواء سكاريين أو كهنة فريسيين لا يؤمنون بالعنف، ومن هؤلاء أتباع ألعازر بن حنانيا الكاهن ورفاق يوحنا بن كوشالا وسمعان برجوريا وأتباعه والأدوميين³.

رغم أن نشأة مفهوم الغيرة جنينيا يعود إلى عهد المكابيين (187 ق.م.) فإن ظهور الغيورين الرسمي ورد تحت مسمى "قطاع الطرق" (ληστής) (Lestis) بقيادة حزقيا الذي أعدم على يد هيرودس الكبير سنة 37 ق.م. ولما قام يهوذا ابنه بإعادة إحياء ثورة أبيه في السنة الرابعة للميلاد لم يذكرهم يوسفوس إلا تحت مسمى الفلسفة الرابعة وخاصة أثناء بروز أتباع يهوذا الجليلي (الجولاني) الذي قاد تمردا واسعا في فلسطين في أيام الاكتتاب الذي أجراه كيرينيوس⁴ (Quirinius) (6-11م) والمتعلق بالإحصاء من أجل دفع الضرائب لروما (أعمال

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Ibid, Livre XVIII, Chapitre II, p: 474-475.

² Hengel, Martin. *The Zealots: Investigation into the Jewish Freedom Movement in the Period from Herod I until 70 A.D.* Ibid, p: 62-63.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Ibid, Livre II, Chapitre XLIV, p: 653.

⁴ كيرينيوس (51 ق.م. – 21م): المفوض العام الروماني في سورية منذ سنة 6 م، وقد أجرى إحصاء ضريبيا ثار بسببه مجموعة من اليهود، وقد ذكره لوقا في إنجيله وفي أعمال الرسل. السواح، فراس. *الغاز الإنجيل، الطبعة الأولى*. دمشق: دار التكوين 2012م، ص: 158.

الرسل 5؛ 37). وقد طالب يهوذا بعصيان الرومان والامتناع عن دفع الجزية لروما¹. كما ترك يهوذا بن حزقيا ولدين هما: سمعان، ويعقوب، ولم يذكر سوى أنهما حوكما بالصلب من قبل تيبيريوس يوليوس ألكساندر² (Tiberius Julius Alexander) حوالي سنة 46م بتهمة التمرد³. وقد يعتقد البعض أن يهوذا بن حزقيا هو نفسه يهوذا الجولاني لكن يوسيفوس يفرق بينهما حين يشير إلى أن طموح يهوذا بن حزقيا هي طموح ملكية بينما يوضح أن يهوذا الجولاني يرفض أي ملك سوى الرب⁴. وفيما بين سنتي 66م و70م قاد مناحم وهو ابن يهوذا الجليلي⁵ ثورة واسعة بقيادة السكاريين⁶ سميت بالحرب اليهودية الرومانية، ثم استمرت بعد اغتياله حتى سنة 74م، حيث تم تخريب أورشليم وتدمير الهيكل.

¹ Flavius. *Histoire des Juifs*. Ibid. Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XII, p : 231

² تيبيريوس يوليوس ألكساندر (10 ق.م – بداية القرن الميلادي الثاني): ولد من أسرة يهودية ثرية بالإسكندرية وكان عمه هو فيلو السكندري، لكنه ترك الديانة اليهودية. صار واليا رومانيا على يهوذا بين سنتي 46م و48م. ثم صار واليا بالإسكندرية. وقد كان شديدا على اليهود حيث يروى أنه قتل خمسين ألف يهودي في تمرد بالإسكندرية. وقد شارك في الحرب اليهودية تحت قيادة فسباسيانوس وتيطس كذلك.

Schoenfeld, Andrew J. "Sons of Israel in Caesar's Service: Jewish Soldiers in the Roman Military." *Shofar*, vol. 24, no. 3, 2006, pp. 115–126, p: 116-120; *Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology*. Ed. William Smith. London: Taylor and Walton, Vol. 1, 1869, p: 126.

³ طابور، جيمس د. *سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة*، الطبعة الأولى، ترجمة: سهيل زكار. دمشق: دار قتيبة، 2008، ص: 132؛ Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Quatrième, Ibid, Livre XVII, Chapitre XII, p : 150.

⁴ Lake, Kirsopp. "Simon Zelotes." *The Harvard Theological Review*, Vol. 10, No. 1, January 1917, pp. 57-63, p: 61.

ليس هذا فحسب بل إن تعبير يوسيفوس هنا بقوله "شخص يسمى يهوذا" بعد أن ذكر يهوذا ابن حزقيا قبل ذلك يدل على أن يهوذا الجولاني ليس هو يهوذا ابن حزقيا. Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Ibid. Livre XVIII, Chapitre I, p: 473-474.

⁵ Ibid. *Histoire des Juifs*. Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XXXII, P : 313.

⁶ Jackson, Kent P. « Revolutionaries in the First Century. » *Brigham Young University Studies: Masada and the World of the New Testament*, Vol. 36, No. 3, 1996-97, pp. 129-140, p: 132.

ولما تمت هزيمة اليهود بأورشليم لم يتبق من المتمردين إلا من فر من السكاريين إلى "مسادا" (Massada) أو المسعدة¹ بقيادة ألغاز بن جاير قريب مناحم، فاختار هؤلاء الانتحار على الاستسلام للرومان². ولعل الزيلوت والسكاريين تشكلوا مجددا وشاركوا في التمرد اليهودي الثاني بين 132م و135م ولكن قائد هؤلاء ادعى أنه المسيح ومن ثم اختلف فكره عن فكرهم بحيث لم يدع أحد من الزيلوت في القرن الميلادي الأول أنه المسيح بل ارتبط ادعاء المسيحية فقط بالسكاريين³.

ولم يذكر خلال هذه الأحداث لفظ الزيلوت إلا بوصفهم أتباع ألغاز بن سمعان باعتبارهم مولودا جديدا أنتجته الحرب اليهودية ضد الرومان. يقول يوسيفوس بعد أن ذكر أتباع ألغاز بن سمعان ومشاركتهم في الحرب: "لقد رأينا من خلال ما ذكرناه من قبل عن ولادة ونمو الزيلوتيين الذين كانوا السبب الأول لخراب أورشليم بعد السيطرة عليها. لقد انقسمت هذه الطائفة وأخرجت أخرى من رحمها، فمثلها كمثل الوحش حين لا يقوى على مقاومة غيظه فيوجهه غضبه على نفسه"⁴. وهو من ثم يتحدث عن الزيلوت باعتباره مولدا

¹ مسعدة: الأصل أنه جبل بالقرب من أورشليم يطل على الساحل الغربي للبحر الميت، شرقي صحراء النقب، يمكن الإشراف منه على منطقة واسعة، يوجد على قمة الجبل بقايا قلعة قديمة وقصر. المصدر المعلومات عن تاريخ الموقع هو تاريخ حرب اليهود ضد الرومان لفلافيوس، وحسبه فالقلعة بناها هيرودس في الفترة ما بين 37 و31 ق.م، وقام بملئها بالسلاح والكنوز ونوى اللجوء إليها في حالة تمرد رعاياه عليه.

Seward, Desmon. *Jerusalem's Traitor*. Ibid, p : xii.

² Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Quatrième, Livre VII, Chapitre XXXI., pp : 535-537; Livre II, Chapitre XXXII, pp : 313-314; Tome Cinquième, Livre IV, Chapitre XII, pp : 483-485; Chapitre XXIV, p : 531.

³ Lake, Kirsopp. "Simon Zelotes." Ibid, p: 61; Zeitlin, Solomon. « Zealots and Sicarii. » Ibid, p: 396-398.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Ibid. Livre V, Chapitre I, p: 723. « On a vu par ce que nous en avons rapporté la naissance et l'accroissement de la faction des zéloteurs qui, ayant usurpé la domination, fut la première cause de la ruine de Jérusalem. Cette faction se divisa et en produisit une autre, comme on voit une bete farouche tourner sa fureur contre elle-même lorsque dans sa rage elle ne trouve rien qui lui résiste ».

جديدا لا تربطه علاقة بالفصائل السابقة كالفلسفة الرابعة والسكرارين وهو نفسه أنتج كيانا آخر أطلق عليه يوسيفوس كذلك اسم الزيلوت، لكنه لم يحدد قائدهم ولعله كان شخصا ذكره يوسيفوس وقد كان من الكهنة واسمه زكريا بن أنفيكانوس¹. وعلى العموم فظهور الزيلوت -إذا صح فهم الباحثين لقصد يوسيفوس- لم يتم إلا في ظرف وجيز ما بين سنة 67 و71م أي في مدة لا تتجاوز الأربع سنوات ثم اختفوا بعد ذلك دون أي ذكر لهم.

يعتبر الكثير من الباحثين أن الفصائل التي أحدثت اضطرابات منذ عهد هيرودس إلى ما بعد دمار الهيكل زيلوتا، ومنهم من يعتبرهم إرهابيين² وفريق آخر منهم مجاهدين، إذ عكسوا معنى الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة والجرأة، فقاموا مجاهدين ضد الظلم لم تأخذهم في الله لومة لائم لأنهم رأوا في العنف الوسيلة الأنجح للتغيير³. كما وصفهم يوسيفوس بالطغاة والملحدين⁴، وما اسم الزيلوت إلا ستار استخدم لكسب ثقة الشعب الكاره لهم وتقديم لأنفسهم في صورة الغيورين في سبيل مجد الرب. ورغم مجهودات الزيلوت البروباغندية فإن الشعب قد انقلب ضدهم أيما مرة⁵. ولكن السلطة الرومانية أطلقت على كل هؤلاء المتمردين من اليهود اسم قطاع الطرق وليس الزيلوت أو السكرارين ولا الفلسفة الرابعة وذلك لتبرير إبادةهم.

¹ Ibid. Livre IV, Chapitre XV, p: 697.

² Aslan, Reza. *Zealot*. Ibid, p: 154.

³ ظاظا، حسن. *الفكر الديني الإسرائيلي*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1971، ص: 260.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XII, p: 693.

⁵ Ibid. *Histoire des Juifs*. Tome Cinquième, Livre IV, Chapitre XIV, p : 492.

وخلاصة القول إن فكر كل هذه الفصائل المقاتلة ضد الرومان يدور حول حاكمية الرب وحده، "لأنهم لا يرون سيدا وملكا إلا الله، ولديهم رغبة جامحة في التحرر"¹. ويتسم فكر السكارين بشكل خاص بالشعبوية والتفكير المسيحاني² الذي يؤمن بالمسيح الملك إذ سيأتي من أجل تخلص إسرائيل من نير الاحتلال وإقامة الشريعة اليهودية. وقد اعتمدت كل هذه الفصائل أسلوب حرب العصابات في ثوراتهم ضد الرومان، واستولوا على أورشليم سنة 66م. وهذا يطرح إشكالية بخصوص التمييز بين الجماعات المسلحة التي قادت الثورة ضد الرومان.

المبحث الثالث: التمييز بين الزيلوت والسكارين والفلسفة الرابعة.

إن التمييز الحاصل عند بعض الباحثين بين الزيلوت والسكارين والفلسفة الرابعة من المباحث الجوهرية. لأن الحكم على هذه الفصائل يحتم على الباحث معرفة عين المحكوم. كما أن ربط أي علاقة بينهم وبين الحركة المسيحية المبكرة ينبغي أن يكون دقيقا فلا يصح ربط ديانة بحركات لم تثبت توحيدها الفكري ولا العملي.

منذ الحرب اليهودية الرومانية وإلى بداية القرن الثالث الميلادي لم يعرف أحد المؤرخين الزيلوت فرقةً مستقلة. فلم يذكرها يوسفوس قبل سنة 60م، كما يذكرها التلمود باعتبارها فرقة بل أفرادا منذ عهد الحشمونيين³. في حين أن الإنجيل لم يعتبرها فرقة بل أورد فقط ذكر سمعان الغيور الذي لم يسمع عنه أنه تحلى بصفاتها. ولم يخش بولس من أن يعتبر

¹ Ibid, Tome Quatrième, Livre XVIII, Chapitre II, P : 176.

² منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم. م.س، ص: 126.

³ Hengel. *The Zealots: Investigation into the Jewish Freedom Movement in the Period from Herod I until 70 A.D.* Ibid, 1989, p: 395.

نفسها غيوراً مع العلم أن فكره يختلف تماماً عنها. وقد ذكر يوستينوس الشهيد (Justine Martyr)¹ فرقاً يهودية غير معروفة مثل المعمدانين (Baptists) والميرستاي (Meristai) ولكنه لم يذكر الزيلوت. ونفس الشيء فعله هيجيسبوس (Hegesipuss)² حيث أورد اسم المسبوثيين (Masbutheans). وأخيراً ذكرها هيبوليتوس (Hippolytus)³ ليوضح أنها مجرد جناح ضمن فرقة الأسينيين التي تشتمل على أربعة فصائل؛ أحدها من عادة أعضائها أن يقتلوا غير المختونين الذي يتكلمون عن الله والتوراة ولذلك سمو بالزيلوت أو السكارين⁴. جر هذا الأمر مارك بورغ (Marc Borg)⁵ ليستنتج أن الثورة اليهودية ضد روما اندلعت في البداية على مراحل متفرقة زمنياً، في شكل احتجاجات شعبية سلمية تزعمها كهنة يهود. ولهذا لم يكن لمصطلح الزيلوت ذكر ولا وجود حينها. ولكن رد الرومان العنيف عليها أدى بعد ذلك إلى وقوع اغتالات بين صفوف اليهود أنفسهم، وهي طريقة حرب العصابات التي عرف

¹ يوستينوس (100-160م): هو من نابلس وهو مثقف هلنسي وفيلسوف يوناني قبل أن يصير مسيحياً. تنصر في أفسس وأسس مدرسة في روما. وقتل هناك أثناء اضطهاد أنطونيوس بيبوس (138-161). ولم يبق من مصنفاته سوى دفاعيته وحواره مع تريفون اليهودي. رستم، أسد. آباء الكنيسة، الطبعة الثانية. بيروت: المكتبة البولسية، 1990م، ص: 64-65.

² هيجيسبوس (110-180م): من آباء الكنيسة الأوائل، كرس معظم مصنفاته لضد أقاويل الغنوصية، وقد ضاعت ذكرياته ولم يبق منها منذ القرن السابع عشر، سوى ما اقتطفه المؤرخ يوسابيوس القيصري. نفسه، ص: 95.

³ هيبوليتوس (170-235م): من الآباء الشهداء وهو من روما. يعتبر آخر روماني يؤلف باللغة اليونانية. اتهم بالزندقة وأنشأ كنيسة مستقلة. ثم نفاه الإمبراطور مكسيمينوس إلى سردينية ومات هناك. وقد ضاعت كل مؤلفاتهم وذلك راجع لكونه غير أرثوذكسي الآراء ومن أشهرها كتاب ضجد الهرطقات. نفسه، ص: 160-161.

⁴ Borg, Marc. «The Currency of the Term 'Zealot'». *The Journal of Theological Studies*, Vol. 22, No. 2 October 1971, pp. 504-512, p: 507-510.

⁵ مارك بورغ (1942-2015): فيلسوف ولاهوتي أمريكي متخصص في العهد الجديد. وهو أحد أهم أعضاء ندوة يسوع. كان يشغل منصب أستاذ الدين والثقافة بجامعة ولاية أوريغون. توفي بعد ترك أعمالاً علمية كثيرة منها كتاب *Conflict and Social Change* وكتاب *Conversations with Scripture*.

بها السكاريون، مما أشعل فتيل الحرب التي انضم إليها أخيرا فرقة حربية أو جناح عسكري يهودي سمي عناصره أنفسهم بالزيلوت تيمنا بأعمال إيليا وفنحاس والمكابيين¹.

في المقابل يرى باحثون مثل كريستوف ميزانج (Christophe Mézange)² أن الزيلوتيين كانوا أيضا يقومون بتصفية اليهود المتعاونين مع الرومان، ويرجع ذلك لإيمانهم بمبدأ "التطهير"³ حيث أنذر الرب بتدمير أورشليم بسبب الكهنة الفاسدين، ولتجنب ذلك كان الزيلوتيون يغتالونهم⁴. ولكن كثيرا من الأدلة تفيد أن تصفية اليهود قد تمت على يد السكاريين خاصة أن الاعتقاد بوحدة الفرقتين أوقع كثيرا من الباحثين في هذا الخلط⁵.

وفي المقابل نجد في المشنا أن كل: "من يضاجع أرامية، فإن للغيورين أن يصيبوهم"⁶. وهنا كلمة "هقنائيم" معرفة مما يدل على أنها جماعة معروفة منذ عهد الحشمونيين. فببتين أن الزيلوت كانوا مجموعة من الأفراد يتصرفون بالنيابة عن المجتمع في فترة الحشمونيين⁷. وطبعا كان نمطهم هو نفس نمط فنحاس حيث كانوا يقومون باغتيال المخالف للشرعية ومدنسها، وهذا نفس نمط السكاريين.

¹ Borg, Marc. «The Currency of the Term 'Zealot'». Ibid, pp. 504-512, p: 512.

² كريستوف ميزانج: أستاذ لمادة التاريخ الإغريقي وروماني في المعهد العالي للمهن بمدينة لافال بكندا. حاصل على دكتوراه في التاريخ. قدم عدة أعمال منها *Les Sicares et les Zélotes au tournant de notre ère*.

CÉAS de la Mayenne. « Christophe Mézange, spécialiste des Sicares et des Zélotes «Le sujet reste encore brûlant» ». *Société*, Avril 2005, pp. 1-4, p : 1.

³ Mézange, Christophe. *Les Sicares et les Zélotes, la révolte juive au tournant de notre ère*. Paris: Librairie Orientalise Paul Geuthner, 2003, p :211.

⁴ Mézange, Christophe. *Les Sicares et les Zélotes*, p: 185.

⁵ Applebaum, Shimon. « The Zealots: The Case for Revaluation. » Ibid, p: 155.

⁶ ترجمة متن التلمود (المشنا): نزقين - الأضرار. ترجمة: مصطفى عيد المعبود، الطبعة الأولى. مكتبة النافذة، القاهرة، 2007، السهدين، المبحث الرابع: السهدين - المحكمة العليا-، الفصل التاسع، فقرة و، القسم الرابع، ص: 181.

⁷ Hengel, The Zealots: Investigation into the Jewish Freedom Movement in the Period from Herod I until 70 A.D, p: 395.

وعلى العموم فقد لاحظ مارتن هينجل أن يوسيفوس يفرق بين المصطلحين زيلوت وسيكاريين في الحرب اليهودية ويخص أتباع مناحم بمصطلح سكاريين وهم أولئك الذين فروا للمسعدة وانضموا لألعازر بن جاير. بينما يطلق على جماعة ألعازر بن سمعان اسم الزيلوت. ورغم أنه كان يحاول أن يكون دقيقا فيوظف أسماء مختلفة لمجموعة من الفرق، فإنه يمكن اعتبار المجموعتين أي السكاريين والزيلوت فرقة واحدة، ولكن نموذج فنحاس كان أكثر ارتباطا بالسكاريين "الحشاشين" أكثر من ارتباطه بالزيلوتيين الذين اهتموا بالكهنوت والمعبد. وعلى العموم فكلهم نظروا لفنحاس باعتباره نموذجا. وأشار هينجل إلى مثال معاصر لظاهرة الفرقانية هذه، فذكر أن الماركسيين والشيوعيين واللينين وغيرهم مرتبطون بشخص كارل ماركس، وقد يصح وصفهم جميعا بالماركسيين. ومن ثم يصح وصف كل الحراك اليهودي بالزيلوت¹.

وفي المقابل، يقول كريستوف ميزانج: "كثيرون يؤكدون أن مختلف المجموعات الثورية التي يتحدث عنها يوسيفوس -خاصة السكاريين- هم في الواقع زيلوت. بينما يعتبر آخرون أنه ينبغي التمييز بينهم"². خاصة أن يوسيفوس لم يوضح طبيعة علاقتهم بالزيلوت ككل³. ويقول سولومون تسيتلين: "من الواضح كوضوح الشمس أن يوسيفوس لا يميز بين السكاريين والزيلوت. ولهذا افترض كثير من العلماء غير الملمين بكتابات يوسيفوس أن الزيلوت

¹ Hengel. *The Zealots*. Ibid, p: 400; 403-404.

² Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes, la révolte juive au tournant de notre ère*. Ibid, p : 15.

³ Spero, Shubert. « In Defense of the Defenders of Masada ». *Tradition: A Journal of Orthodox Jewish Thought*, Vol. 11, No. 1, Spring 1970, pp. 31-43, p : 37.

والسكاريين كانوا الشيء نفسه. وقد قبل هينجل في كتابه *Die Zeloten* نفس النظرية الخاطئة¹.

يعتمد المؤيدون لنظرية الترادف بين الزيلوت والسكاريين على نصوص فلافية (أي كتابابات يوسيفوس فلافوس) ذكر فيها أن المجموعة التي يقودها مناخم هم من الزيلوت، بينما يأتي ذكر نفس تلك المجموعة في نصوص أخرى باعتبارهم سكاريين. كما يعتمد المؤيدون لهذا الطرح على دليل آخر، حيث ورد في كتاب ضحد الهرطقات (Refutatio Omnium Haeresium) لكتابه هيبوليتوس أثناء حديثه عن الأسينيين قوله: "ولهذا السبب يسمون الزيلوت، ولكن البعض يسميهم سكاريين"². ويرى ميزانج أن هيبوليتوس لم يكتف في سرد هذه المعلومات بالاعتماد على يوسيفوس، بل اطلع على مصدر خارجي، ودليله أن هيبوليتوس اعتبر الزيلوت والسكاريين ضمن فرقة الأسينيين³، وهذا بخلاف يوسيفوس.

لكن ابتداء من النصف الأخير للقرن العشرين تم طرح نظرية جديدة تعتبر السكاريين تيارا معارضا للزيلوت، وذلك بناء على إعادة قراءة للنصوص الفلافية⁴. كما أن باحثين لم يكتفوا بوضع أدلة على التمييز بين الاسمين، بل أتوا بأدلة تنفي أي وجود للزيلوت أو السكاريين قبل سنة 66م. ودليل أصحاب النظرية الجديدة هو استعمال يوسيفوس لمصطلح

¹ Zeitlin, Solomon. « Zealots and Sicarii. » Ibid, pp. 395-398; 397. « "It is crystal clear that Josephus does differentiate between the Sicarii and the Zealots. Many scholars, however, not well versed in the writings of Josephus, have assumed that the Zealots and the Sicarii were the same. Dr. Hengel, in his book, *Die Zeloten*, has accepted the same faulty theory ... »

² Hippolytus. *Refutatio Omnium Haeresium*, ed. Miroslav Marcovich. Berlin: Walter de Gruyter, 1986, Book IX, para. 25, p: 371. « ὁθεν ἐκ τοῦ συμβαίνοντος (καὶ) το ὄνομα προσέλαβον, Ζηλωται καλούμενοι, ὑπὸ τίνων δὲ Σικάριοι. »

³ Mézange. *Les Sicaire et les Zélotes*. Ibid, p: 17-18.

⁴ Ibid, p: 20.

"الفلسفة الرابعة" بدل الزيوت أو السكارين خلال حديثه عن يهوذا الجليلي، وعدم تسميتهم زيوتا إلا خلال بداية الحرب اليهودية.

أما بالنسبة للتمييز بين الزيوت والسكارين، فمن بين تلك الأدلة البارزة التي يعتمد عليها المميزون، نجد أن يوسيفوس حينما كان يتحدث عن الثوار يقول إن: "السكارين قدموا أول مثال على الفوضى والقسوة..." ثم أردف قائلا: "لكن تفوق على فتنتهم جنون الأدوميين (...)" وأما المدعوون بالزيوت (...) فكانوا أشد قسوة بطبعهم¹.

ويعلق ميزانج موضحا أن: "هذه الإشارة التي ميز فيها يوسيفوس بوضوح بين مجموعات السكارين والزيوت هي من الأدلة المؤسسية والحاسمة التي تؤكد على أن السكارين لا يمكن أن يكونوا زيوتا". كما بين أن كل ما سبق من أدلة على عدم التمييز يعود لأخطاء في النسخ أو الترجمة². وفي النسخة اليونانية لأعمال الرسل (21: 38)³ استخدم مصطلح سكارى للدلالة على النبي المصري الذي خلق الاضطرابات ما بين 52 و60م. كما أن يوسيفوس عمم استعمال "سكارى" على جماعة المسعدة وهذا يجعل استخدامه في الأعمال تاريخيا، لكنه لم يستخدمه للدلالة على المدافعين عن أورشليم ضد تيطس⁴.

¹ Josephus. *The Jewish War*. Trans. J. Thackeray. London: William Heineman, 1957, Vol. 3, VIII, Para. 1, 578-581. "The Sicarii were the first to set the example of this lawlessness and cruelty (...) Yet even their infatuation was outdone The by the madness of the Idumaeans (...) In this the so-called the Zealot (...) so brutal was their nature ..."

² Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 23.

³ الفغالي، بولس وعوكر، أنطوان (ترجمة). *النصوص المذكورة في العهد القديم العبري ترجمة بين السطور: عبري-عربي، م.س. ص: 688*.

⁴ Applebaum, Shimon. « The Zealots: The Case for Revaluation. » Ibid, p: 163-164.

ولقد اعتبر أبيلبوم أمر التسميتين معقدا؛ فإن أول اسم استعمله يوسيفوس هو "لستاي" (Lestai) أي قاطع طريق في خضم حديثه عن حزقيا وبعد تأسيس يهوذا للفرقة الرابعة. أما بعد مقتل مناحم، وصف يوسيفوس في "التاريخ اليهودي" ألغاز بن جاير بالسكاري، حيث ظهر هذا المصطلح بين 66 و68م. كما كان يوسيفوس أحيانا يستخدم العبارتين زيلوت و"لستاي" (lestai) تبادليا. وكلمة "لستاي" يستعملها الرومان للإشارة إلى كل المجرمين الذين يستخدمون العنف المسلح أو أي جماعة تعادي روما. ويرى أبيلبوم أن هذا التمييز خاص بيوسيفوس وليس بالإدارة الرومانية، والهدف منه تشويه صورة الزيلوت فقط، خاصة أن مصطلح "ليستيم" (listim) استخدم في الأدب الربّي للدلالة على قطاع الطرق أو اللصوص دون أن يدل على الزيلوت؛ بل كان يدل أحيانا على الجنود الرومان والحكام والقواد. ويستنتج هينجل أن المصطلح "ليستاي" وإن كان ازدرائيا ومستخدما أولا من قبل الرومان، يمكن أن يكون قد أضحى عنوانا للشرف عند النشطاء اليهود، وهو مرتبط أكثر خاصة بالجماعة الجليلية التي أسسها يهوذا، والتي عرفت نهايتها في المسعدة¹.

لكن ميزانج بعد عرضه للآراء السابقة، قدم إجابة يمكن اعتبارها حلا وسطا لهذا النزاع. حيث ذكر أن الزيلوت والسكاريين شكلوا فريقا موحدًا يمكن تسميته فلسفة رابعة منذ سنة 6م إلى غاية 66م ميلادية، لكنهم بعد مقتل مناحم قائدهم انقسموا، فسميت طائفة منهم زيلوتا، وأخرى سميت سكاريين².

¹ Applebaum, Shimon. « The Zealots: The Case for Revaluation. » p: 163-164.

² Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 33.

وقد توصل مورتون سميث إلى خلاصة مفادها أن الحراك اليهودي ضد روما هو عبارة عن ائتلاف أو تحالف ثلاثي بين ثلاث فرق وهي: الفلسفة الرابعة التي تأسست سنة 6م وفرقة الزيلوت وفرقة السكاريين اللتان ظهرتتا سنة 67م¹. ولم يكن لفرقة يهوذا الجليلي (الفلسفة الرابعة) في المقاومة سوى دور محتشم، ولكن تحالفهم مع طبقة الكهنة التي أشعلت الثورة مكنتهم من السيطرة على مدينة أورشليم ومن ثم ترأسنة المسعدة التي مكنتهم من تسليح كتائب من مختلف الفصائل بقيادة مناحم للسيطرة على المدينة، لكن نفس حلفائهم من الطبقة الكهنوتية أجهزوا عليهم. وفر حلفاؤهم الآخرون (السكاريون) إلى المسعدة ولم يكن لهم أي دور كبير هناك إلى حين نهاية الحرب سنة 73م. اللهم لجوء بعضهم لمصر وشرق ليبيا وفشلهم الذريع في إعادة التشكل من جديد. وهذا يعني أنه لم يعد هناك وجود للزيلوت حتى مرت سنة على اغتيال مناحم (67-68م)، وهذا لا يمنع وجود زيلوتيين على شكل أفراد قبل سنة 67م، حيث مثلوا عنصرا مهما ضمن أتباع ألعازر بن سمعان خاصة أنهم منعوا المفاوضات، رغم عدم وجود دليل على أنهم شكلوا فرقة، غير أنهم شكلوا ممثلين للفلسطينيين ولا سيما اليهوديين والفلاحين بصفتهم معادين لطبقة الأرستقراطية والكهانة العليا للمعبد خاصة الحكام الأجانب. وقد شكلوا عصابة صغيرة نسبيا ولكنها ناضلت بقوة وكان لها تأثير، فكانت تحاول تقوية نفسها عن طريق التحالفات، فأدت دورا مهما ومحددا في الدفاع عن المدينة ومن ثم تورطت في النهاية في دمار المدينة².

¹ Jackson, Foakes & Lake, Kirsopp. eds. *The Beginning of Christianity*. New York: The Macmillan Company, 1933, p: 161.

² Smith, Morton. « Zealots and Sicarii, Their Origins and Relation. » Ibid, p: 18-19.

وجاء ديفد رودز (David Rhoads)¹ ليقتراح أن جوهر وقيادة هذا التحالف تكون من كهنة أورشليم. وقد أشار إلى أن اسم الزيلوت قد أطلق على الفلسفة الرابعة أو اتخذته الجماعة فيما بعد اسما لها. ومع ذلك فإن فواكس جاكسون (Foakes Jackson)² أشار بوضوح إلى أن السكارين ما هم إلا فريق آخر ظهر في سنة 66 متأثرا بأفكار الزيلوت³. وعلى العموم فإن أي من الباحثين لم يهتم باسم "الزيلوت" باعتباره علما ينبغي التركيز عليه لمعرفة سر التناقضات التي أدت إلى لبس في كتابات يوسيفوس خلال حديثه عن المتمردين ضد الرومان⁴. ولعل يوسيفوس يبالغ في منح الفلسفة الرابعة امتياز الامتداد حتى سنة السبعين، بينما اقتصر أمرها على السنة السادسة وذلك طبقا لما جاء في سفر أعمال الرسل (5: 37). فقد تفرق أتباع يهوذا الجليلي ولم يعد لفرقته "الفلسفة الرابعة" وجود. ولا تكون تلك العلائقية التي خاط نظمها يوسيفوس سوى تأويلا للأحداث التاريخية التي يسردها⁵.

¹ دايفيد رودز (1941م): لاهوتي وأكاديمي تخرج من جامعة أكسفورد ويشغل منصب أستاذ العهد الجديد والأديان بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية. من أعماله *Performance Criticism* و *Israel in Revolution 6-74 C. E. A Political History*. of Israel based on the Writings of Josephus.

David M. Rhoads Professor of New Testament, Emeritus. n.d. Retrieved 01 December 2020, from <https://www.lstc.edu/academics/faculty/david-rhoads>.

² فواكس جاكسون (1855-1941): مؤرخ الكنيسة الحديثة. شغل منصب عميد كلية يسوع بكمبردج وشغل بها أستاذ المؤسسات المسيحية والاتحاد اللاهوتي. كتب *The beginning of Christianity* و *the first History of the Christian Church*. Mucz, David. "Frederick John Foakes-Jackson Papers, 1916-1941." *Union Theological Seminary Archives 1*, The Burke Library Archives, Columbia University Libraries, Union Theological Seminary, New York, pp: 1-4.

³ Jackson, Foakes & Lake, Kirsopp. eds. *The Beginning of Christianity*. Ibid, p : 282-286.

⁴ Jackson, Foakes & Lake, Kirsopp. eds. *The Beginning of Christianity*, p: 161-162.

⁵ Hengel. The Zealots, p: 79; Horsley, Richard A. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt. » *Novum Testamentum*, Vol. 28, Fasc. 2 April 1986, pp. 159-192.

إذا اعتبرنا أن الزيلوت هم جماعة ظهرت سنة 67م، فإنه يمكن أن نستخلص من رواية يوسيفوس أنهم ظهروا بعد أن انتقل الجيش الروماني للشمال الغربي من يهوذا في خريف سنة 67م. حينها فر كثير من أهل الأرياف والفلاحين اليهود أمام تقدم الرومان، وشكلوا تنظيمًا عصائيا. وكونوا ائتلافا في مدينة أورشليم مع النازحين الجدد من القرى إلى أورشليم، مما أدى لزيادة عددهم. وبمجرد الهجوم على الحكومة المؤقتة بأورشليم باعتبارهم حكومة موازية، انتفضت الأرستقراطية الكهنوتية ضدهم، فحثت الناس في أورشليم على رد عدوانهم بعد أن كان هؤلاء الأورشليميون في البداية مذبذبي الرأي تجاه الزيلوت. وقد أدى ذلك إلى محاصرة الزيلوت داخل أسوار الهيكل. ومع ذلك وبمساعدة الأدوميين استطاع الزيلوت بفضل تعاون يوحنا بن كوشالا قلب الموازين واسترداد السيطرة على المدينة، وقاموا إثر ذلك بإعدام الكهنة ومنهم يشوع وحنانيا¹.

لكن الزيلوت بعد ذلك انقسموا إلى طائفتين: الأولى تبعت يوحنا بن كوشالا، والطائفة الثانية انضمت إلى "الملك" القادم من الأرياف سمعان برجوريا. وطائفة ثالثة تكونت من الأدوميين وكبار الكهنة الذين تأمروا مع سمعان برجوريا ضد الطائفة الأولى. إضافة إلى ذلك، انقسمت الطائفة الأولى بقيادة العازر بن سمعان ضد أتباع يوحنا بن كوشالا. وهؤلاء هم من يعتبرهم ريتشارد هورسلاي² (Richard A. Horsley) زيلوتا، لأن يوسيفوس ذكر حرفيا أنهم

¹ Horsley, Richard A. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt. » Ibid, p: 163-164.

² ريتشارد هورسلاي: شغل منصب أستاذًا في الفنون الليبرالية ودراسة الدين في جامعة ماساتشوستس بوسطن. كان يرى أن عيسى آمن بنفس الفكر المسيحاني المعاصر له وكان هو كذلك يتوقع ثورة وشبكة تغير مجرى التاريخ وتعيد للناس حقوقهم. كتب مؤلفات عديدة أكثرها مقالات ومن الكتب *The Liberation of Christmas: The Infancy Narratives in Social Context* و *Sociology and the Jesus Movement*.

كذلك¹، وعددهم لا يتجاوز 2400 شخص، بينما يتجاوز عدد أتباع يوحنا بن كوشالا 6000 شخص ويفوقهم عددا أتباع سمعان برجوريا الذين يصل عددهم لـ 10000 شخص، وأما الأدوميون فعددهم 5000 شخص، وبهذا يشكل الزيلوت أقلية ضمن هذا الحراك الثوري. ومع ذلك فإن صمودهم في الحرب فاق الآخرين حسب يوسيفوس².

حينما دخل الزيلوت أورشليم هاجموا كل أصحاب الجاه والمال وكل من لهم علاقة بالإدارة الرومانية. ولم يكن انقضاضهم عليهم هياجا أو من قبيل الغوغائية، وإنما قاموا بمحاكمتهم وإن على وجه صوري – حسب رأي يوسيفوس- واتهموا معظمهم بالخيانة والتآمر مع الرومان لتسليم المدينة، وهي تهم ثابتة في حق أصحابها حسب النصوص الفلافية نفسها. وكان الزيلوت يطمحون في أن ينضم بعض الشباب الأرستقراطي إليهم، ولهذا السبب أجلوا النطق بالحكم عليهم³.

كما أن بعض الباحثين يرون أن يوسيفوس لم يشر إلى الثائرين جميعا باسم الزيلوت، فبالإضافة لاسم السكاريين، نجده يشير إلى أتباع يوحنا بن كوشالا وإلى ميليشات الأدوميين وأتباع سمعان برجوريا باعتبارها مجموعات أخرى⁴. وقد كان يوسيفوس يطلق اسم الزيلوت فقط على أتباع ألعازر بن سمعان ليشير إلى تعصبهم، ولكنه لم يطلقها على مجموعة بعينها

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains.» Ibid. Livre V, Chapitre XVI, p: 738.

² Horsley. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt. » p: 164-165.

³ Horsley. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt. » p: 172-174.

⁴ Jackson, Kent P. « Revolutionaries in the First Century » . *Brigham Young University Studies*, Vol. 36, No. 3, Masada and the World of the New Testament, 1996-97, pp. 129-140, p : 129.

إلا بعد سنة 68م إبان الثورة، باعتبارهم مجموعة منظمة لمنافسين على السلطة ضد الحكومة المؤقتة بأورشليم¹.

يمكن اعتبار الزيلوت -استنادا إلى الأدلة السابقة- جماعة من عامة الشعب أضحت ضحية للعنف الروماني، ومن ثم كان ملاذها الوحيد هو التحول إلى المقاومة. ويمكن الخروج بنتيجة مفادها أن الزيلوت لم يكونوا فرقة دينية ولا فلسفة أيدت المقاومة المسلحة ضد السلطة الرومانية. كما أنهم لم يأتوا بمفهوم الغيرة، ثم سعوا لتحقيقه دون هوادة. كما أنهم لم يكونوا من النخبة المثقفة التي تزعمت قضية أمتها. إن هذه الصفات السابقة الذكر ترتبط أكثر بالحسيديم² والفلسفة الرابعة والسكرابين وكذلك الفريسيين. وحسب ريتشارد هورسلاي فإنه لا وجود لأدلة تدعم ارتباط الزيلوت بهذه الفرق. وقد كان هجوم الزيلوت مقتصرًا على الهيروديين من الطبقة الأرستقراطية في سياق اجتماعي، ولم يكن لهم أي نية في السيطرة على المدينة، ولذلك فإنهم لم يهاجموا الكهانة العليا، ومع ذلك فإنهم دافعوا عن أنفسهم بعد أن حشدت الكهانة العليا أهل أورشليم ضدهم، وكان انتصار الزيلوت على الكهانة العليا منفا لسيطرتهم على المدينة. وكان أهم إنجاز لهم هو عرقلة المفاوضات السلمية مع الرومان التي كان يعتزم كبار الكهنة القيام بها. ووفرت عرقلة المفاوضات وقتًا لمجموعات أخرى لتتشكل وتتحرك لاستكمال المقاومة ضد السلطة الرومانية³.

¹ Desmon. *Jerusalem's Traitor: Josephus, Massada, and the Fall of Judea*. Ibid, p: 143.

² حسيديم: فرقة يهودية. وأصل المفردة الكنعانية حسد والأرامية حسديء بمعنى التقي والمتدين. والمصطلح مشتق من المفردة حسده والتي تعني طائر اللقلق الذي يبدو من مظهره الخارجي وكأنه يتعبد. لذلك فالحسيديون هم الصالحون لأنهم كانوا ميالين لاجتهاد في الأعمال الصالحة. والأخذ بما هو أحوط في الدين وأسلم في التقوى. وكانوا من المنشغلين في التسبيح والعبادة. وقد ظهرت هذه الفرقة في الصورة أيام الاحتلال السلوقي لفلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد. منى. *مقدمة في تاريخ فلسطين القديم*، ص: 231-232؛ يوسفوس. *تاريخ يوسفوس اليهودي*، م.س، ص: 93-95.

³ Horsley. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt. », p: 192.

إن هذا الطرح يقود إلى استنتاج مفاده أن الزيلوت لم يكن لهم دور كبير في الحرب اليهودية، بل سرعان ما انتهى أمرهم على يد بقية الفصائل بعد الحرب الأهلية التي قامت فيما بينهم¹. كما أن تسيتلين أشار إلى أن السكاريين هم الآخرون لم يشاركوا في الحرب اليهودية ضد الرومان بين سنتي 66 و70م بحسب يوسيفوس². ومن ثم لا يكون للزيلوت وكذلك للسكاريين دور كبير في الثورة، وهذا فيه إشارة صريحة اعتمادا على ما ذكره كينت جاكسون (Kent P. Jackson)³ أن أتباع يوحنا كوشالا وميليشات الأدوميين وأتباع سمعان برجوريا⁴ هم من أدوا دور البطولة في الحرب اليهودية الرومانية. وهذا الاستنتاج ينقض النظرية التي ضخمت من أمر الزيلوت باعتبارها فرقة رئيسية في الحرب اليهودية، بل وينتقد أعمال يوسيفوس نفسه الذي حمل مسؤولية خراب الهيكل والآفات التي حلت باليهود للزيلوتيين والسكاريين وحدهم.

وعلى العموم فإن كلمة زيلوت أو سكاري أو الفلسفة الرابعة هي مجرد كلمة تعم فكرا معينا مهما كان انتماءه. فإن الحرب اليهودية تمت بدوافع مسيحية وغير مسيحية، ومن ثم فإن كل تلك التيارات التي حاربت الرومان عبرت عن فكرة واحدة تلخص في محاربة الرومان بوصفهم أمما وثنية تحتل أرضا مقدسة في نظر اليهود. لكن كان لكل منهم رؤيته الخاصة لتلك الحرب ودلالاتها، ولذلك بغى كثير منهم على بعض فجاوزا الصواب.

¹ Jackson, Kent P. « Revolutionaries in the First Century ». Ibid, p: 133.

² Zeitlin, Solomon. « Zealots and Sicarii. » Ibid, p: 396.

³ كينت جاكسون (1949): عالم أمريكي وأستاذ المخطوطات القديمة بجامعة بريغهام يونج بروفو - يوتا. من كتبه *From Apostasy to Restoration*. The Restored Gospel and the Book of Genesis.

⁴ Jackson, Kent P. « Revolutionaries in the First Century. », p: 129.

الفصل الثاني:

الجدور الفكرية للزليوت

عندما يتم الحديث عن الجذور الفكرية للزيلوت، فالمقصود ليس الفرقة بعينها ولكن العقيدة التي أنتجت؛ سواء فرقة الزيلوت أو الفلسفة الرابعة أو السكاريين أو غيرهم من الفصائل اليهودية المتمردة في القرن الميلادي الأول. فالغيرة هي العقيدة التي نبعت من الكتاب المقدس وقد تبورت عبر مراحل ليس بوصفها جزءا من التفكير اليهودي لما بعد السبي فحسب بل جزءا من المسيحية البولسية كذلك. وهذه العقيدة هي نفسها التي أنتجت نظاما سياسيا في فترة المكابيين. كما تشكلت الغيرة باعتبارها مدرسة فلسفية مرجعيتها الفكر اليهودي الكهنوتي في تلك الفترة.

المبحث الأول: الجذور الكتابية للغيرة ومراحل تطورها.

تدل عبارة "قنءوني بلا أل" קנאני בלא אל على إثارة غيرة الرب¹، وتفيد غضب الرب وانتقامه، ولذلك فإن غيرة الرب لم تكن غيرة من أجل عبادة الإسرائيليين لآلهة غيره فحسب، بل كانت غيرة على شعبه المختار أيضا. فكان يهوه يصب جام غضبه على شعبه بالأوبئة والأمراض والشتات قصد أن يعيدهم إليه. فكانت غيرته مرتبطة بالغضب، كما ارتبطت باللهب والنار. ومن ثم ارتبطت تلك الغيرة بالعنف الإلهي، وهو العنف الذي سينتقل للإنسان بدءا من فنحاس ومرورا بدادود (مزمور 69؛ 10)، وانتهاء بالزيلوت أنفسهم، لتكون بذلك غيرتهم غيرة إلهية. فإن جوهر الغيرة سواء كان بشريا أو إلهيا فهو الرغبة في صون التحالف بين الله وشعبه بالقدر الممكن.

¹ ألامأליח, אנרהים ורביעי, כרך. מלון חדש ושלם: עברי – צרפתי, מ.ס. 7: 3421.

يرى ميزانج أن ارتباط الزيلوت بالعهد الموسوي ونصوصه أقوى من ارتباطهم بالمتأخرة منها، خاصة أن هذه النصوص تتحدث عن عهد جديد، بينما الزيلوت لا يبحثون عن عهد جديد بل عن تحديث للعهد القديم. فينطلق الزيلوت من نص التثنية (28؛ 1-51) لاستنتاج أن هجر التحالف مع الله - والذي يتمثل في عدم احترام اليهود للشرعية - هو سبب احتلال الرومان لليهودا، فالخلاص لا يمكن أن يتم إلا بالغيرة. كذلك فإن العهد الذي بين الله وشعبه أن يكون لهم إلههم وأن يكونوا له شعبا (خروج 6؛ 7)، وهذا يعني مناهضة الوثنية ويتضمن تطهير معبد أورشليم من الوثنيين¹.

لعل التوراة أضفت الشرعية على الفكر الزيلوتي ببناء الرب على فنحاس بن ألعازر الكاهن اللاوي حفيد هارون أخي موسى النبي عليهما الصلاة والسلام (عدد 25؛ 11 و13/ خروج 6؛ 25)، وذلك لغيرته على بني إسرائيل الذين زنوا مع المؤابيات اللائي أرسلهن بلعام بن بعور، فقمّن بإغراء شعب إسرائيل حتى دفعوه لعبادة الإله الوثني الكنعاني بعل² فغور، فغضب الرب وابتلى بني إسرائيل بالبوءاء. ولما حضر أحد الرجال الإسرائيليين أمام موسى ﷺ ليقدّم امرأته المؤابية لبني إسرائيل، قام فنحاس الكاهن بقتله غيرة للرب، فارتد غضب الرب، وأثنى على هذا العمل الذي اعتبر بطوليا من هذا الكاهن اللاوي الذي ورث الكهنوت في نسله مكافأة على شهامته. وأمر الرب بعدها بمهاجمة المديانيين عقابا على إغرائهم لبني إسرائيل. وحسب التوراة: لولا غيرة الكاهن فنحاس لكان عقاب الرب سيّطال كل بني إسرائيل، وذلك لورود قول الرب: [«ضَايِقُوا الْمَدْيَانِيِّينَ وَاضْرِبُوهُمْ، لِأَنَّهُمْ ضَايِقُوكُمْ

¹ Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 144-146 ; 151 ; 154-158; 191-192 ; 210-211.

² بعل: اسم سامي معناه رب، سيد، مالك، زوج. وكان البعل هو كبير الآلهة عند الكنعانيين. و"البعلیم" جمع "بعل". بباوي، ويليم وهبة وآخرون. دائرة المعارف الكتابية، الطبعة الثانية. القاهرة: دار الثقافة، 2001م، المجلد الثاني، ص: 175.

بِمَكَائِدِهِمِ الَّتِي كَادُواكُمْ بِهَا فِي أَمْرِ فَعُورَ وَأَمْرِ كُزِّي أُخْتِهِمِ بِنْتِ رَئِيسِ لِمْدْيَانَ، الَّتِي قُتِلَتْ يَوْمَ
الْوَبَا بِسَبَبِ فَعُورَ» [(العدد 25؛ 18-1).

لقد كان هذا الفكر رمزا للإيمان والتقوى منذ عهد موسى النبي، وكرّم فنحاس في المزامير
فعد عمله برا خالدا: [فَوَقَّفَ فَيَنْحَاسُ وَدَانَ، فَاُمْتَنَعَ الْوَبَا. فَحَسِبَ لَهُ ذَلِكَ بَرًّا إِلَى دَوْرٍ قَدُورٍ،
إِلَى الْأَبَدِ] (المزمور 106؛ 30 و31)، ثم صار فنحاس الكاهن النموذج الأمثل للمكابين.

وفي ما يخص إيليا أو إيلياهو ﷺ فقد ارتبط اسمه من جهة بالفكر المسيحاني، كما ارتبط
من جهة أخرى بالغيرة على العقيدة، وقد عاصر إيليا ملك إسرائيل الشمالية آخاب¹ الذي
أغضب الرب بزواجه من أميرة صيدونية ولعبادته بعل، فأخذت إيليا الغيرة على الدين على
ما تفشى في إسرائيل من فساد وكفر فنادى بالإصلاح، وتواجه مع آخاب، وقدم للشعب إمارة
على صدقه وكذب أنبياء بعل، فقال: [«أَنَا بَقِيتُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ وَحْدِي، وَأَنْبِيَاءُ الْبَعْلِ أَرْبَعُ مِئَةٍ
وَحَمْسُونَ رَجُلًا. فَلْيُعْطُونَا ثَوْرَيْنِ، فَيَخْتَارُوا لَأَنْفُسِهِمْ ثَوْرًا وَاحِدًا وَيُقَطِّعُوهُ وَيَضَعُوهُ عَلَى
الْحَطَبِ، وَلَكِنْ لَا يَضَعُوا نَارًا. وَأَنَا أَقْرَبُ الثَّوْرَ الْآخَرَ وَأَجْعَلُهُ عَلَى الْحَطَبِ، وَلَكِنْ لَا أَضَعُ نَارًا.
ثُمَّ تَدْعُونَ بِاسْمِ إِلَهَتِكُمْ وَأَنَا أَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ. وَالْإِلَهُ الَّذِي يُجِيبُ بِنَارٍ فَهُوَ اللَّهُ»].

ثم أمر بإعدامهم جميعا، فقال: [«أَمْسِكُوا أَنْبِيَاءَ الْبَعْلِ وَلَا يُفْلِتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ». فَأَمْسَكُوهُمْ،
فَنَزَلَ بِهِمْ إِيلِيَا إِلَى نَهْرٍ قَيْشُونَ وَذَبَحَهُمْ هُنَاكَ]. (الملوك الأول 18؛ 22-40).

فننفذ فيهم حكم القتل غيرة على العقيدة، بعد أن تبين بمعجزة زيف تعاليمهم وإضلالهم
لشعب إسرائيل، وكانت لإيليا معجزات أخرى مثل إحياء الموتى (الملوك الأول 17؛ 18-21)،

¹ آخاب: ملك إسرائيل وهو ابن عمري الذي خلفه على العرش. وقد بدأ حكمه حوالي 875 ق.م. في السنة الثامنة والثلاثين من ملك آسا ملك يهوذا (ملوك الأول 16: 29).

وكانت آخر معجزة له أن صعد إلى السماء (الملوك الثاني 2؛ 11). وورد كذلك أن إيليا عائد (ملاخي 4؛ 5)، وأنه سيقوم بدور أساسي في العصر المسيحاني حسب الفكر اليهودي¹. وهذا اعتقاد اليهود حتى في عهد عيسى ﷺ (لوقا 9: 8).

يرفض هورسلاي القول بأن فكرة الغيرة لها علاقة بمقاومة الرومان. وقد خالفه هينجل وآخرون في ذلك، فأشاروا إلى أن يوسفوس قام بحذف أي علاقة بين الغيرة وإيليا وفنحاس والحشمونيين، لأنه ينكر تلك الجذور باعتبارها أصلاً للغيرة. ويذكر لويس فلدمان² (Louis Feldman) مثلاً في مقالة له أن يوسفوس تلاعب متعمداً بقصة يهورام بن يهوشافاط ليخفي جانب الغيرة الزيلوتية في شخصية يهورام (ملوك أول 19: 10-14 / ملوك ثاني 10: 16). وهذا "يلمح إلى ارتباط بين مقاومة الرومان والغيرة"³.

إن أحداث فنحاس وإيليا لا تخلوا من فكر ثوري مقاوم للأجانب؛ فمن جهة أولى يعتبر فنحاس شخصية مقاومة للأجانب لثلاثة أسباب، أولها السلالة التي ينتمي إليها (التكوين 34: 25 / الخروج 32: 25-29)، وثانيها أن فعله (العدد 25) يأتي في سياق محاولة بني إسرائيل السيطرة على أرض كنعان في صراعهم مع الأجانب (العدد 31 / 25 / 22)، وكان سبب قتل فنحاس للإسرائيلي والعاهرة الكنعانية؛ هو أن العمل اعتبر خيانة لإسرائيل لأنها أرسلت من

¹ الغندور، نبيل أنسى (ترجمة عن العبرية). المسيح المخلص في المصادر المسيحية اليهودية، الطبعة الأولى. الجيزة: مكتبة نافذة، 2007، ص: 97.

² لويس فلدمان (1926-2017): عالم أمريكي ومؤرخ في التاريخ والأدب اليهودي، وهو من خريجي جامعة هارفرد. كان مهتماً بكتابات يوسفوس وفيلو السكندري، ومما كتب في ذلك Scholarship on Philo and Josephus.

"In Memoriam, Dr. Louis Feldman." Accessed 27 March 2017. Retrieved 02 December 2020, from <http://blogs.yu.edu/news/in-memoriam-dr-louis-feldman/>

³ Goodblatt, David. « Priestly Ideologies of the Judean Resistance. » *Jewish Studies Quarterly*, Vol. 3, No. 3, 1996, pp. 225-249, p: 243; Feldman, Louis H. « Josephus' Portrait of Jehu. » *Jewish Studies Quarterly*, Vol. 4, No. 1, 1997, pp. 12-32.

قبل بلعام بن بعور المتآمر على الشعب الإسرائيلي، ولقد ورد اسم فنحاس حين أقدم على قتلهم مقترنا باسم لاوي (العدد 25: 7) كأنها إشارة إلى ارتباط هذا الفعل الغيور بالسبط الكهنوتي، وهذا يشير إلى علاقة الفلسفة الرابعة بالكهانة اللاوية، ومن جهة أخرى يمكن ربط قتل المرأة المديانية من طرف فنحاس (العدد 31؛ 25؛ 27) بالحرب المقدسة التي قادها إيليا ضد أنبياء بعل انتقاما من المديانيين الذين لهم تاريخ دموي مع إسرائيل (الملوك الأول 18: 40)¹.

إن هذه الفرضية توضح لماذا شارك كثير من الكهنة في الثورة اليهودية الأولى². كما أن الغيرة فضيلة بالنسبة ليو سيفوس، خاصة أنه وصف بها هيرودس الكبير أثناء تشييده للهيكل. لقوله: "وقدموا لملكهم التبريكات التي تستحقها غيرته"³. ولكن هذه الغيرة لم ترتبط بالضرورة بمن سموا أنفسهم بالزيلوت، بل بالفلسفة الرابعة والسكرابين والكهنة الفريسيين وغيرهم ممن شارك في الحرب اليهودية ضد الرومان.

تسمى الفرقة التي أسسها يهوذا بالفلسفة الرابعة وهي ما يقابل في الزمن المعاصر المدرسة الفكرية أو الإيديولوجيا. كما وصف مؤسسها يهوذا الجليلي بالمعلم. ومن جهة أخرى فإن سمعان ويعقوب ومناحم وألغاز بن جاير سكاربون من أقرباء يهوذا الجليلي، ومن ثم فإنهم ينتمون إلى نفس المدرسة. وقد عرف حراكهم السياسي بشعار "لا سيد إلا الله" والدعوة إلى الحرية من التبعية للرومان الممثلة في الضريبة الإحصائية. ومن أهم صفات الحركة أنها

¹ Goodblatt, David. « Priestly Ideologies of the Judean Resistance. » Ibid, p: 242-245.

² Ibid, p: 248.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Ibid, Livre XV, Chapitre XIV, p: 417. « et donnèrent ensuite à leur roi les louanges que son zèle méritait. »

مستعدة للموت. فهم مستعدون كذلك لإنزال العقوبة بمن خالف الشريعة حتى لو كانوا أقارب أو أصدقاء. وقد تمتع سكاريو مصر بنفس هذه الصفات، ولذلك رفضوا الاعتراف بقيصر سيدها، رغم التعذيب الذي تعرضوا له. ولهذا يقول يوسفوس إن: "تأسيس فرقة رابعة، جذبت وراءها كل من كانت لهم رغبة في التغيير وأدى ذلك إلى شر كبير، ومن ثم لم تضطرب يهوذا فقط بل ألفت بذور كل الشرور"¹.

يوجد صدى لصفات الفلسفة الرابعة في التقليد الكهنوتي ليهود الهيكل الثاني، وخاصة الفريسي. فقد ورث الكهنة عن النبي حزقيال وتلامذته عقيدة سيادة الرب. كما يوجد صدى هذا الفكر في مكتبة قمران² وباروخ وعزرا الرابع³. وفي الكتاب المقدس نجد تلك الأيديولوجيا الكهنوتية المناهضة للملكية حاضرة (صمويل الأول 18). وفي كتاب ضد أبيون⁴ نجد يوسفوس يدافع عن الشيوقراطية أو الهيروقراطية أي حكم الكهنة نظاما ارتضاه الرب في مقابل الملكية والأوليغارشية والجمهورية. ولذلك نظر للحشمونيين عبر التاريخ بصفتهن كهنة لا ملوكا. مع العلم أن هذا الجانب في السياسية الشرعية اليهودية هو محض اجتهاد،

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. », Livre XVIII, Chapitre I, p: 474. « La vanité qu'eurent Judas & Sadoc d'établir une quatrième Secte, & d'attirer après eux tous ceux qui avaient de l'amour pour la nouveauté, fut la cause d'un f grand mal. il ne troubla pas, seulement alors toute la Judée; mais il jetta les semences de tant de maux. »

² مكتبة قمران: اسم يطلق على مجموعة اللقائف التي عثر عليها بالقرب من البحر الميت. وقد حدث ذلك سنة 1947 على الأرجح، حيث عثر عليها أحد البدو في أحد الكهوف في المنحدرات العالية في وادي قمران فقام هذا البدوي ببيع بعضها لأحد سماسرة الآثار في بيت لحم. أما بقيتها فوصلت إلى يد رئيس دير السريان الأرثوذكسي في أورشليم، ليتم فحصها من قبل العلماء فأثبتوا أنها تحفة أثرية قديمة قدر زمنها بين 168 ق.م و 233 ب.م. ثم نقلت إلى المعاهد الأمريكية، فصورت، وبدأت التنقيبات الأثرية في الموقع. وقد حوى الكهف منتهي لفافة تحتوي نصوص قانونية من العهد القديم وأخرى غير قانونية أو غير معروفة، فاشتملت على نسخة كاملة من سفر أشعياء، وتعليق على سفر حبقوق، وكتاب سمي بالـ"نظام" لاشتماله على قواعد حكمت الجماعة القمرانية، وبعض الإصحاحات من سفر التكوين بصياغة أخرى سمي "التكوين الأبوكريفي"، وكذلك مخطوطة "أنظمة الحرب" و"ترانيم الشكر" ونصوص أخرى. نشرت من هذه الكتب عدة ترجمات من أصلها العبري والآرامي منذ 1955م. بباوي، وليم وهبة وآخرون. دائرة المعارف الكتابية. م.س، المجلد الثاني، ص ص: 85-90.

³ Applebaum, « The Zealots: The Case for Revaluation. » Ibid, p : 157.

⁴ أبيون: كاهن مصري من مدينة الأسكندرية. ورد في مؤلف يوسفوس أنه إبان عهد الإمبراطور كاليغولا رأس وفدا من مدينة الأسكندرية ليشكروا أمر اليهود بمن فيهم فيلون السكندري الذي كان يرأسهم. من أعماله شرح ملحمة الإلياذ. وكتابه تاريخ مصر الذي ذكر فيه قصة موسى واليهود. ويرجح أنه كان السبب في إثارة الإمبراطور كاليغولا ضد اليهود، هذا الإمبراطور الذي أمر بوضع تمثال في معبد أورشليم. فلافيوس، يوسفوس. آثار اليهود القديمة: محاوراة ضد أبيون، الطبعة الأولى. ترجمة: محمد حمدي إبراهيم. المكتب المصري للطبعات: القاهرة، 2007. ص: 285، 292.

ولا يوجد نص كتابي صريح يحدد نوعية معينة للحكم السياسي. وهذا الحكم -كما يعرفه يوسيفوس- يعني وضع السلطة كلها والحكم بيدي الله ﷻ، ومن ثم يكون الكهنة هم أصحاب الشأن الأعلى للبت في الأحكام الخاصة بالكهنة والشعب الإسرائيلي. يقول يوسيفوس على لسان موسى: "كفى بالله حاكماً"¹.

يضيف يوسيفوس: "الثيوقراطية هي من دون شك شكل ممتاز من أشكال الحكم. لأنها تضع السلطة بين يدي أشرف الناس. تمسكوا بها كي لا يكون لكم سيادة إلا للقوانين التي يهبها الله وكفى به قائداً لكم"². ومن خلال سرد يوسيفوس لكبار الكهنة الذين انتموا جميعهم لسبط لاوي -حيث توارثوا المنصب أباً عن جد- استنتج أن الحكم اليهودي هو حكم أرستوقراطي، وأن السلطة وضعت بين يدي شخص واحد والمقصود به الله ﷻ³. حيث يقول في كتاب ضد أبيون: "وهل هناك ما هو أرفع مقاماً، أو أكثر عدلاً، من هذا النظام الذي يجعل الله على رأس كل المخلوقات، والذي يمنح للأخبار على بكرة أبيهم حق المشاركة في إدارة أشد الأمور رفعة وقدرًا، والذي يعهد إلى الحاخام (الأكبر) بقيادة الأخبار الآخرين بمقتضى سلطته؟ فالحق إن مشرعنا قد قضى بأن يحظى هؤلاء (الأخبار) - منذ البدء بمكانتهم السامية" إلا لكونهم "أكثر قدرة من غيرهم على الإقناع والتمتع بالحكمة والرشد"⁴.

¹ Goodblatt. « Priestly Ideologies of the Judean Resistance. » Ibid, p: 227-231. « For God Sufficeth for your ruler. »

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Ibid, Livre IV – Chapitre VIII, p: 98. « L'aristocratie est sans doute une très bonne sorte de gouvernement, parce qu'elle met l'autorité entre les mains des plus honnêtes gens. Embrassez-la donc afin de n'avoir pour maitres que les lois que Dieu vous donne, puis qu'il vous doit suffire qu'il veuille bien être votre conducteur. »

³ Ibid. Livre XX, Chapitre VIII, p: 538.

⁴ فلافيوس، يوسيفوس. آثار اليهود القديمة: محاوراة ضد أبيون، م.س. ص: 206؛ 214.

ولهذا يخلص مارتن هينجل بعد تصفحه للعهد القديم والأبوكريفا إلى أن يهوذا يعبر صراحة عن الفكر اليهودي في سيادة الله لهذا العالم وبالأخص شعبه إسرائيل الذي لا ينبغي له أن يرى ربا سواه. وهو من ثم لم يقم إلا بعملية تضيق وتشديد على الوصية الأولى التي تقول: «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ (...) لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي» (الخروج 20؛ 2-3). وهو باختصار تفعيل للبعد السياسي لكلمة التوحيد والدعوة إلى مملكة الله؛ أي حكم ثيوقراطي وهذا لب الفكر اليهودي في ذلك الوقت. ولكن المحفز الرئيسي لهذه الدعوة هنا هو تزايد بروز عبادة الإمبراطور في الشرق، ولذلك دمر مجموعة من الغيورين النسر الذي وضع عند بوابة الهيكل؛ لأنه رمز هيلينسي وثني يشير لخادم الإله، وهو كذلك يعبر في الأدب أبوكاليبسي اليهودي عن الحكم الروماني، وقد كان هيرودوس الكبير يعتبر نفسه خادما للإمبراطور أو على الأكثر يده اليمنى بفلسطين¹.

لعلها ليست مصادفة أن يكون شريك يهوذا الجليلي في تأسيس الفلسفة الرابعة فريسي يدعى صادوق، خاصة أن الفكر الفريسي يقترب من فكر الفلسفة الرابعة في مسألة "لا سيد إلا الله". كما لا يخفى على المختصين أن صادوق اسم كهنوتي له علاقة مباشرة بسبط لاوي (حزقيال 43: 19). إضافة إلى ذلك، فقد سمي ألعازر بن جاير في نسخة يوسيفوس العبرية كاهنا². وقد أظهر يوسيفوس في النسخة اليونانية بوضوح أن ألعازر بن حنانيا وألعازر بن سمعان كانوا من الكهنة³. إن الغيرة على هذا الأساس ليس سوى انعكاسا للكهنوت اليهودي. فهل اعتبر يهوذا مؤسسا للفلسفة الرابعة نظرا لترأس سلالته الأحداث اللاحقة لا عكسا

¹ Hengel. *The Zealots*. Ibid, p: 98-99; 103.

² يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، م.س، ص: 219؛ 313.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XV, p: 697.

لدوره الأساس في تأسيس إيديولوجيا كهنوتية؟ لعل يهوذا لم يكن كاهنا لكن التحاقه بالفريسي صادوق جعل فكرة "لا سيد إلا الله" كهنوتية فريسية¹. حيث يقول ديفد جوتبلات (David Goodblatt)² "إن نسبا كهنوتيا مضادا للرومان له أهمية لسببين؛ الأول: يفسر لماذا كان كثير من الرومان منخرطين في الثورة ضد الرومان. رغم أن الفرقة الكهنوتية لم تكن موحدة أكثر من أي فرقة أخرى في المجتمع اليهودي، فإن انخراط كثير من الكهنة - سواء كانوا كبارا أو صغارا فاترين أو ملتزمين- في الحرب اليهودية الرومانية أمر لا يمكن إنكاره. لابد من توفر إيديولوجيا تبرر مقاومة الرومان مع وجود نسب كهنوتي قد سهل هذا الانخراط. يذكر يوسفوس كيف أن خصوم ألعازر ابن الكاهن حنانيا بن ندبائي وفروا كهنة ملمين بشريعة الأسلاف اليهودية للمجادلة ضد وقف الأضاحي المقدمة لروما والإمبراطور. لقد تم وضع هذا الحدث حجة على قبول الكهنوت عامة لتقدمات الوثنيين. ولكن نقض هذه الحجة على لسان ألعازر وداعميه لم يتم عرضه. ولعل ما تم مناقشته سابقا يرسم لنا صورة عما قد يكون جوابا قدمه ألعازر بوصفه ابنا لكاهن أعلى ورئيسا للهيكل"³. قد يكون جوابه هو نفس

¹ Goodblatt. « Priestly Ideologies of the Judean Resistance. » p: 239-241.

² ديفد جوتبلات (1940): أستاذ أمريكي بجامعة سان دييغو ومتخصص في تاريخ اليهود وخاصة يهود الشرق الأوسط في فترة ما قبل الإسلام. له كتابات مثل: *The Monarchic Principle. Studies in Rabbinic Instruction in Sasanian Babylonia* و *Jewish Self-government in Antiquity*.

"David Goodblatt." n.d. Retrieved 02 December 2020, from <https://history.ucsd.edu/people/faculty/goodblatt>.

³ Goodblatt. « Priestly Ideologies of the Judean Resistance. » p: 248-249. "The priestly pedigree of anti-Roman ideologies is important for two reasons. First, it helps explain why so many priests were involved in the revolt against Rome. Again, the priestly caste was not monolithic-any more than any other group in Judean society was. But that many priests (whether upper class or lower class, committed or halfhearted) were involved in the revolt is undeniable. The availability of an ideological justification for resistance to Rome with a good priestly pedigree must have made such involvement easier. Josephus (War 2:417) reports how opponents of Eleazar son of Hanan produced priests who were acquainted with the ancestral laws (...) to argue against cessation of sacrifices for Rome and the emperor. The argument was framed, according to Josephus, in terms of the acceptability of offerings from gentiles. No counterargument is presented on behalf of Eleazar and his supporters. The ideas discussed above give us some notion of what this son of a high priest and captain of the temple might have replied."

الصيغة التي قدمها يهوذا الجليلي لإيديولوجيته أي "لا سيد إلا الله" ومن ثم لا تقدم أضحى للإمبراطور لأنه سيد غير الله.

ثاني فرضية مهمة مقدمة هنا - إن صحت- تكمن في توفير دليل إضافي للعنصر الكهنوتي في اليهودية القديمة. حيث يضيف جوتبلات: "لعله كان من المسلم أن جزءا كبيرا من اليهودية ما قبل 70م هي من إنتاج فرقة الكهنة (...). إن الكهنة المختصين في شريعة الآباء لم يكن باستطاعتهم الإفتاء في أمور الطقوس فقط، من قبيل قضية تقديم الوثنيين بالهيكل؛ بل كان بإمكانهم إصدار آراء في القضايا السياسية، من قبيل حكم الشريعة في مقاومة الرومان. وكان رأي بعضهم على الأقل ليكون أن مقاومة حكم الرومان ينبغي أن يكون بالقوة والعنف. وهذه الفرضية ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار حين تأمل أسباب الثورة اليهودية لسنة 66م"¹.

وفي المقابل فإن أبيلوم يرى أن الكهنة الذين انضموا إلى الحراك الثوري كانوا في الغالب من الذين تم عزلهم تحت ضغط السلطة الرومانية. وقد أشار الإنجيل إلى قضية عزل الكهنة كل سنة (يوحنا 11: 49)². ومن ثم لا يكون للكهنة علاقة بفكر الثورة الغيورية، إلا إذا تعلق الأمر بزعزعة موقعهم في قيادة الشعب دينيا. ومن ثم يكون الهدف من وراء ثورتهم الغيورية سياسيا بالدرجة الأولى.

¹ Goodblatt. « Priestly Ideologies of the Judean Resistance. » p: 249. "Perhaps it is a truism that so much of pre-70 Judaism originated with the priestly caste (...) Priestly experts on ancestral laws could pronounce not only on matters of cult, such as whether sacrifices from gentiles could be accepted at the Jerusalem temple. They could also issue opinions on "political" issues, such as whether to resist Roman domination. The opinion of at least some of them was that Roman rule should be violently opposed. And this opinion should be taken into account when pondering the causes of the Judean revolt of 66."

² Applebaum. « The Zealots: The Case for Revaluation. » Ibid, p: 166.

تعني كلمة الغيرة في يهودية القرن الميلادي الأول استعمال القوة للدفاع عن التوراة ضد تهديد ملموس. وإذا تمسكنا بهذا التعريف يتبين لنا أن بولس نفسه كان غيوراً (غلاطية 1: 13-14/ فيلبي 3: 6)، حيث اعتبر المسيحيين الأوائل خطراً على التوراة فبالغ في اضطهادهم. فهل تعارض الفكر البولسي اليهودي مع الفكر البولسي المسيحي كما تعارض المسيح مع التوراة (غلاطية 5: 4)؟ من الملاحظ أن بولس لم يغير رأيه حينما انتقل إلى المسيحية. فكما أن المسيح شكل بالنسبة إلى بولس الفريسي تهديداً للتوراة، فإن التوراة شكلت تهديداً للمسيح بالنسبة لبولس الرسول.

يبدو أن فكر بولس المسيحي ما هو إلا انعكاس لفكر بولس اليهودي¹. لكن غيرة بولس انتقلت من الغيرة على الناموس إلى الغيرة على المسيح. لكن يبدو حسب تيرانسي دونالدسون (Terence L. Donaldson)² أن غيرة بولس لم تكن على التوراة وإنما على تماسك المجتمع في ذلك الوقت، خاصة أن الفرق اليهودية آنذاك باستثناء السامريين والأسينيين كانت متعايشة فيما بينها، وتقسم السلطة الكهنوتية بالتساوي إلى أن جاءت طائفة يهودية مسيحية اعتبرت تهديداً لهذا التماسك³. لكن آخرين يرون أن بولس غار على التوراة لأنه لم يكن له أن يستخدم مصطلح الغيرة الذي يرتبط بفنحاس والمكابيين دون أن تكون غيرته

¹ Donaldson, Terence, L. «Zealot and Convert: The Origin of Paul's Christ-Torah Antithesis. » *The Catholic Biblical Quarterly*, Vol. 51, No. 4, October 1989, pp. 655-682, p: 655.

² تيرانسي إل دونالدسون (1948): أستاذ بجامعة طورونطو متخصص في المسيحية المبكرة ويهودية الهيكل الثاني. كتب *Judaism and Anti-Judaism in the New Testament: Jews and the Gentiles: Jewish Patterns of Universalism*. *Decision Points and Divergent Interpretations*

“Terence Donaldson.” Accessed 02 December 1970. Retrieved 02 December 2020, from <https://www.wycliffecollege.ca/users/terry-donaldson>

³ Donaldson, Terence L. «Zealot and Convert: The Origin of Paul's Christ-Torah Antithesis. » *Ibid*, p: 670-672.

متعلقة بالتوراة، ولذلك اقترح البعض أن بولس رأى في البداية أن المسيح مضاد للتوراة لأنه ملعون إذ علق على خشبة (التثنية 21: 22-23/ أعمال الرسل 5: 30 / 39: 3 غلاطية 3: 13). هذا بالإضافة إلى كونه حوكم أمام محكمة يهودية تقضي بالشريعة اليهودية، وكانت تهمته الكفر (مرقس 14: 64).

وفي المقابل فإن دعوة بولس داخل المسيحية أبعدت أتباعها عن التوراة، لأن المسيح حسب بولس أزاح عن التوراة مركزيتها، فصار المسيح هو سر الخلاص عوض التوراة، أو بمعنى آخر صار المسيح هو التوراة الجديدة التي تستلزم غيره عليها. أو لعله تراجع عن فكرة الغيرة بعد أن عبر إلى المسيحية (فيلبي 3: 4-10)¹، أو غير مفهومه عنها فاعتبر غيرته مخالفة لغيرة الزيلوت (رومية 10: 2)، خاصة أن هؤلاء الغيورين حاولوا قتله (أعمال 21: 31 / 22: 22 / 23: 12-14).

لقد كان مفهوم الغيرة ضيقا عند بولس، ويتلخص في حفظ العرق اليهودي من الدخلاء من الأمم الهلنسية، خاصة أن الغيورين والفريسيين يشتركون في مقاومة الثقافة الدخيلة، فكان همهم الإبقاء على الأمم خارج نطاق اليهودية من أجل حفظ الناموس كي لا ينكث عهد الله ﷺ بمخالفته فيحرموا من الخلاص المنتظر (خروج 2: 3-45). وهذا هو سبب اضطهاد بولس للكنيسة. لكنه بعد ما انتقل للمسيحية وسع من نطاق الغيرة وربطه بالإيمان والتقوى (رومية 10: 2-6)². فكلمة العهد ترادف كلمة الناموس، وغيرة الزيلوت على الناموس مقصدها الأساس حفظ العهد ومنع إسرائيل عن الردة. بينما تبين لبولس فيما بعد أن العهد نعمة

¹ Ibid, p: 676-677; 679; 682.

² Smiles, Vincent M. «The Concept of "Zeal" in Second-Temple Judaism and Paul's Critique of It in Romans 10:2. » *The Catholic Biblical Quarterly*, Vol. 64, No. 2, April 2002, pp. 282-299, p: 283-285.

وليس من الضروري أن يكون مرتبطا بالشرعية التي اعتبرها لا بأس بها، لكنها لا تكفي للخلاص (غلاطية 3: 21). ومن ثم اعتبر الإيمان يعيسى ﷺ مخلصا غيرا على العهد أيضا، لكن بالإيمان وليس بالشرعية¹. ومن خلال ذلك استطاع بولس ليس فقط الفصل بين المسيحية والتوراة بل أيضا بين الغيرة والناموس. فأنج غيرة لا علاقة لها بالمقاومة المسلحة للمحتل، ولا تحمل أي ملامح أيديولوجية سياسية، فأضحت تلك الغيرة فضيلة مسيحية أتت على الغيرة اليهودية واجتثتها من جذورها.

المبحث الثاني: الجذور المكابية للفكر الزيلوتي.

المكابيون هم من الكهنة المنتسبين إلى يوياريب؛ وهو من الكهنة اللاويين العائدين من السبي (نحميا 12: 1 و 6/1 المكابيون 2: 1). وقد أشار يوسفوس إلى المكابيين باسم الحشمونيين لأن جد متتيا اسمه سمعان بن حشمون، وهناك من العلماء من يرى أن حسمون أحد أشكال أغرقة (أصل إغريقي) اسم سمعان، أو أن الأصل أكادي، وهو يشير إلى اسم لون استخدم للإشارة إلى ملابس الملك. ويرجع بعض الاختصاصيين اسم مكابي إلى أصله اليوناني مكابيوس، وافترض أنه أغرقة للفظ الكنعاني "قبة" بمعنى طرق، إلا أن كلمة "مقبت" מַקְבֵּת وردت في العهد القديم (مثلا في القضاة 4: 21) مما يشكك في صحة هذا الافتراض، ويعزز الأصل العبري للكلمة وهو المطرقة أو المضرب كناية عن ضراوة الحشمونيين في القتال. ولعل كلمة "مقبت" מַקְבֵּת تدل على مهنة القاضي، خاصة أن الكلمة تعني بالعربية ميتدة وهي المطرقة الخشبية ذات شكل البرميل، وهي التي يستخدمها القاضي

¹ Ibid, p: 297-298.

حتى في الوقت الراهن. كما قد تدل على العدل لأن الكلمة "قاب" 7 تشير مكيال قديم. وهذا المعنى ليس بعيدا عن الحشمونيين الذين مارسوا القضاء بصفتهم كهنة¹.

حكم السلوقيون؛ وهم ملوك يونانيون بالشام، بعد وفاة الإسكندر الأكبر المقدوني². وأول هؤلاء السلوقيين الذين احتلوا فلسطين كان الملك أنتيخوس أبيفانيوس الرابع (Antiochus IV Epiphanes)³. قام هذا الملك -حسب يوسيفوس- بنهب ثروات البلاد ورفع سعر الضرائب (المكابيون الأول 1؛ 31/1؛ 29/10؛ 29-31/11؛ 34)⁴. كما أمر ببناء معبد كبير للإله زيوس⁵ على التل الغربي في أورشليم، وهو ما فهم من الآثار التي عثر عليها في المنطقة في أواخر القرن العشرين الميلادي⁶. وأمر بأن تنصب أصنام على صورته وأمر بأن تقدم خنازير قربانين في جناح وثني بناه داخل مبنى الهيكل. وألزم اليهود بعبادة الأصنام التي على صورته فرفضوا ذلك. فقام رجال من الكهنة بتحريض أنتيخوس على اليهود، زاعمين أنهم ينوون الانقلاب عليه، فهجم على أورشليم وقتل جنده كثيرا من اليهود وسبى آخرين، وأكرههم

¹ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 32؛ نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الرابعة عشر. هيئة التحرير: بطرس عبد الملك وجون الكساندر طمسن وإبراهيم مطر. بيروت: دار مكتبة العائلة، 2001م، ص: 913؛ قوجمان، يحزقيل/קוגמן, יחזקאל. قاموس عبري-عربي/מילון עברי-ערבי، م.س. ص: 485 و783.

⁽²⁾ الإسكندر الأكبر Alexander Macedonia Cyning (323-356 ق.م): وهو ابن فيليب ملك مكدونية تتلمذ على أرسطو، اعتلى عرش اليونان وأسس إمبراطورية مترامية الأطراف بلغت ما بين حدود فارس ومصر ونشر فيها الثقافة الهيلينية، وهو مؤسس مدينة الإسكندرية، ترك أبناءه البطالمة ليحكموا بمصر، بينما ترك السلوقيين في الشام. بباوي وآخرون. دائرة المعارف الكتابية. المجلد الأول، ص: 268-270.

³ أنطيوخوس الرابع (164-175 ق.م): أو الأنطاكي الرابع وهو الأخ الأصغر لسلوقس الرابع وابن أنطيوخوس الثالث (الكبير). وأبيفانيوس هي صفته وتعني الظاهر ببهاء وتدل على فكر ثيوقراطي أي أن ملك زوس ظهر على الأرض. ينظر: الرهبة اليسوعية. الكتاب المقدس: العهد القديم، م.س، ص: 953.

⁴ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 130.

⁵ زيوس Zeus: معبود يوناني، وهو ملك الآلهة، وهو إله الرعد والعواصف والخصب، ويعتبر رئيس السماء وحاكم البشر والآلهة، ورأس النظام الأخلاقي ومصدره، يحفظ الحدود والمساكن وهو المصدر الأعلى للأحكام. نعمة، حسن. موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعابد القديمة. بيروت: دار الفكر اللبناني، 1994م، ص: 220-221.

⁶ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 125.

على عبادة الأصنام ومخالفة شريعة موسى ﷺ، إضافة إلى حرقه للكتب المقدسة¹، وقتل من امتنع عن الامثال. وتم تعذيب وقتل عدد من القيادات والكهنة اليهود، فما زادهم إلا إصرارا على الشريعة -حسب تعبير يوسيفوس- وعبادة الإله التوراتي دون باقي الآلهة². يظهر هنا مدى تمسك اليهود بالشريعة وغيرتهم عليها بغض النظر عن انتماءهم الفرقاني. وقد تصاعدت وثيرة الاضطهاد الديني مع السلوقيين، خاصة بعد قيام أنتيخوس بإكراه اليهود على الوثنية، وكان هذا القمع من أهم الأسباب التي أدت إلى انتفاضة الحشمونيين.

تنبغي الإشارة إلى أن للحشمونيين خلفية فكرية كانت سببا رئيسا وراء اندلاع كل الثورات في فلسطين منذ عهدهم إلى بداية القرن الثاني الميلادي، وهذه الخلفية هي الفكر المسيحاني الذي يؤمن بقدوم مسيح مخلص، وهذا الاعتقاد الذي كان في أوج انتشاره في ذلك الزمن هو الذي ساهم في تكون الديانة المسيحية فيما بعد³. وقد كان للمكابيين أدبهم القيامي الخاص بهم مثل رؤيا إشعياء (24-27)، وجزء من زكريا (12-14)، ومعظم سفر دانيال. كما ظهرت في فترة دولة المكابيين مجموعة من الأسفار القيامية الأخرى منها سفر حنوك الأول، وتهاليل، وعزرا الثالث والرابع، ويهوديت، ووصية الإثني عشر بطريركا (Patriarch)⁴. وكلها نصوص تتحدث في معظمها عن نهاية قوى الشر في العالم، وخاصة أعداء إسرائيل على يد الرب الذي سيخلص شعبه من نير العبودية. فشكلت تلك النبوات أملا عند المكابيين وشجعتهم للقيام بواجبهم المقدس.

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Ibid, Livre XII, Chapitre VII, p: 311-312.

² يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، م.س، ص: 52-53؛ 54-64. وينظر: سفر المكابيين الأول الإصحاح 1.

³ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 125-126.

⁴ نفسه، ص: 135.

كان مَتْتِيَا بن يوحنا أحد صغار الكهنة، أول من فجر الثورة (المكابيون الأول 1)، ويذكر يوسيفوس أنه قام غيرة للرب ولدينه ولقدسِه ولأمتِه، فجمع حوله رجالا كثير تحصنوا في مغارة على بعد بضعة أميال من أورشليم (المكابيون الأول 2: 1). كان أنتيخوس الرابع قد حاول إجباره هو وأبناءه على تقديم أضاحي للأوثان. فقام متتيا بقتل الجنود الذين أرسلهم أنتيخوس لإجباره ثم صرخ في الناس: "من يحب دينه وربِه فليتبعني" وهرب لصحراء أورشليم وتبعه إلى هنالك كثير من اليهود¹.

فانطلق إليهم جنود السلوقيين، فتقدم إليه بعض القواد يخاطبه بملاطفة ولين، ويدعوه إلى طاعة الملك أنتيخوس وقبول مراسيمه ويخوفه من القتل إن خالفه، وكان متتيا يجيبه بالامتناع. فلما طال بينهما الكلام وثب رجل من أشرار اليهود -على حد تعبير يوسيفوس- الذين مع اليونانيين فقال للقواد: "إني لأعجب من اشتغالكم بمخاطبة متتيا وتأخركم عما أمر به الملك في من خالفه"²، ثم إن ذلك اليهودي أخذ خنزيرا وقربه على مذبح قد بناه اليونانيون في عسكرهم لأصنام الملك وتمثيله التي كان يلزم غيره بعبادتها. ويرى يوسيفوس أنه أراد بذلك أن يغيظ متتيا وأصحابه، فلما شاهد متتيا ذلك أخذته حمية شديدة وغضب للرب ولدينه ووثب على ذلك اليهودي فضربه بالسيف ضربة رمى بها رأسه عن جثته على ذلك المذبح. ثم قتل القائد الذي كان يخاطبه، فلما رأى أصحاب متتيا ذلك تشجعوا، وتشددت عزيمتهم، واجتمعوا كلهم وهجموا على عسكر اليونانيين، وقتلوا منهم كثيرين، وهرب الباقون، فانتصروا بذلك عليهم، فتبعهم متتيا وأصحابه فقتلوهم، وأظهر

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XII, Chapitre VII, p: 313.

² يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 65-66.

متتيا ومن معه الخلاف على اليونانيين، وسمع بقايا اليهود المختفين بخبره فانضم إليه عدد كبير وعملوا على محاربة اليونانيين ومقارعتهم. وورد في سفر المكابيين [وَعَارَ لِلشَّرِيعَةِ كَمَا فَعَلَ فِنْحَاسُ بَزْمُرِي بِنَسَالُو وَصَاحَ مَتْتِيَا فِي الْمَدِينَةِ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: كُلُّ مَنْ غَارَ لِلشَّرِيعَةِ وَحَافِظًا عَلَى الْعَهْدِ فَلْيَخْرُجْ وَرَائِي] (المكابيون الأول 2 ؛ 24-27). وذلك يعني أن متتيا الحشموني رفع شعار الغيرة على الشريعة والرب ليجمع الناس حوله، ومن ثم أسس لمبدأ الغيرة الذي هو جزء من الكهنوت اليهودي. وكبد المكابيون وأتباعهم السلوقيين خسائر كبيرة. وبعد موت متتيا خلفه ابنه يهوذا (المكابيون الأول 3) الذي هزم السلوقيين مرة أخرى. وهدم يهوذا بن متتيا المعابد الوثنية (المكابيون الأول 4)، وأقام الشعائر الموسوية وعقد صلحا مع اليونانيين على ألا يتعرضوا لليهود¹.

يعود النجاح العسكري الكبير لكهنة بني حشمون لسببين؛ الأول: انشغال أنتيخوس بحرب الفرتيين² بفارس، والثاني: هو تدخل الإمبراطورية الرومانية ضد السلوقيين (المكابيون الثاني 11؛ 34-38). وتشير الأسفار إلى تنسيق سابق بين المكابيين والرومان (المكابيون الأول 1؛ 31-32)³.

وتعاهد الرومان الذين اشتد عودهم وقوي أمرهم مع يهوذا بن متتيا على أن يتعاونوا فيما بينهم وينصروا بعضهم البعض على عدوهم (المكابيون الأول 8)⁴. ثم قامت حرب مجددا بين بعض العساكر السلوقية والمكابيين وقتل يهوذا في كمين نصبوه له، وقال مؤلف سفر

¹ يوسيفوس. تاريخ يوسفوس اليهودي، ص: 67-69؛ 70-74.

² الفرتيون: قوم استوطنوا بآيران وأقاموا إمبراطورية حكمت مناطق شاسعة من المشرق. ينظر: منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 131.

³ نفسه، ص: 130-132.

⁴ يوسيفوس. تاريخ يوسفوس اليهودي، ص: 77-78.

المكابيين [كَيْفَ سَقَطَ الْبَطْلُ مُخْلِصٌ إِسْرَائِيلَ؟] (المكابيون الأول 9؛ 21). فخلفه يوناثان، وكان محارباً شديداً مقيماً لشريعة موسى ﷺ، وقد جدد معاهدته مع الرومان (المكابيون الأول 9 و 10 و 11 و 12)، ثم قتله السلوقيون (المكابيون الأول 13؛ 22-23)، فخلفه سمعان أخوه (المكابيون الأول 13؛ 1-2) الذي أنهى الاحتلال السلوقي سنة 167 ق.م. (المكابيون الأول 13؛ 49-51).¹

وجدد سمعان المكابي العهد مع الرومان (المكابيون الأول 14؛ 18)، وبعد مقتله خلفه ابنه يوحنا الملقب هيركانوس (المكابيون الأول 16؛ 11-22).² وقد فتح هيركانوس في عهده حلب ونبلس ودمر هيكل السامرة وقتل كهنته، وانتقل إلى أدوم وفتح بعض حصونها وطلب أهلها الأمان، فقبل منهم على أن يأخذ منهم الخراج ويلتزموا بشرائع التوراة، كما غزا هيركانوس جميع الأمم الذين يجاورون اليهود فقهرهم وأطاعوه جميعهم، ولما استتب له الأمر جدد العهد مع روما. ويذكر أن هيركانوس هو أول من دعي ملكاً لليهود بعد السبي.³

وقد سيطر المكابيون على أورشليم سنة 164 ق.م.⁴ حيث كان اليهود في ذلك الوقت أصدقاء وحلفاء استراتيجيين للرومان (المكابيون الأول 14؛ 40)، ولهذا كان من الطبيعي وجود جنود وقادة رومان بفلسطين. وبعد وفاة هيركانوس تولى ابنه أرسطوبولس (103-104 ق.م) الحكم بعده وكان الثاني الذي أصبح ملكاً، ويذكر أنه كان مستبداً حتى بأقرب الناس

¹ الرهينة اليسوعية. الكتاب المقدس: العهد القديم، ص: 996.

² يوسفوس. تاريخ يوسفوس اليهودي، ص: 85-87.

³ نفسه، ص: 90-91.

⁴ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 132-133.

إليه، ولكنه في نفس الوقت وصف بالشجاعة وحسن الأثر في الأمة وتمكنه من الأعداء، وقد ملك بعده أخوه الإسكندر.

وشهد عهد الإسكندر ثالث ملوك اليهود اضطرابات وحروباً، ولم تكن علاقته بالفريسيين طيبة. وبعد وفاته خلفته زوجته اسكندرية، وقد أوصاها أن تستعطف الفريسيين كي لا ينتقموا منها، ونجحت في ذلك فأعانوها في الحكم وفتحوا معها صفحة ناصعة، وأضحى ابنها هيركانوس لما كبر كاهناً، وأصبح ابنها الآخر أرسطوبولس قائد الجيش. لكنها كانت سبباً في حرب وقعت بين الأخوين بعد ذلك لأنها سلطت الفريسيين على الصدوقيين لينتقموا منهم، فاستمالوا أرسطوبولس إلى صفهم، بينما كان هيركانوس في صف الفريسيين¹. فحدثت مكائد وحروب بين الأخوين مما أدى لانقسام دولة المكابيين على نفسها، وبما أن حليف الدولة الاستراتيجي هي روما، تدخل القائد الروماني بومباي (Pompey)² لفض النزاع فبدأ يضع يده تدريجياً على سوريا وفلسطين³.

أضحى أنتيبطرس⁴ (Antipater) حاكماً لهوذا بفضل تحكيم روماني وبإشراف حاكم سوريا الروماني، بينما أعطي هيركانوس الثاني منصب الكاهن الأعلى. وقد كان يتوقع حدوث

¹ يوسفوس. تاريخ يوسفوس اليهودي، ص: 97-111.

² جاليونيوس بومينيوس (107-48 ق.م): أحد حكام روما الثلاثة إلى جانب كراس وقيصر. حقق مكاسب كبيرة للرومان وهو من احتل سوريا وجعلها إقليماً رومانياً. المنجد في الإعلام، الطبعة التاسعة والعشرون. بيروت: دار المشرق، 2008م، ص: 149.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre V, p: 552-555.

يوسفوس. تاريخ يوسفوس اليهودي، ص: 119-123.

⁴ أنتيبطرس (113-43 ق.م): قائد أدومي من أصول غير يهودية (على الأرجح عربية) في جيش المكابيين وكان حليفاً لهيركانوس إذ تشارك معه في الحكم. كان له خمس أبناء من كيبروس Cypros (قبرص) الأميرة النبطية بينهم هيرودس. يذكر يوسفوس أن أنتيبطرس كان له فضل على عرب الأنباط. لكن مع ذلك لم يدعموا ابنه هيرودس ليصبح ملكاً لليهود. وفي المقابل رأى الروم أن هيرودس يشكل دعامة ضد الفرس فخلعوا عليه لقب ملك اليهود. يوسفوس. تاريخ يوسفوس اليهودي، ص: 135-137.

Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre XI, p: 565-567; Livre I, Chapitre VI, p: 557.

ثورة في يهوذا لأنه حاكم عربي وليس يهودي، وإن كان هيركانوس اليهودي والمكابي هو الكاهن الأعلى فهذا لن يكون كافياً لإسكات اليهود الذين كانوا يرون الرومان أعداء لهم، وفي نفس الوقت كانوا ينظرون إلى هيركانوس ملكاً قاسياً. لذلك لجأ أنتيبطرس للاستعانة بأبنائه، فنصب ابنه هيرودس الكبير حاكماً على الجليل وفيلو حاكماً لأورشليم¹. ثم ثار ابن أرسطوبولس المكابي (وهو أخو هيركانوس الثاني) واسمه انتغونوس سنة 49 ق.م على عمه هيركانوس الثاني، ثم تدخل بومباي لصالح أرسطوبولس الذي قام بعد ذلك بقتل فيلو بن أنتيبطرس وقطع أذن هيركانوس كي يمنعه من الكهانة² ونفاه للرافدين، ثم استعان هيرودس الكبير بالرومان فقام جنود مرتزقة منهم بتسميم أرسطوبولس³. فتملك على اليهود سنة 37 ق.م، وبعد عودة هيركانوس الثاني قام هيرودس بقتله، فكانت نهاية دولة بني حشمون⁴، وصارت مقاطعة يهوذا إدارياً تابعة لحاكم مقاطعة سورية الروماني⁵. ولم تمر إلا أيام من تنصيبه رسمياً حتى قام حزقيا بثورة سرعان ما أخمدتها هيرودس الكبير بإعدام حزقيا ورفاقه⁶. وهذه الثورة هي التي جعلت عدداً من الباحثين يربطون بين المكابيين والغيوريين.

بدأ يوسيفوس قصة الثورة اليهودية في كتاب الحرب اليهودية الرومانية منذ عهد أنتيخوس الرابع الذي كان سبباً في ثورة المكابيين⁷. وهذا يؤكد على جذور الغيورين المكابية

¹ Ibid. Livre I, Chapitre VIII, p: 558-559.

² قطع أذن هيركانوس بوصفه كاهناً بوضوح أن الكاهن حسب التقاليد اليهودية لا ينخرط بنفسه في الحروب لكي لا يصيبه عيب يمنعه من الكهانة. يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 147.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre VII, p: 557.

⁴ Ibid ; Chapitre XVII, p: 581.

يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 146-159.

⁵ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 147.

⁶ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre VIII, p: 558-559.

⁷ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre I, p: 544.

وجذور حربهم ضد الرومان بوصفها امتدادا لثورة الحشمونيين ضد السلوقيين. ولقد كان من الممكن ليوسيفوس ألا يذكر قصة المكابيين ضمن محطات تاريخ الشعب اليهودي، خاصة أنهم من الناحية الدينية يعتبرون آباء الغيورين الروحيين. ولكن لسببين أحدهما شخصي وآخر سياسي؛ اضطر يوسيفوس أن يتكلم عنهم بكل احترام. فأما السبب الشخصي فكونه ينتسب إليهم فأمه حشمونية، وأما السبب السياسي هو كونهم حلفاء للرومان الذين وهبوه الجنسية الرومانية¹.

وتكن الكتابات المسيحية الأولى للمكابيين احتراما كبيرا، وتعتبرهم رمزا للتضحية. فقد ورد ذكر المكابيين عَرَضًا في سفر العبرانيين (11: 35-38): [أَخَذَتْ نِسَاءُ أُمَوَاتِهِنَّ بِقِيَامَةٍ. وَأَخْرَوْنَ عَذِبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النِّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ. وَأَخْرَوْنَ تَجَرَّبُوا فِي هُزْءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضًا وَحَبْسٍ. رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلًا بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودٍ غَنَمٍ وَجُلُودٍ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ. تَأْهِينَ فِي بَرَارِيٍّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الْأَرْضِ].

ولكن يبقى ذكر المكابيين على استحياء مدعاة للالتفات. ألم يكن للمكابيين أهمية في الأدب المسيحي؟ من المعقول أن يكون المكابيون أقل أهمية عند المسيحيين. ولكن ألا يذكر التلمود شيئا صريحا عنهم هو دليل واضح على خطورة أدب المكابيين على اليهودية الربية التي أسسها يوحنا بن زكاي². كما أن يهوذا הנאסי محرر التلمود كان من المقربين لدى الرومان.

¹ Farmer. *Maccabees, Zealots, and Josephus*. Ibid, p: 126-127.

² **يوحنا بن زكاي** (1 - 80م): من أتباع مدرسة هليل، وكان فريسيا ترأس السنهدرين وحصل على لقب معلم. ويقترن اسم بن زكاي بقيادة الديانة اليهودية في فلسطين بعد تدمير هيكل أورشليم، ويعود له الفضل هو وهليل في تأسيس اللاهوت اليهودي المتمثل في المشنا، وعلى إثر عمله تم تشكيل اليهودية كما عرفت منذ القرن الثاني. وتقوم فلسفة الإصلاحات التي قام بها في الديانة اليهودية على عدم أهمية وجود الهيكل لإقامة العبادة، وأن المهم هو وجود اليهود أنفسهم على قيد الحياة، والاستمرار في عبادة الرب وإقامة الأعياد، ويوحنا من الأحرار الذين تفاوضوا نيابة عن اليهود مع السلطة الرومانية من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد أن صار من الصعب إيقاف الإبادة الرومانية

ومع ذلك، فإن عيد الحانوكا (عيد الأنوار) الذي احتفل به المكابيون ثمانية أيام بعد انتصارهم على السلوقيين خلده اليهود اقتداء بهم. وهو عيد يرمز لخلاص اليهود واستقلالهم وتطهيرهم للهيكل الذي كان مستولى عليه من قبل الوثنيين. وقد ورد ذكره في التلمود في عدة مناسبات. كما احتفل به اليهود على عهد عيسى ﷺ (يوحنا 10: 22)¹. ويذكر يوسفوس أن اليهود استعادوا حقهم في العبادة يومها². وإذا كان للمكابيين تأثير على اليهود قاطبة فلا بد أن تأثيرهم على الحركة القومية في القرن الميلادي الأول أمر بديهي.

يعتبر باحثون الصراع بين المكابيين والسلوقيين من جهة وبين الغيوريين والرومان من جهة ثانية مرآة لحرب تاريخية بين العبرانيين والوثنيين؛ أي أنها عداوة اليهودية ضد الهلنسية. فمنذ عهد موسى ﷺ -الذي حارب الكنعانيين- واليهود يحاربون كل أشكال التفسخ الحضاري والميوعة الأخلاقية. فيكون بذلك نزاعا دينيا يشترك فيه الاثنان. وهذا يجعل الغيوريين بعث وإحياء لفكر المكابيين. ولكي يبعد يوسفوس هذا الطرح لجأ لوصف أتباع الجليلي بالفلسفة الرابعة، واصفا زعيمها بالصوفي (Sophist)، وهو يقصد بذلك السوفطائي. إذ يعطيهم بعدا علمانيا بعيدا عن منهج موسى والمكابيين³. كما أن يوسفوس بوصفه ذلك يزدرى يهوذا بجعله

للشعب اليهودي، وفي المقابل كانت رسالة يوحنا لليهود تتلخص في ثلاثة عناصر، أولها: أن لا تأخذ النبوءات حول المسيا على محمل الجد، ثانيها: أن نصر الرب لليهود مقرون بطاعتهم له، ثالثا: أن الله يريد رحمة لا ذبيحة (هوشع 6: 6). ولهذا فقد انتقل يوحنا مع اليهود الذين اتبعوه من المحاولة لتحقيق الآمال المسيحانية بالقوة، إلى محاولة تحقيقها عن طريق العبادة السلمية. عاشور، سيد محمد. **اليهود في عصر المسيح**، الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم، 1414هـ / 1993م ص: 74؛

Neusner, Jacob. "Yohanan Ben Zakk'ai". *Encyclopedia of Religion*, 2nd ed. Michigan: Thomson Gale, 2005, Vol. 14, p : 9904-9905.

¹ Farmer. *Maccabees, Zealots, and Josephus*. Ibid, p: 128-129; 133; 142; *The Holy Bible: Today's New International Version: New Testament Preview Edition*. Colorado Springs, CO : International Bible Society, 2001.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XII, Chapitre XI, p: 317.

³ Farmer. *Maccabees, Zealots, and Josephus*, p: 30-31.

مثيرا للشغب ومضلا للشباب. ولكن يبدو أن مشكلة يوسيفوس مع يهوذا لم تكن سفسطته أو ميوله العنيف، بل ما أسماها بتهكم "تطلعاته الملكية". وما يعنيه يوسيفوس بذلك هو نضاله ضد استعباد اليهود وتمهيده الطريق لتأسيس حكم الله على الأرض¹. ومن ثم تكون حركة يهوذا الجليلي مناقضة لمبادئها المندسة (Profane).

ومن الأدلة على علاقة الحركة المكابية بالحركة الثورية لبداية القرن الميلادي الأول نذكر مثلا: حرق السلوقيين للكتب المقدسة مما أثار حفيظة الشعب. وحدث نفس الأمر في عهد السلطة الرومانية، لكن يوسيفوس خفف وطأة الخبر بنقله خبر إعدام الجندي الروماني الذي أحرق الكتاب المقدس. وفي التلمود ورد أن تيطس دنس لفافة توراتية. ومن الأدلة كذلك اهتمام كل من المكابين والغيوريين بختان أعدائهم. فقد قام المكابيون بإجبار كل من أخضعوه لسلطانهم بالختان. كما يذكر يوسيفوس أنه إبان الحرب أعتق جندي يدعى ميتيليوس (Metilius) بعد أن وعد الزيلوت بأن يختن ويهود².

تعتبر الحركة الصهيونية اليوم المكابين أبطالا³، ولذلك فإن أي ربط بينهم وبين الغيوريين من شأنه أن يضع جميع الصهاينة في خندق التطرف الديني والهوس الإسقاطولوجي. لكن في المقابل، فإن هناك تشابه كبير بين المكابين والزيلوت والسكرارين في قضية الغيرة، غير أن المكابين كانوا ميالين للتفاوض مع الأجنبي والتعايش معه بخلاف الزيلوت الذين رفضوا

¹ Aslan. *Zealot*. Ibid, p. 59.

² Farmer. *Maccabees, Zealots, and Josephus*, p: 52-53; 71-72.

³ Ibid, p: 38.

إعطاء الشعب أي فرصة للتفاوض. كما أن الفكر الإسخاطولوجي شبه منعدم في سفر المكابيين، بينما كان أمل الغيوريين في النصر مبنيًا على يقينهم بتدخل إلهي وشيك¹.

المبحث الثالث: فلسفة الغيوريين.

يعتبر يوسفوس الفرقة الرابعة فلسفة ذات أصول وقواعد ينبني عليها فكرها، ولكنه في الوقت نفسه لا يعطي معلومات كافية عن فكرهم. وهو يستعرض في كتابه الفلسفات الأخرى، ويقصد بها الفرق اليهودية الأخرى على أنها مقابل الفلسفات اليونانية. وينبني فكر المؤسسين لهذا الفكر على أن الله أو يهوه هو وحده السيد والزعيم، وهذا ليس مجرد اعتقاد يهودي قديم فحسب (الخروج 20؛ 2-3)؛ بل إنه مبدأ ثيوقراطي معارض للحكم الوثني الروماني الذي يعتقد بالوهية الإمبراطور². ومع ذلك فإن الغيوريين الأوائل لم يشكلوا أي فرقة أو حركة موحدة. لكنهم كانوا أفرادًا يقظين، ينفذون أحكام الشريعة بتدخل مباشر فردي منهم عندما يرصدون عملاً ينتهك التوراة³. كانت الإجراءات التي يقومون بها تشبه تلك التي تقوم بها اليوم هيئة الحسبة في السعودية أو "الجهاديين" في الأحياء الشعبية في بعض المناطق بالعالم الإسلامي.

ذلك أن اليهود يؤمنون بحاكمية الكهنة الذين ينوبون عن موسى، وهم ليسوا معصومين في ذلك - وقد يخطئون- ولكنهم على الأقل ينطقون بحكم الله، وهو ما أكدته نص المزمور، {أنا

¹ Hengel. *The Zealots*. Ibid, p: 173.

² Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*. Ibid, p: 41-42.

³ Seland, Torrey. «Saul of Tarsus and Early Zealotism Reading Gal 1,13-14 in Light of Philo's Writings.» *Biblica*, Vol. 83, No. 4, 2002, pp. 449-471, p: 450.

قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. لَكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ».

[مزمور 82؛ 6-7]. وهو ما عبرت عنه إديث ماري سمالوود (Edith Mary Smallwood)¹

بقولها: "ثيوقراطية برعاية الكاهن الأعلى من حيث إنه ممثل لله"². كما لا يعمل الغيورون بمفهوم الكهانة الوراثية، بل ينتخبون أفرادا غير معروفين باختيارهم عن طريق القرعة وهو نوع من الاقتراع الانتخابي، ولكنه يتضمن نوعا من الثيوقراطية كذلك (أمثال 16؛ 33). ذلك أن أبناء صادوق أنفسهم قد خانوا العهد، فلا بد من تغيير الكهنوت واختيار من يمثل إرادة الرب على الأرض، وإن لم يكن من نسل هارون وصادوق، فكما خان بعض اللاويين العهد كذلك خان أبناء صادوق فلزم تغييرهم (حزقيال 40 و46)³.

لقد رفض يهوذا الجليلي خضوع اليهود للرومان عن طريق ضرائب كيرينايوس، لأن في ذلك محافظة في نظره على تفرد سلطان الله على الشعب المختار، كما أن الأرض ملك لله حسب التوراة (اللاويين 25؛ 23)، وأي هيمنة للوثنيين عليها عن طريق الجزية يجعل من المالكين للأرض اليهود عبادا لإله غير يهوه. وحينما كان يهوذا الجليلي يتحدث عن الحرية، فإنه كان يتحدث عن رفض إسرائيل للعبودية، وذلك يعني بتعبير آخر رفض كل سيد قد يضعف أو يضر بالسلطة العلوية لإله الشعب المختار. وقد وجد يهوذا أذنا صاغية بين الشعب، خاصة أنه كان من المتعلمين والمفكرين الكبار، وذلك حسب شهادة يوسفوس الذي دعاه كذلك

¹ إديث ماري سمالوود (1919): عملت أستاذة للتاريخ اليهودي الروماني بجامعة الملكة في بيلفاست – إرلاندا الشمالية. ألف كتاب *Philonis Alexandrini Legatio ad Gaium و Josephus, The Jewish War* وغيرها من المؤلفات.

² Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 43.

³ Ibid, p: 215 ; 218.

سفسطائيا، بينما دعي بالمصادر الربية بالتقي (حسيد) وعالم الشريعة¹. وذلك يعني أنه كان يتكلم وفقا للفلسفة اليهودية.

وهذا الفكر لربما يدفع المرء للاعتقاد أن الغيورين سينقضّون على الرومان، بينما في الواقع كان انقضاضهم أول مرة على اليهود الموالين للرومان الذين قبلوا بالأمر الواقع. ويرجع هذا الأمر لاعتقادهم بضرورة تطهير الأرض من هؤلاء "الخونة"، الذين يشكلون عائقا أمام التدخل الإلهي لتخليص شعب إسرائيل، فإذا قضوا عليهم فإن الله ﷻ في المقابل سيعينهم في نضالهم. ولهذا فإن ثورتهم كانت ضد أسرة هيرودس الكبير. إضافة إلى ذلك -فإن الغيورين كالمكابيين من قبل- لا يخشون الموت خاصة أنهم يؤمنون بالحياة بعد الموت. وهو الاعتقاد الذي اختص به كذلك الفريسيون والأسينيون في ذلك الزمن. ولكن يوسيفوس لم يشر إلى أي علاقة تجمع الغيورين بالأسينيين، لكنه أشار إلى أن أحد أول من قام بالثورة سنة 6م بمعية يهوذا هو فريسي يدعى صادوق، والفريسيون حقا يشاركون الغيورين فكرهم في أكثر الأمور ما عدا أن توق الغيورين للحرية متعذر الكبح². كما أن الحراك الشعبي آنذاك ضد الرومان هو شبيه بحركة المكابيين وكذلك بحركة فنحاس الكاهن³.

لقد كان يوسيفوس غيوريا سابقا، وانتهى أمره فريسيا، لكنه لم يشر إلى ذلك إلا في كتابه حياة يوسيفوس (Vita)، ولعل ذلك يرجع إلى كون يوسيفوس فريسي منذ بداية كتابته للتاريخ والحرب اليهودية، وقد كان يدعم الفريسيين كثيرا في كتاباته، وبعدهم عن أي شبهة متعلقة بالثورة اليهودية ضد الرومان، ويلقي اللوم كله على الغيورين، ويتحدث عنهم بوصفهم أقلية

¹ Applebaum. « The Zealots: The Case for Revaluation. » Ibid, p : 160.

² Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 44-48.

³ Applebaum, « The Zealots: The Case for Revaluation. » Ibid, p 160.

وشرذمة لا يعبرون عن اليهودية التقليدية، وهي نفس اليهودية التي ستستمر بعد مجمع يمنية على يد يوحنا بن زكاي، وهي يهودية فريسية إصلاحية سعت لإنقاذ اليهود من الهلاك على يد المستعمر الروماني عن طريق التراجع عن كل مبدأ من شأنه أن يشكل خطراً على سياسة الرومان في المنطقة¹.

وبما أن الزيوت لم يكن لهم وجود في الميدان قبل خريف 67-68م -لكون المصادر لم تأت على ذكرهم قبل هذا التاريخ، مع العلم أن يوسفوس كان يشير إلى لصوص (قطاع طرق) وليس إلى زيوت، ولم يذكرهم بهذا الاسم قبل سياق 67م- فإن الغيرة باعتبارها فلسفة كانت موجودة منذ البداية، وعبرت عن مشاعر الشعب اليهودي نفسه تجاه دينهم. كما يرى ميزانج أن الحركة الفلسفية الثائرة تتكون في الواقع من مجموعة من الكهنة الثوار قادهم كاهن اسمه حنانيا² في الحرب اليهودية الرومانية³. كما أنهم -حسب رأيه- من الكهنة الفريسيين المنتمين إلى مذهب شمائي⁴، ودليله تلك المعركة التي دارت بين اليهود فيما بينهم، والتي كان

¹ Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 49-50.

² الكاهن حنانيوس: هو كاهن ذو مكانة عالية في أورشليم. قام السكاريون باختطاف ابنه الذي كان يعمل كاتباً لدى الرومان بأورشليم وساموه على إطلاق صراح عشرة من فاقهم. وحقق ألبينوس هذا الأمر لهم وكان ذلك باعثاً على جرأتهم حيث اختطفوا بعد ذلك والذي حنانيوس على أن يطلق صراح عدد أكثر من رفاقهم.

Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Ibid, Livre XX, Chapitre VIII, p: 536.

³ Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 122; Flavius, Joseph. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre II, p: 410.

⁴ شمائي (50 ق.م – 30م): فريسي المذهب وقد ترأس السنهدرين، وهو مؤسس مذهب أو مدرسة "بيت شمائي"، وكان يختلف مع هليل في كثير من الآراء الدينية. فقد كان شمائي يعرف بالتضييق ورد الراغبين في دخول الدين من غير اليهود، وكان يغار على القديم ولا يقبل التجديد فيه ولا تأويل النصوص بل يفضل التمسك بكل ما هو مأثور عن السلف، وكان يحترف التجارة ليعيش من كسب عمله. ويذكر يوسفوس في تاريخه أن كل من هليل وشمائي من المقربين من الملك هيرودس الكبير، لأنهما أشارا على اليهود بتمليكهم. العقاد. حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث. م.س، ص: 32؛ يوسفوس. تاريخ يوسفوس اليهودي. ص: 178؛

Herr, Moshe David. "Shammai". *Encyclopaedia Judaica*, 2nd edition. Jerusalem: Keter Publishing House, 2007, Volume 18, p: 394.

أبطالها من هؤلاء مثل الكاهن ألعازر بن حنانيا. حيث ورد في كتب يوسيفوس حديث عن تلك المعركة دون ذكر أطراف الصراع، واكتفى بالإشارة إلى أنهم كهنة، وفي الوقت نفسه، ورد في التلمود قتال دار بين كهنة شمائي وكهنة هليل¹ انتصر فيها أتباع شمائي². ومن ثم فإن الأدلة تعزز أن الفلسفة الرابعة هم كهنة فريسيون وهم من افترقوا فيما بعد، فصار بعض منهم يسمى زيلوتا وآخرون صاروا سكاريين. فكانت دعوة الزيلوت تحريضاً شفوياً لحقها اشتباك في الحرب ضد الرومان، بينما كان اشتباك السكاريين مع اليهود الموالين للرومان مبكراً. لكن الاثنين آمنّا بنفس الفلسفة التي تؤسس للغيرة على الشريعة الإلهية. إضافة إلى ذلك، فمن بين عادات الزيلوت والسكاريين أنهم لا يدفنون قتلى أعدائهم ويحرمون دفنهم وهو ما يخالف الشريعة اليهودية، ولكن ذلك في الوقت نفسه إعمال لنصوص توراتية مثل: (التثنية 28: 26/الملوك الأول 14: 9-21/24/الملوك الثاني 9: 10)، وفي هذه النصوص اعتبر عدم دفن القتلى عقوبة إلهية لكل خائن لعهد الرب، خاصة أولئك الذين اقترفوا الوثنية. وبمحركاتها مع السياق التاريخي للأحداث، فإن الغيوريين يقومون بتنفيذ نوع من الشيوعية لأحكام إلهية³، بحيث إن ترك جثث الأعداء للوحوش والكواسر بمثابة تنفيذ لهذا العقاب الإلهي.

¹ هليل (110 ق.م - 10م): أو هليل هزاقين الحكيم، عالم يهودي ضليع في التوراة، كان عضو المحكمة الشرعية العليا، وهو زعيم روحاني لليهود، وكان من الفريسيين. عاش فترة المكابيين والهيروديين. قدم هليل إلى فلسطين من بابل، وكان يعرف بالتسامح في معاملة الأجانب، "وكان شعاره الاعتدال بين الزهد والمتعة" وكانت كلمته المأثورة: "إن الزيادة في اللحم زيادة في الدود"، وكان يميل إلى تطبيق روح القانون وكان منهجه في المعاملة أن الشريعة كلها كلمة واحدة وهي لا تصيب أحداً بما تكره أن تصاب به، وكل ما عدا ذلك من الأحكام المنزلة تفسير وتفصيل، وكان يميل إلى السلام وعدم العنف، وقد نشط تلاميذه في نشر أقواله وآراءه في الشريعة اليهودية إلى أن جمعت آراءه في التلمود فسيطرة أفكاره على يهودية ما بعد الحرب اليهودية الرومانية. وقد تم إنشاء مدرسة باسمه بعد خراب الهيكل. التلمود البابلي: المقدمات - الفهارس - مسرد المصطلحات، الطبعة الأولى. المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2011م، المجلد الأول، ص: 104-105؛ المجلد الخامس القسم الثاني مو عيد (الأعياد) الباب الثالث فسحيم (عيد الفصح)، الفصل 5، ص: 246.

² Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 133-134.

³ Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 213-214.

يتفق الغيورون والفريسيون في نقطتين أساسيتين، أولاهما أن التوراة لن يتم احترامها مادامت محافظة يهوذا ترزح تحت الاحتلال الروماني، وثانيهما أن النصر لن يتم إلا عن طريق تدخل الرب. لكنهما يختلفان بخصوص هذه النقطة الأخيرة حول التنفيذ العملي للحرب، فبينما الفريسيون مسالمون، نجد الفلسفة الرابعة تلجأ ابتداء (سكاريون) أو انتهاء (زيلوت) إلى العنف¹.

وحسب ميزانج توحيد الزيلوت والسكاريون مجددا حوالي سنة 65م في المعبد بتنسيق مع عائلة ألعازر بن حنانيا. حينها أوضح السكاريون وجهة نظرهم حول وضع الاحتلال الروماني، فبينوا أن الأمر ليس متعلقا بتقديم القرّبان للإمبراطور الروماني فحسب -والذي يعد من وجهة نظر الزيلوت كفرا ووثنية- ولكن الأمر يتعلق بحاكم غير الله. فتبين أن القضية ليست متعلقة بـ"لا تجعل لك إلها غير الله"، بل "لا تجعل لك سيّدا غير الله"، وبهذا اقتنع الزيلوت بوجوب الاتحاد مع السكاريين والثورة ضد الرومان. وفعلا تم طرد الرومان من أورشليم، لكن تنصيب مناحم السكاري حفيد يهوذا طعن في مبدأ الزيلوت حول من له أحقية الكهانة والملك حسب مبدأ سيادة الله، ولهذا السبب انقض عليه الزيلوت وقتلوه وطاردوا أتباعه ففروا لقلعة المسعدة، فكانت حربا أهلية².

إن الطموح للحرية صاحب الحراك الثوري باعتباره الفكرة المهيمنة. واتخذ المشاركون في التمرد الحرية لصهيون شعارا. إن مفهوم الحرية الإنسانية متضمن في رؤية يهوذا للضريبة (الرومانية) باعتبارها رمزا للعبودية، التي تجذرت فعلا في اليهودية. وهي مرتبطة بذكرى

¹ Ibid, p: 197.

² Ibid, p: 223-227.

الخروج والانعقاد من العبودية المنصوص عليها في النص الطقسي لعيد الفصح، وشروحه المرتبطة به. ففي الترجمة الآرامية لمراثي إرميا نقرأ: [نادي بالحرية لشعبك، بيت إسرائيل، عن طريق المسيا، كما فعلت بواسطة موسى وهارون في أيام الفصح] (مراثي إرميا 2: 22). ويقول الرب غملائيل¹ أنه "في كل جيل ينبري رجل ليرى نفسه قد ظهر من مصر" أي من أرض العبودية. ولعل سمعان برجوريا السكاري رأى نفسه ذلك الرجل الذي سيحقق حرية إسرائيل لخدمة الرب، وهي حرية ذات دلالة إسقاطولوجية².

إن كلمة "قيناه" تدل على شعور علماني (أي لا ديني). فهي تدل على مشاعر عنيفة ناتجة عن حيازة غير مرضية، والتي تدفع إلى العمل لإرضاء هذه الرغبة. وقد تم تطبيق هذا المفهوم على الدين فصارت صفة الرب تروم الحفاظ على تملكه لشعب إسرائيل، فيحذرهم من الكفر. وإذا ما قامت مجموعة كبيرة من شعب إسرائيل بهجر العهد، فإن للرب أن يلغي امتيازات الاتفاق، والتي من أهمها تجمعهم القومي في أرض الميعاد (يشوع 19: 20/تثنية 29: 28). فإذا قام أحد الأشخاص غير الله باستئصال مجموعة أو شخص نكث العهد بأن عبد الأوثان أو خالف الوصايا، يرفع مقت يهوه فينصرف عن حرمان شعب إسرائيل من امتيازات العهد (العدد 25: 11). فالغيرة البشرية لله لها القدرة على امتصاص خطايا إسرائيل ورفع الغضب والعذاب عنهم. ومن ثم فهذا العمل يدخل ضمن دائرة التكفير (أي للذنوب) والتطهير. وفي سنوات 66 و70م اعتبرت عمليات الاغتيال التي استهدفت الكهنة اليهود فداءً وأضحية

¹ غملائيل بن سمعان (52م): هو حفيد هليل وخلف يهوذا الناصي جامع التلمود وأول من ترأس السنهدرين في القدس. ورد ذكره مرتين في العهد الجديد (أعمال الرسل 5: 34/22: 3).

"Gamaliel I." *Jewish Encyclopedia*. n.d. Retrieved 05 December 2020, from <http://www.jewishencyclopedia.com/articles/6494-gamaliel-i>

² Applebaum, « The Zealots: The Case for Revaluation. » Ibid, p: 162.

حيث أشار يوسفوس بشكل ضمني إلى ذلك حين ذكر أنه تم ذبحهم كقطيع خراف أو بحسب تعبير الكتاب المقدس [مَثَلُ شَاهٍ سَيَقُوا إِلَى الدَّبْحِ] (إشعياء 53: 7 / 34: 2)¹.

لكن يوسفوس زعم في مؤلفاته أن الحرية عند أتباع الجليل والسكاريين ذات دلالات علمانية، الغرض منها إنشاء حكومة يتساوى فيها الجميع على غرار الفكر الهلنسي، ومن ثم تخالف مبدأ الهيروقراطية. ومع ذلك فإن المفهوم الهلنستي للحرية يتعارض مع الخطاب الغيوري، حيث إن غرض الثوار من الحرية كان هو نفس ما حققه موسى عن طريق معجزة شق البحر لإعتاق بني إسرائيل من طغيان فرعون. ولذلك يكون لهذا المفهوم دلالة إسقاطولوجية لا علمانية². وفي تفسير الربى راشي³ لسفر الخروج (21: 6) يقول: "الأذن التي سمعت في سيناء – هم عبادي وليسوا عبيدا للعباد"⁴. وهذه اللمسة الدينية تحمل في طياتها دلالة سياسية حيث تقرن عبودية الإنسان للإنسان، واستغلال السلطة للشعوب بانتصار إرادة الإنسان الحرة عند تسمكها بالسلطة الروحية.

ويقرن الفكر اليهودي في العصر الوسيط بين انقطاع النبوة والاستعباد، حيث يقول موسى بن ميمون⁵ (Maimonides): "إن الظروف نفسها التي أدت إلى انتشار الحزن والحيرة،

¹ Mézange, Christophe and C. Mèzange. «Simon le Zélote était-il un révolutionnaire? » *Biblica*, Vol. 81, No. 4, 2000, pp. 489-506, p: 490-492

² Hengel. *The Zealots*, p: 111-115.

³ راشي (1040-1105م): سولومون بار إسحاق هو اسمه، وهو ربي فرنسي من العصور الوسطى ومن أهم أعماله أنه قام بشرح مفصل للتوراة وللتلمود.

“Rashi (Solomon Bar Isaac)”. *Jewish Encyclopedia.com*. (n.d.). Retrieved 05 December 2020 from <http://www.jewishencyclopedia.com/articles/13862-solomon-b-isaac-rashi>

⁴ Spero, Shubert. « In Defense of the Defenders of Masada. » *Ibid*, p: 32.

⁵ موسى بن ميمون (1135-1205): ربي يهودي وفيلسوف أندلسي. درس بالمغرب ثم انتقل إلى القاهرة وعمل طبيباً خاصة لصالح الدين الأيوبي. أسلم فترة ثم عاد إلى اليهودية. ويعتبر ابن ميمون من أعظم علماء الكلام سواء في التراث الإسلامي أو اليهودي. وقد استفاد من فلسفة ابن رشد وابن سينا والفارابي. كتب دلالة الحائرين ومشنه توراوه وهي كتب عربية مكتوبة بالحرف العبري.

كانت بلا شك السبب المباشر لفتور النبوة خلال فترة المنفى. فهل هناك خسارة للإنسان أكثر من أن يكون عبدا يشتري بالمال في سبيل خدمة جهلة وفسقة السادة، وأن يعاني الإنسان من ضيق ذات اليد أمامهم رغم اتحاد (هؤلاء السادة المبني على) غياب معرفة الحقيقة وعلى قوة حيوانية شهوانية¹. ومن ثم فإن الرغبة في التحرر من قيود الطغيان تقرر في الفكر اليهودي بتسليم مقاليد السلطة لقيادة مطلقة، فيكون نظام الحكم مبني على فلسفة التفويض الإلهي.

كما أن قضية الغيرة مسألة عكست روح العصر تأثرا بالفكر المكابي الذي يفخر به جميع اليهود. ولم تكن قضية الغيرة أمرا ميز الزيولوت أو السكاريين، ولذلك لم يصفهم يوسفوس بالزيولوت إلا بعد اندلاع الثورة². وكان متحفظا في استخدامه باعتباره لفظا أطلقوه هم على أنفسهم. ولكن ذلك دل على تواجد فكر الغيرة قبل وجودهم، ومن ثم عبرت الفلسفة الرابعة والسكاريون والزيولوت وقسم كبير من الفريسيين عن اتجاه واحد، يمكن أن يطلق عليه اسم الغيورية.

يرى هورسلاي أن هناك دليلا ضعيفا جدا يثبت أن الغيرة على الشريعة كان عاملا أساسيا في حراك القرن الميلادي الأول بفلسطين، بغض النظر عن الرغبة في التحرر من الحكام الأجانب. ذلك أن الغيرة على شريعة لم تكن حركة جماعية؛ بل إحساسا فرديا بأهمية

Rabinowitz, Louis Isaac. "Maimonides, Moses." *Encyclopaedia Judaica*. Ibid, Vol. 13, p: 381-384.

¹ Maimonides, Moses. *The Guide for The Perplexed*, 2ed. Trans. M. Friedländer. Skokie, Illinois: Varda Books, 2002, p: 227. « The same circumstance, prevalence of sadness and dullness, was undoubtedly the direct cause of the interruption of prophecy during the exile; for can there be any greater misfortune for man than this: to be a slave bought for money in the service of ignorant and voluptuous masters, and powerless against them as they unite in themselves the absence of true knowledge and the force of all animal desires? ».

² שטרן, מנחם. "הקנאים והסיקריקים: ענפים של תנועת חרות לאומית."

Cathedra: For the History of Eretz Israel and Its Yishuv, no. 1, 1976, pp. 52-55, p: 53-55.

الرقابة الشرعية لليهود، وكان موجها لهم لا للرومان. ولا يوجد ما يثبت أن غيورا على التوراة اعتبر وطنيا متطرفا. أما الزيلوت الذين وجهوا معكرتهم ضد الرومان، فلم يكن لهم وجود على ساحة الأحداث قبل سنة 66-70م¹. وهو بذلك يرى أن الفصائل الأخرى -بمن فيهم الصدوقيين والفريسيين المواليين للرومان- كانوا كذلك من الغيورين. وهذا الأمر يتعارض مع فكرة الغيرة نفسها التي ترفض حاكمية غير الله وتدّيس الشريعة. فيكون الدليل الضعيف هو نفسه ما ينفي ارتباط الغيورية بالثورة اليهودية ضد الكهانة الأرستقراطية والرومان.

يرى مارتن هينجل إضافة إلى ما سبق أن ثورة الغيورين ليست قومية، بل الدين هو وازعها الوحيد. ويدل ذلك أمران؛ الأول هو سماحهم لروماني بالحياة لاغتنامه اليهودية واختتانه. والثاني انتفاضتهم في مصر وليبيا مثلا وعدم الاهتمام باحترق أورشليم، وإقبالهم على الموت بكل سرور. كما يرى أن العمل القومي الوحيد في تاريخ تلك الثورة هو ما قام به يوحنا بن زكاي لحفظ جماعة عرقية انسلخت عن مبادئ الغيرة الدينية².

وما قام به الزيلوت -حسب مارتن هينجل- هو عملية تضخيم لما هو إسقاطولوجي في الشريعة. ويعني بذلك أنهم حملوا الشريعة أكثر من وظيفتها الاجتماعية، واعتقدوا أن لها تأثيرا على مسارهم التاريخي، وأن الطريق لحكم المسيح للعالم هو الحرب المقدسة، ولكنهم لم يضعوا في حسابهم فرضية خسارة تلك الحرب³.

¹ Seland. «Saul of Tarsus and Early Zealotism Reading Gal 1,13-14 in Light of Philo's Writings. » Ibid, p: 453.

² Hengel. *The Zealots*, p: 141-144.

³ Hengel. *The Zealots*, p: 4-5.

في رأى تسيتلين فإن الرومان لم يضطهدوا اليهود دينيا؛ بل كانت حرب اليهود قومية لا دينية، بدليل أن الزيلوت لم يكونوا مسيحيانيين مثلما كان السكاريون. ومن ثم لم يكن لدى الزيلوت إيديولوجيا، ولذلك لم يُختاروا ضمن الحكومة المؤقتة بعد السيطرة على أورشليم، باعتبار عدم توفرهم على برنامج تأسيسي. وفي المقابل فإن السكاريين لهم إيديولوجيا ويعتبرون مسيحيانيين¹. ومع ذلك فإن يوسفوس لا يشير إلى أي فكر أبوكاليفسي عند أي من الفصائل الثورية بفلسطين. لأن يوسفوس صوّر الثورة باعتبارها دنيوية (علمانية) أي أن مصالح الثوار كانت سياسية². ومع ذلك فهناك إشارة من يوسفوس يبدو من خلالها يهوذا الجليلي وكأنه يحث الشعب على تحقيق تلك النبوات المسيحانية، حيث بين لهم أنهم إن لم يقوموا بالمبادرة من أجل تحقيقها فلن يأتي النصر من الرب، لأنه لا ينبغي لهم أن "يأملوا أن الرب قد يعمل ما هو مناسب إن لم يعملوا من جهتهم كل ما يستطيعون فعله بكل ما أوتوا من قوة، فتأثر الشعب بكلامه"³. ولكن قد يرجح أن يهوذا حسب هذا النص لم يعبر سوى عن الاعتقاد اليهودي المبني على عهد الله المشروط مع إسرائيل الوارد في سفر الخروج (26: 3-17)⁴. وفيه يحث الرب اليهود على الالتزام بالوصايا كي يتم لهم النصر على أعدائهم.

¹ Zeitlin. « Zealots and Sicarii. » Ibid, p : 396-398.

² Farmer. *Maccabees, Zealots, and Josephus*. Ibid, p: 194.

³ Flavius. *Histoire des Juifs*. Tome Quatrième, Livre XVIII, Chapitre I, p : 172. « Mais qu'ils ne devaient point espérer que Dieu leur fût favorable, s'ils ne faisaient de leur côté tout ce qui serait en leur pouvoir ».

⁴ النص يقول: "إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمَلْتُمْ بِهَا، أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي جَبْنِهِ، وَتُعْطِي الْأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا، وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقَطَافِ، وَيَلْحَقُ الْقَطَافُ بِالزَّرْعِ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشَّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ. وَأَجْعَلُ سَلَامًا فِي الْأَرْضِ، فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مِنْ يَدٍ عَجْكُمْ. وَأَبِيدُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَا يَغِيرُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ. وَتَطْرُدُونَ أَغْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. يَطْرُدُ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ مِئَةً، وَمِئَةٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُونَ رِبْوَةً، وَيَسْقُطُ أَغْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. وَالتَّقِيَتْ إِلَيْكُمْ وَأَمْرُكُمْ وَأَكْثَرُكُمْ وَأَفِي مِثْلَافِي مَعَكُمْ، فَتَأْكُلُونَ الْعَتِيقَ الْمُعْتَقَ، وَتُخْرِجُونَ الْعَتِيقَ مِنْ وَجْهِ الْجَدِيدِ. وَأَجْعَلُ مَسْكَنِي فِي وَسْطِكُمْ، وَلَا تَزْدَلِكُمْ نَفْسِي. وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ كَوْنِكُمْ لِهَيْمٍ عَبِيدًا، وَقَطَعَ قُبُودَ نِيرِكُمْ وَسَبَّرَكُمْ قِيَامًا. «لَكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَعْمَلُوا كُلَّ هَذِهِ الْوَصَايَا، وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرَائِضِي وَكَرِهْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَحْكَامِي، فَمَا عَمَلْتُمْ كُلَّ وَصَايَايَ، بَلْ نَكَنْتُمْ مِثْلَافِي، فَإِنِّي أَعْمَلُ هَذِهِ بِكُمْ: أَسْلُطُ عَلَيْكُمْ رُغَبًا وَسَلًا وَخَمًى نَفْيِي الْعَيْنَيْنِ وَتُثْلَفُ النَّفْسُ. وَتَزْرَعُونَ بَاطِلًا زَرْعَكُمْ فَيَأْكُلُهُ أَغْدَاؤُكُمْ. وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّكُمْ فَتَنْهَزُمُونَ أَمَامَ أَغْدَائِكُمْ، وَيَسْلُطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُوكُمْ، وَتَهْرَبُونَ وَلَيْسَ مِنْ يَدِكُمْ..."

وقد اعتقد أيضا دافيد دونيني (David Donnini)¹ أن الزيلوت يتبنون كالكساريين الفكر المسيحاني، فقال: "يجمع المؤرخون تقريبا أن يهوذا هو مؤسس طائفة الزيلوت (...) أو الأصوليين اليهود، والذين ظنوا أن النبوات المسيحانية في الكتابات القديمة تشير إلى حلول ميعاد تحرير إسرائيل، وأنه من الضروري الكفاح من أجل طرد الرومان، وتنحية عائلة هيرودس ليحل محلهم على عرش أورشليم مسيا ابن داود، ثم خلع الطبقة الفاسدة من الصدوقيين وتنصيب كهنة مستحقين لمنصب الكهنوت"². والواقع أنه اعتمد على نظرية ظهور الزيلوت قبل الحرب اليهودية الرومانية.

وبتأمل الأحداث التي تزعمها الغيوريون منذ السنة السادسة للميلاد إلى سنة 70، نلاحظ أن الحراك الثوري بين سنة 7 م - أي بعد إعدام يهوذا الجليلي - إلى سنة 50 م، كان حراكا ثوريا سلميا، وأكثر تعلقا باحتجاجات شعبية ربما حملت مشاعر غيوروية دينية، لكنها لم تحمل أي طموحات سياسية كالتي نراها أثناء الحرب اليهودية الرومانية. ومن ثم فإن الغيرة قبل سنة 50 م، لم تكن سوى مشاعر دينية، ولم تكن هناك أي فرقة تدعى بهذا الاسم قبل هذا التاريخ. ومن خلال ذلك يتبين لميزانج أن سمعان الزيلوت حوارى المسيح كان غيورا على المستوى الديني لا السياسي، وأن الغيرة في قلبها السياسي لم تظهر إلا بعد سنة 50 م، وذلك

¹ دافيد دونيني (David Donnini) (1950): باحث إيطالي ولد في فلورنسا، وتخرج من جامعة ميشيغان التكنولوجية (الولايات المتحدة الأمريكية) تخصص كمياء، له ثلاثة عقود من السعي الروحي والأبحاث التاريخية عن أصول المسيحية. حول هذه المواضيع كان قد نشر عديدا من الكتب، منذ عام 1988، والتي منها "Gesu' E I Manoscritti del Mar Morto".

"David Donnini Home Page." n.d. Retrieved 07 December 2020, from <http://www.donninidavid.it/>

² Donnini, David. *Gamala*, Donnini, David. *Gamala: Il segreto delle origini di Gesù*. Roma: Coniglio Editore, 2010, p : 23. «Gli storici sono pressoché unanimi nel considerare Giuda come il fondatore della setta degli zeloti (...) ovvero degli ebrei fondamentalisti e interventisti quali, rifacendosi alle numerose profezie messianiche presenti nelle antiche scritture, pensavano che fossero giunti i tempi della liberazione di Israele e che fosse necessario combattere per cacciare i romani, spodestare la famiglia erodiana per insediare sul trono di Gerusalemme un messia «figlio di Davide» ed eliminare la casta corrotta dei sadducei per insediare nel tempio sacerdoti degni della loro carica».

بتأثر من الفلسفة الرابعة والسكاريين. وكان اعتقاد سمعان يتحدد في الإيمان بضرورة المحافظة على العهد، ولعله رأى في عيسى المسيح حاميا لهذا العهد، وأن اتباعه يوثق علاقته بالرب فلا يحرمه الامتيازات الخاصة بشعب إسرائيل. ومن ثم فغيرة سمعان تحولت من نطاقها القومي إلى نطاقها الإنساني¹.

ومن خلال ذلك يمكن أن يستنتج أن الفلسفة الرابعة وحركة حزقيا وابنه لا ينبغي اعتبارهما مؤسسين لفرقة الزيلوت ولا السكاريين، وإنما مؤسسين فقط لمبدأ الغيرة. فأما حركة الزيلوت فتبقى توجهها تبناه بعض الكهنة الفريسيين بينما السكاريون - وإن كانوا من أقرباء الجليلي- فإنهم ابتدعوا منهج حرب العصابات والاغتيال. فكانت الغيرة على الدين محركا للزيلوت، وكان الهوس الإسخاطولوجي محفزا للسكاريين. وأشعلت كلا الفرقتين فتيل حرب اعتقدوا قدسيتهما ومن ثم انتصارهم بها دون أن يضعوا في الحسبان موازنات القوى في ذلك العصر.

خلاصة

ليس من السهل الحديث عن الحراك المتمرد ضد روما دون الوقوف عند تشكل الفرق اليهودية وخاصة المسلحة. لقد أنتجت القرون الثلاثة التي توسطتها ولادة المسيح أربع طوائف متردة على الأقل: كان أولها الفلسفة الرابعة وثانيها السكاريون وثالثها الزيلوت، ورابعها مجموعات صغيرة تفرخت عنها. وكل تلك الفرق كان لها جذور دينية توراتية ومن ثم استمدت قدسية مهمتها من التراث الديني اليهودي منذ عهد موسى ﷺ إلا أن الغلو عرف طريقه لفكرها.

¹ Mézange and C. Mèzange. « Simon le Zélote était-il un révolutionnaire ? » Ibid, p: 497-506.

الباب الثاني:

تاريخ الغيورين قطاع الطرق

في هذا الباب يتم الحديث عن بروز كل من السكاريين وفرقة الزيلوت رسميا في المصادر التاريخية. وينحصر الإطار التاريخي بين السنة السادسة للميلاد بدءا من ثورة مؤسسي الفلسفة الرابعة حزقيا ومهوذا ابنه ومهوذا الجليلي، والسنة السابعة والثلاثين بعد المئة للميلاد حيث يتم التطرق لأحداث ثورة بركوبا. ومن ثم يقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول: الاضطرابات الأولى بفلسطين في القرن الميلادي الأول. والفصل الثاني: اندلاع الثورة اليهودية الرومانية (66-70م). والفصل الثالث: تبعات الحرب اليهودية الرومانية (71م-135م) وعلاقة الثورة اليهودية الثانية بالأولى.

الفصل الأول:

الاضطرابات الأولى بفلسطين في القرن الميلادي الأول

كان الوضع مزريا بالنسبة للفلاحين في فلسطين، وكان عليهم دفع ضريبة الهيكل، ثم جاء الرومان فاضطروا كذلك لدفع ضريبة التبعية. فكان نصف منتوجهم يستنزف من الطبقة الكهنوتية والإدارة الرومانية. وساء الأمر أكثر حينما وجد هؤلاء الفلاحون أملاكهم تنزع دون أن يجدوا ما يعولون به أسرهم. انطلق كثير منهم حين إذ مهاجرا إلى المدن بحثا عن مصدر قوت جديد. بينما انطلقت حفنة من الجليل، بعد أن باعوا محاريثهم واشتروا بدلها سيوفا، ليقاتلوا المسؤولين عن ويلاتهم. ولكن الرومان كان لديهم كلمة أخرى، فلم يكتفوا بسحقهم بل سخروا ضدهم دعاية إعلامية مضادة (بروباغاندا) مطلقين عليهم اسم "قطاع الطرق"¹.

المبحث الأول: تمرد أسرة حزقيا وبروز الفلسفة الرابعة بقيادة يهوذا الجليلي.

أصبحت الهلنسية بعد سنة 63 قبل الميلاد جزءا من المجتمع اليهودي، وهذا الأمر يعرف اليوم بالغزو الثقافي ما بعد الاستعماري (Postcolonial intellectual invasion). حينها تراجعت مركزية القيادة السلالية التي استمدت سلطتها من الدين، وكان ذلك سببا غير مباشر في سقوط حكم المكابيين بيهودا. وأضحت السلطة الجديدة ذات صبغة تعليمية، فكانت الجماعات تلتف حول معلمين متدينين. ومن ثم ظهرت اليهودية الربية. ولهذا ظهرت الفلسفة الرابعة بوصفها معارضة لهذه الصياغة الجديدة للجماعات، وقد أشار يوسيفوس

¹ Aslan. Zealot, p. 37.

في أكثر من مناسبة إلى الترابط العائلي في الفلسفة الرابعة. فإنها وإن كانت أيضا مدرسة فإن آخر قياداتها كان من أقرباء يهوذا بن حزقيا مؤسسها¹.

كان الإسكندر يوحنا هيركانوس بن سمعان مؤسس السلالة الحشمونية يدفع جزية لروما، وكان يقف إلى جانب الصدوقيين ضد الفريسيين². قام الإسكندر حناني بعد خروجه من السجن بمحاربة الفريسيين الذين استعانوا بالسلوقيين ضده، ورغم أنه هزمهم تحالفت أرملة معهم بعد وفاته وقربتهم³. وبعد وفاتها وتسلم ابنها يوحنا هيركانوس الثاني السلطة، فإن أرسطوبولس أخاه تحالف مع الصدوقيين ضده من أجل السلطة. تدخل أنتيبطرس حاكم أدوم وتحالف مع هيركانوس واستعان بالحارث ملك الأنباط ضد أرسطوبولس. هنا تدخل بومباي ليحل المسألة وطالب الحارث برفع الحصار عن أرسطوبولس الذي رشاه. وجاء وفد من اليهود إلى بومباي يطالب بإنهاء حكم الحشمونيين وإعادة السلطة للكهنة. وطالبهم بومباي بالتريث، لكن أرسطوبولس تسرع وهاجم الحارث. حينها انحاز بومباي لهيركانوس ودعمه إلى أن ألقى القبض على أرسطوبولس وتسلم هيركانوس الكهانة العليا، كما أصبح أنتيبطرس واليا⁴.

هاجم البرثيون فلسطين سنة 40 ق.م، واستغل انتغونوس ابن أرسطوبولس الأمر، فاستعان بهم لإعادة عرش والده وقطع أذن هيركانوس. حينها استعان هيرودس بالقائد الروماني أنطونيوس ففتح أورشليم وقطع رأس انتغونوس وهزم أنصاره. وخلع على هيرودس

¹ Brighton, Mark. *The Sicarii in Josephus's Judean War: Rhetorical Analysis and Historical Observations*. Ibid, p: 146-147.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XIV, Chapitre VII, p: 361.

³ Ibid. Livre I, Chapitre IV, p: 550-551.

⁴ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre I, Chapitre V-VII, p: 552-558.

لقب ملك، فتزوج هيرودس مريام حفيدة هيركانوس ليشرعن حكمه. وأعدم جدها وجعل الكهانة في غير الحشمونيين¹.

عمل هيرودس الكبير الأدومي و"النصف يهودي" على تنفيذ أوامر المحتل الروماني بإخضاع فلسطين لحكمه بيد من حديد، فكان يخمد كل ثورة، وقد ساهم من خلال ذلك في تكريس الاحتلال الروماني للبلاد². لقد كان هيرودس حاكما قويا، يهابه اليهود لإسرافه في القتل³، وكان عصره عصر رخاء وقد بنى قيصرية وبنى سبسطية⁴، ومن أهم إنجازاته تجديد بناء الهيكل الثاني في سنة 19 ق.م⁵. وقلده الرومان مهمة إخضاع الجليل، خاصة إبان الاضطرابات التي قام بها حزقيا⁶ أول غيور يظهري بعد نهاية بني حشمون. وقبل موت هيرودس الكبير حوالي نصف سنة من ميلاد المسيح ﷺ قام بإعدام حزقيا الذي قاد ثورة في الجليل، وقد ذكر يوسيفوس أنه كان قائدا لمجموعة من قطاع الطرق الذين قاموا بنهب كل البلاد⁷.

ولكن يبدو أن حزقيا لم يكن مجرد زعيم عصابة، بل إنه كان رجلا ذا جاه، وكان رفاقه من الطبقة الأرستقراطية، ودليل ذلك؛ أن أمهات هذه المجموعة التي أعدمها هيرودس الكبير، طالبن بمثوله أمام السنهدين لمحاكمته، وبما أنهن من سورية، فإن هذه المجموعة

¹ Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre XI, p: 563-567.

² منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 150.

³ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 158 و 165؛ 172-173.

⁴ نفسه، ص: 180-181.

⁵ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XV, Chapitre XIV, p: 414-417; Livre I, Chapitre XVI, p: 577.

⁶ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 147؛

Flavius. *Histoire des Juifs*. Tome Quatrième, Livre XVII, Chapitre XII, p : 150.

⁷ Ibid, Livre I, Chapitre VIII, p : 63.

التي قادها حزقيا ينتمون للحامية العسكرية المكابية التي كانت متمركزة في الحدود السورية الفلسطينية، شأنها كشأن جبهة الجليل في عهد أرسطوبولس لأجل حماية شمال المملكة. ويمكن القول إن سياق وجود حزقيا ومجموعته هناك كان في إطار استكمال حرب انتغونوس ابن هيركانوس ضد هيرودس الكبير¹. كما أن هناك تلاقي في الأفكار بين الغيورين والمكابين في عدد من النقاط، منها الغيرة على الشريعة، وقتل اليهود الخونة، والسعي لدرحر الاحتلال الروماني، وكذلك القابلية للانتحار إذا اضطروا إلى ذلك².

إن الدولة الرومانية وضعت قوانين بهدف تثبيت السلام. فمثلا سمحت لليهود بممارسة كاملة لشعائهم، كما سمحت لليهود خارج فلسطين أن يرسلوا أموالهم المقدمة ضريبة لهيكل أورشليم، وحذرت من إهدار أموالهم للقيام بأي مصالح رومانية خاصة. ولهذا السبب يخلص يوسيفوس -بعد تقديمه مجموعة من الأدلة على نية الرومان في تحقيق السلام في فلسطين- إلى أنه ليس هناك أي مبرر للكراهية المتبادلة بين اليهود والرومان التي عاصرت كتابته لتاريخه. ومع ذلك، فهناك مبرر لكره اليهود لهيرودس الكبير، خاصة أنه اختلس من أموال الهيكل³. ولذلك فإن عداوة المكابين -وقد كانوا أيضا حلفاء للرومان- أو على الأقل من بقي منهم، لهيرودس -الذي حرمهم من السلطة- قد غذى الصراع ضد الرومان. ومن ثم فلا يستبعد أن يكون الصراع بين هيرودس وسلالة سعت لاستعادة مكانتها السياسية، وبما أن الرومان انحازوا لهيرودس فإن الصراع تحول إلى صراع يهودي روماني.

¹ Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 61-62.

² Ibid, p: 63-68.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVI, Chapitre X, p: 429-430; Chapitre XI, p: 430-431.

كان عمر هيرودس الكبير سبعون سنة حين سقط طريق الفراش من حى أصابته. استغل هذا الوضع كاهنان أحدهما يدعى يهوذا بن صاريفا ومتتيا بن مارجالوث. وكان هذان الرجلان يتميزان بالحكمة والفضيلة والقدرة على الإقناع. قام هذان الكاهنان بإقناع مجموعة من الشباب أن نسرا ذهبيا وضعه هيرودس بباب الهيكل تكريسا لخدمة الرب هو أمر مخالف للشريعة التي تحرم وضع الصور أمام الرب. وأمر الكاهنان باقتلاعه وتحطيمه وحذراهم من أنها عملية انتحارية في سبيل خدمة الشريعة غيرة لها، وأنه من المشرف أن يموتوا شهداء في سبيل الدفاع عن الشريعة الموسوية.

فلما نفذ الشباب "الغيور" تلك العملية، أمسك جنود هيرودس أربعين رجلا منهم بعد أن لاذ كثير منهم بالفرار. مثل الأربعون أمام هيرودس الذي سألهم عن كبيرهم الذي أمرهم بذلك، فأجابوا أن "الشريعة المقدسة هي التي أمرتهم بذلك". ثم سألهم إن كانوا لا يخشون الموت، فأردفوا قائلين: "أن الموت سيتيح لهم السعادة في الحياة الأخرى".¹

أمر هيرودس الكبير بحبس محطمي النسور بأريحا مع مجموعة من السجناء الآخرين بملعب خيل. ثم خطب في الناس مذكرا بإنجازاته التي تخدم الشريعة؛ كتجديده للهيكل ولوح إلى أن إنجازاته لم يكن لها مثيل في عهد المكابيين الذين استغرق حكمهم خمسا وعشرين سنة، وأنه لم يكن يتوقع من الناس أن تقوم بمقابلة كرمه -وتفضيله للهيكل بوضع نسور ذهبي تكريسا للرب- بعمل شنيع مثل هذا. ثم أمر هيرودس بأن يحرق الكاهنان متتيا ويهوذا حينئذ لتحريرهما على الشغب وتديبرهما مؤامرة ضد الملك، كما أمر أن يحرق من نفذوا عملية النسور ويقطع رأس الآخرين. وبعد أن انصرف اشتد عليه المرض، واعتبر يوسيفوس

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre XII, p: 602.g

ذلك عقوبة من الله ﷻ. ومع ذلك فإن هيرودس أمر بأن يجمع كل السجناء بمن فيهم الذين لم يبت في أمرهم في ميدان الخيل وأن يعذبوا ويشعروا بنفس الجحيم الذي يعانيه في مرضه. وأن يقتلوا مباشرة بعد سماع خبر وفاته كي تكون مناحة عظيمة جراء وفاته التي ستزامن مع وفاة المسجونين الذين سينوح لأجلهم أهلهم. لكن سلومة أخته أحبطت ذلك حينما مات هيرودس الكبير، وقبل أن ينتشر خبر موته بين الجنود أمرت بإطلاق سراح كل سجناء ملعب الخيل مدعية أن هيرودس قد غير رأيه¹. وبمجرد انتشار خبر وفاة هيرودس الكبير واستلام أبناءه فيليبس² وأرخيلاوس³ وهيرود أنتيباس⁴ السلطة اجتمع مجموعة من اليهود بالهيكل وصاروا يطالبون أرخيلاوس بالقصاص لدماء الجماعة التي حطمت النسر.

بقي المتمردون مجتمعين أياما بالهيكل إلى أن حل عيد الفصح. فقام أرخيلاوس بإسأل بعض جنوده وطالهم بتمالك أنفسهم وأن لا يبادروا إلى العنف. ومع ذلك، فإن بعضا من اليهود قاموا بقتل بعض الجنود وجرح قائدهم الذي لاذ بالفرار. ثم شرع اليهود المتمردون بتقديم الأضحيات بالهيكل كأن شيئا لم يكن. فأحس أرخيلاوس أن ثورة على وشك الحدوث، فأسل فرسانا كثر قاموا بقتل 3000 يهودي، والتجأ بعض من فر إلى الجبال القريبة من

¹ Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre XII, p: 603-604 ; Livre XVII, Chapitre VIII, p: 458-460.

² فيليبس Philip: الابن الثالث لهيرود الكبير، حكم مناطق سوريا الجنوبية وبقي في منصبه أربعين سنة، وذكر في الإنجيل في سياق الحديث عن سجن يوحنا المعمدان وقد ذكر في متى ومرقس ولوقا. وقد حكم منذ سنة 29م حسب لوقا (3؛ 1). السواح، فراس. الغاز الإنجيل، م.س، ص: 158.

³ أرخيلاوس Archelaus: وهو ابن هيرودس الكبير، عين حاكما على مقاطعتي يهوذا والسامرة، وبعد أن قمع أحد التمردات اليهودية في عهده خلعه الإمبراطور أوغسطس سنة 6م، وأضحت المقاطعتان تابعتين للحكم الروماني مباشرة، وفي عهده يذكر متى عودة عيسى ﷺ وأسرتة من مصر. نفسه، ص: 158.

⁴ هيرود أنتيباس Antipas: الابن الثاني لهيرودس الكبير، عينه أوغسطس حاكما على الجليل وبييريا (شرقي الأردن)، وحكمهما أكثر من أربعين سنة، وغضب عليه الإمبراطور كاليغولا ونفاه إلى ليون في فرنسا، وقد ذكرته الأناجيل في سياق الحديث عن مقتل يوحنا المعمدان ﷻ وكذلك في محاكمة عيسى ﷻ في كل من إنجيل مرقس ولوقا. نفسه، ص: 158.

أورشليم¹. أمر أرخيلالوس الناس أن يتركوا الهيكل ويعودوا إلى ديارهم. وبعد ذلك سافرت سلومة وأولادها وإخوة الملك تحت ذريعة دعم ولايته، لكنهم في الواقع كانوا ينوون أن يشتكوه لأوغسطس² جراء المذبحة التي دنس بها الهيكل³.

كان هيرودس الكبير يعامل أولاده كأعداء له، لذلك عاقبهم وانتقم منهم قبل موته. فقد قسم مملكته بينهم، وتركهم في صراع فيما بينهم. فرغم أنه نصب أرخيلالوس خليفة له وأعطاه معظم مناطق الحكم الرباعي، فإن ذلك تم بعد أن أعطى هذا النصيب لابنه فليبس في البداية قبل أن يغير رأيه⁴. وقد قسم مملكته بين ثلاثة من أبنائه وأخته؛ حيث مسك هيرود أنتيباس الجليل وبيريا، وأعطى فيليبس الأراضي التي وقعت في الشمال الشرقي من بحيرة طبرية، ثم أعطى سلومة ابنته منطقة اليمنية وأشدود⁵. بينما تولى أرخيلالوس أمر اليهودية وأعلن خليفة لهيرودس. وقد صادق الإمبراطور أوغسطس على هذا التقسيم⁶، ووعد أرخيلالوس بجعله ملكا على كل تلك المناطق شرط أن يبرهن عن استحقاقه لذلك، وحدثت عدة اضطرابات آنذاك تولى أرخيلالوس أمرها بعنف.

اجتمع بعد ذلك عدد من اليهود بأورشليم في عيد الشفعوت، وهو مهرجان الحصاد، وقد أتوا من يهوذا وأدوم وأريحا ومن نهر الأردن لينتقموا من خازن مال الإمبراطور في سورية،

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVII, Chapitre XI, p: 463.

² أوغسطس (53 ق.م - 14م): يعني اسمه المبجل وهو أول إمبراطور روماني (16 ق.م-14م)، وقد عاصر عيسى (لوقا 2؛ 1) واسمه الأصلي كايوس أوكتافيوس، وامتدت فترة حكمه 44 سنة إلى أن مات، وقد ساهم في استقرار الإمبراطورية. وكان سياسيا محنكا حاول إشعار اليهود في فلسطين أنه ليس محتلا، وقد منح امتيازات كبيرة لليهود الشتات في الشرق، ومنحهم الحكم الذاتي. ويبدو أن أوغسطس أصبح لقباً لمن جاء بعده من الأباطرة (أعمال 25؛ 21-25). بباوي وآخرون. دائرة المعارف الكتابية، المجلد الأول، ص: 554-555.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre II, p: 605-606.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre XVII, Chapitre IX-X, p: 461-462.

⁵ أشدود أو إسدود: مدينة ساحلية بفلسطين التاريخية بناها الكنعانيون. وتقع اليوم على بعد 32 كلم شمالا من مدينة تل أبيب.

⁶ Ibid. Chapitre IX-X, p: 461-462 ; Livre XIII, Chapitre XVII, p: 470-471.

ويدعى سابينيوس القيصري. وقد بعثه أوغسطس كي يتولى مهمة المحافظة على الخزائن التي تركها هيرودس الكبير بعد أن سافر أرخيلائوس وفيليبس لملاقاة الإمبراطور. فاندفع بعض من الحشود للقصر الملكي وآخرون للهيكل وآخرون لملاعب الخيل، وقاموا بمحاصرة الرومان، وشرعوا يدفعون البوابات بالقوة، ثم خرج الرومان واقتتل الفريقان ومات كثير من اليهود. قام بعض أقارب هيرودس الكبير بثورات عدة بغرض تسلم السلطة، وكانت الفوضى تعم مقاطعة يهوذا نظرا لغياب العائلة الهيرودية الممثلة في أرخيلائوس وسلومة وإخوة هيرودس. ويبدو أن يهوذا بن حزقيا قد استغل هذه المناسبة ليعبر عن استمرار إرث أبيه. فقام يهوذا بالاجتماع وأتباعه بصفورية¹ بالجليل، فاستولوا على ترسانة هيرودس هناك وأعلنوا حربا على من زعموا أن سلطتهم أعلى من سلطة الله². فقام ابن حزقيا باقتحام القصر الملكي في منطقة صفورية بالجليل، واستولى على الأسلحة التي في المخزن. وقد ذكر يوسيفوس أنه كان يسعى ليكون ملكا³، ويضيف دونيني أن قضيته لم تكن ملكية فحسب، بل شخصية أيضا، لأن يهوذا لم يرث حلم أبيه فحسب بل ورث أيضا الكراهية لهيرودس وسلالته⁴.

يقول يوسيفوس: "وفي خضم الهرج والمرج، ملأت يهوذا بقطاع الطرق بالموازاة مع حشد أحدهم الحشود المتمردة ليتخذوه ملكا، كانت الحالة تعرف تمزقا من كل الجوانب؛ وكان الرومان أقل الجوانب تعرضا للأذى. لأن اليهود عوض أن يتحدوا ليوجهوا سلاحهم ضدهم،

¹ صفورية: قرية فلسطينية شمالي الناصرة. المنجد في الاعلام، م.س، ص: 346.

² Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre VI-VII, p: 609.

³ Ibid. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVII, Chapitre XII, p: 467-468.

⁴ Donnini, David. *Gamala*. Ibid, p : 21.

فإنهم قاموا بتوجيه شغبهم للاقتتال فيما بينهم¹. ثم قام القائد فاروس² (Varus) حاكم سوريا إثر ذلك بجمع جيشه وإرسال جزء منه. فألقوا القبض على كثير من المتمردين وصلبوا 2000 منهم وأطلقوا الباقين³. وأرسل إليهم جنده بصفورية فأحرقوها وسبوا أهلها⁴. وقام بأعمال مشابهة شخص يدعى سمعان وآخر اسمه أثرونجيس فكانت أقرب لحرب عصابات، إلا أن هؤلاء قد أعلنوا حسب يوسيفوس أنهم ملوك عن طريق لبس التيجان⁵، وقد أدى تعامل أرخيلالوس الوحشي مع هؤلاء الثوار إلى فقدانه شعبيته، مما أدى إلى عزله سنة 6م، فصارت يهوذا وأورشليم منذ ذلك الحين تحت حكم عسكري روماني مباشر. أضحت مقاطعة يهوذا تابعة لسوريا بأمر من أوغسطس فصار كيرينيوس هو المسؤول المباشر عن سوريا، ومن ثم عن يهوذا. وقد قام بعملية الإحصاء الضريبي واستولى على مال أرخيلالوس وقصره، وكان اليهود رافضين لما يقع، وكان الكاهن يوازار بن بويتس⁶ يحاول تهدئتهم. حينها قام يهوذا الجليلي وصادوق الفريسي بحمل شعار "إن تنصروا الله ينصركم"

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVII, Chapitre XII, p: 468. "Dans une confusion si étrange et qui remplissait toute la Judée de brigandages, aussitôt que quelqu'un avait assemblé une troupe de séditieux il prenait le nom de roi : l'état était déchiré de toutes parts ; et la moindre partie du mal tombait sur les Romains, parce que les Juifs, au lieu de se réunir pour tourner tous ensemble leurs armes contre eux, se partageaient entre ces factieux et s'entretuaient les uns les autres".

² بوبليوس كوينكتيليوس فاروس (46ق.م - 9م): حكم سوريا بعد سينتيوس ساتورنينوس لعدة سنوات. ويبدو أنه كان حاكما فاسدا فقد دخلها فقيرا واغتنى هناك. عين بعد ذلك واليا على ألمانيا.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ed. William Smith. London: Taylor and Walton, 1849, Vol. 3, p: 1231.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVII, Chapitre XII, p: 469.

⁴ Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre VI-VII, p: 610.

⁵ Ibid. *Histoire des Juifs*. Tome Cinquième, Livre II, Chapitre VI, pp : 215-217.

⁶ يوازار بن بويتس: تم تعيينه رئيسا للكهنة (23 ق.م - 5م) قبل وفاة هيرودس الكبير خلفا لمتثيا بن ثوفيلوس بسبب حادثة تحطيم نسر الهيكل. وقد كان شقيق مريم زوجة هيرودس. قام كيرينيوس بعزله رغم دوره في تهدئة الأوضاع جراء الإحصاء الضريبي.

Roth, Lea. "Joezer, Son of Boethus". *Encyclopaedia Judaica*. Vol. 11, Ibid, p: 366.

معتبران الإحصاء الضريبي استعبادا. وقد كان كوبونيوس¹ (Coponius) قائد الفرسان مسؤولا عاما عن مقاطعة يهوذا، فحرض مؤسس الفلسفة الرابعة أتباعه من أهل الريف على الامتناع عن دفع الضرائب، وأعلن أن الرب هو السيد الوحيد، وأن عليهم مواجهة الاحتلال الروماني. وقد صور يوسيفوس ثورته على أنها فتنة، ويمكن أن نتيين من كلامه أن أناسا رضخوا لرأي الكاهن يوازار وقاموا بمساندة الرومان ضد جماعة يهوذا. وقتل الكثيرون في تلك الحرب². ويضيف يوسيفوس: "قام جليلي اسمه يهوذا، بدفع اليهود للثورة، من خلال لومه لهم على ما يدفعونه للرومان من ضرائب، لأنهم ضمنيا كما لو كانوا يعترفون أن الرومان سادة لهم مساوين إياهم بالله. وصار يهوذا بهذا مؤسسا لفرقة دينية مختلفة تماما عن الثلاث فرق الأولى ..."³ ولم يذكر يوسيفوس مصير يهوذا، لكن لوقا ذكر عبارة [هَلَكَ يَهُوذَا وَتَشَتَّتَ أَتْبَاعُهُ] (أعمال الرسل 5؛ 37)، ومن المفترض أن أتباعه عادوا إلى الجليل حيث تولى المتعاطفون معهم إخفاءهم. وكانت هذه أخطر ثورة قامت بعد هيرودس الكبير نظرا لبعديها السياسي والديني.

يمكن ملاحظة الفرق بين حراك حزقيا وسلالته وحراك يهوذا الجليلي، حيث ارتكزت رسالة الجليلي على قضية التبعية للسلطة الرومانية وحساسيتها الدينية، بينما ارتكزت معارضة حزقيا وأبناءه على أحقية السلطة الشرعية. فإذا تأملنا في حركة حزقيا نراها تتميز

¹ كوبونيوس: أول روماني ينصب واليا على يهوذا (6-9م) حافظ على علاقة طيبة مع اليهود. وفي عهده قام السامريون بتدنيس الهيكل ويبدو أنه أنصف الربيين.

Roth, Lea. "Coponius". *Encyclopaedia Judaica*. Ibid, Vol. 05, p: 212-213.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVIII, Chapitre I, p: 473-474.

³ Ibid. *Histoire des Juifs*. Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XII, p : 231. «Un Galiléen nommé Judas, Porta les Juifs à se révolter, en leur reprochant que ce qu'ils payaient tribut aux Romains, était égal les hommes à Dieu. Puisqu'ils les reconnaissaient pour maîtres aussi-bien que lui. Ce Judas fut l'auteur d'une nouvelle Secte entièrement différente des trois autres, dont la première était celle des Pharisiens, la seconde celle des Saducéens, & la troisième celle des Essenien ...»

بالرغبة في الدفاع عن القومية اليهودية والسعي للسلطة، وإذا ركزنا على حركة الجليلي نراها تدافع عن المكون الديني لشعب إسرائيل. ولكن يوسيفوس أطلق مسمى الفلسفة الرابعة على حركة يهوذا الجليلي. ومن ثم يمكن الاستنتاج أن السكاريين و-هم من أقارب يهوذا- لم يكونوا قوميين بقدر ما كان اهتمامهم يصب على الشأن الديني، ولهذا فليس من الغريب تمسكهم بالنبوات المسيحانية.

المبحث الثاني: بروز الحركة المسيحانية والانتفاضات الشعبية.

كان الولاة الرومان الذين تولوا مهمة إدارة فلسطين مباشرة، يتجنبون خلق أي حساسية دينية، لأنهم يعلمون أنهم يقفون على بركان، خاصة بعد ثورة يهوذا بن حزقيا ويهوذا الجليلي التي قتل إثرها عدد كبير من الجنود الرومان وأعدم على إثرها كثير من اليهود، ولهذا السبب كانوا يتوجسون من أي شخص يسبب فتنة دينية، ولعل ذلك هو السبب وراء شك بيلاطس البنطي (Pontius Pilate)¹ في عيسى عليه السلام². ومع ذلك فقد قام الولاة بالكثير من الأخطاء أدت إلى خلق اضطرابات جديدة.

بعد عشرين سنة من تمرد يهوذا الجليلي عين الإمبراطور بيلاطس البنطي واليا³. وأرسل الإمبراطور معه من قيصرية إلى أورشليم فرقا عسكرية تحمل رايات بها صور له -وهذا حسب يوسيفوس يخالف الشريعة اليهودية- ولم يجرء على فعله أي والي من قبل. وقد تم ذلك

¹ بيلاطس البنطي (10 ق.م - 44م): الوالي الروماني (26م - 37م) على مقاطعتي اليهودية والسامرة بعد أرخيلوس. شخصية اشتهرت بفضل ذكرها المتكرر في العهد الجديد. كان مقره الرسمي في مدينة قيصرية وليس في أورشليم، وكان يصعد إلى دار الولاية في أورشليم ليقتضي للشعب هناك، وقد ارتبط اسمه بمحاكمة عيسى. السواح. **الغاز الإنجيل**، ص: 158.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*. Ibid, p : 22.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XIV, p: 617.

بالليل بحيث لم يتم ملاحظتها من قبل الناس إلا صباح اليوم الموالي. فراح جماعة من اليهود يناشدون بيلاطس أن ينزل تلك الرايات، ورفض معتذرا بأنه إذا فعل ذلك فإنه يهين الإمبراطور، وبسبب ضغطهم اليومي المستمر أمر بيلاطس في أحد الأيام جنوده أن يحملوا سلاحهم، وأن يطوقوهم بعيدا عنه، وأن يجهزوا عليهم إذا أصرروا على التقدم، فقام بعضهم بالسقوط أرضا وأخذوا يعرضون رقابهم ليشيروا إلى أولوية شريعتهم على حياتهم. يقول يوسيفوس: "كان ثباتهم وغيرتهم الملهبة لديهم محط إعجاب بيلاطس فأمر بإعادة تلك الرايات إلى قيصرية"¹. وتعبير يوسيفوس هنا يؤكد على وجود الغيرة باعتبارها جزءا من العقيدة اليهودية، وذلك قبل أن يظهر من أطلقوا على أنفسهم اسم الزيلوت.

كما قام بيلاطس حوالي سنة 30م بسحب أموال من خزائن الهيكل؛ أي من أموال التقدّمات، وشرع في بناء قنوات لجر المياه لفائدة مئتي مدرج روماني، فاحتشد الناس من كل حذب وصوب للاحتجاج على ما صار ولمناشدته لإيقاف المشروع، لكن آخرين -ويسمهم يوسيفوس بالغوغاء- صاروا يسبون بيلاطس، فأمر جنوده أن يحملوا عصيا ويخفوها وأن يطوقوا الحشود، ثم أعطى إشارته فصار الجنود ينفذون أوامره بمبالغة شديدة حتى انهالوا ضربا على الذين سبوه وعلى من لم يفعل ذلك. وبما أن اليهود لم يكونوا مسلحين فإنه قتل بعضهم وجرح البعض الآخر، ومن ثم تم قمع أي تمرد متوقع². وقد أشار إنجيل لوقا (13: 1-3) إلى هذا الحدث فيما نصه: ["وَكَانَ حَاضِرًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVIII, Chapitre IV, p: 477. « Leur constance et de zèle si ardent pour leur religion donna tant d'admiration à Pilate, qu'il commanda qu'on reportât ces drapeaux de Jérusalem à Césarée ».

² Ibid. Livre XVIII, Chapitre IV, p: 478.

خَلَطَ بِيَلَاطُسَ دَمَهُمْ بِدَبَائِحِهِمْ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لِأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هَذَا؟ كَلَّا! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ»¹. وحسب هذا النص فإن رأي المسيح فيما قام به بيلاطس يمثل رأي يوسيفوس في استخدام الرومان كأداة إلهية¹ لعقاب الشعب جراء خطاياهم، وأن المخرج الوحيد له ليس الثورة والتمرد وإنما التوبة.

في سياق لست ببعيد عن حادثة احتشاد الشعب ضد بيلاطس، يرد ما اصطلح عليه المؤرخون بالشهادة الفلافية في كتاب التاريخ اليهودي ليوسيفوس، والتي يعتقد كثير من الباحثين أنها مضافة من قبل الكنيسة، حيث إنها أول إشارة صريحة لوجود السيد المسيح في كتب التاريخ. يقول يوسيفوس: "في نفس ذلك الزمان عاش إنسان حكيم يدعى عيسى، إن صح أن ندعوه إنساناً لأنه قام بأمر غير عادية، وكان معلماً للناس الذين تقبلوا الحقيقة بكل فرح، وأتبع ليس من قبل كثير من اليهود فقط، بل من كثير من الأمميين. لقد كان هو المسيح، وحينما حكم عليه بيلاطس بالصلب بناء على اتهام شيوخنا، بقي الذين أحبه منذ البداية مخلصين له بعد موته، وفي اليوم الثالث لموته ظهر لهم حياً مبعوثاً، مصداقاً لتنبأ الأنبياء القديسين وبأنه سيقوم بمعجزات أخرى، وإليه ينسب المسيحيون الذين نراهم اليوم، حيث اشتقوا من اسمه"².

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 222.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVIII, Chapitre IV, p: 478. "En ce même temps était Jesus, qui était un homme sage, si toute fois on doit le considérer simplement comme un homme, tant ses oeuvres étaient admirables. Il enseignait ceux qui prenaient plaisir à être instruits de la vérité, et il fut suivi non seulement de plusieurs Juifs, mais de plusieurs Gentils. C'était le Christ. Des principaux de notre nation, l'ayant accusé devant Pilate. Il le fit crucifier. Ceux qui l'avaient aimé durant sa vie, ne l'abandonnèrent pas après sa mort. il leur apparut vivant et ressuscité le troisième jour, comme les saints prophètes l'avaient prédit et qu'il serait plusieurs autres miracles. C'est de lui qu les Chrétiens que nous voyons encore aujourd'hui, on tiré leur nom".

وقد أشكلت هذه الشهادة على المؤرخين، حيث اعتبروا تمجيد يوسفوس لعيسى وتنزيله منزلة فوق البشرية وتصريحه بنبوته وإيمانه بمعجزاته بل وقيامته -التي تشكل صلب العقيدة المسيحية (كورونثوس الأولى 15؛ 14)- أمرا غير معقول، خاصة أن يوسفوس لم يكن مسيحيا بل يهوديا. وكل هذا يجعل النص مستبعدا. وفي المقابل، فهناك من يشير إلى أن الخبر المذكور في كتاب يوسفوس صحيح في خطوطه العامة، "على اعتبار أن من زور هذا النص قد بنى تزويره على نص أصلي كتبه يوسفوس، وأن مهمته اقتصررت على إضافة بعض العبارات ذات الصبغة المسيحية"¹. ويشيرون إلى نص نقله الأسقف أغابيوس² باللغة العربية في القرون الوسطى، ونشر في سنة 1909م كتاب "العنوان" أو "الحوليات العالمية": هذا الكتاب ينقل عن يوسفوس نصا يبدو محايدا حيث يقول فيه: "كان في هذا الزمان رجل حكيم يقال له يسوعا، وكانت له سيرة حسنة وعلم أنه فاضل، وأنه يتلمذ له كثير من الناس من اليهود وسائر الشعوب، وكان فيلاطس قضى عليه بالصلب والموت، والذين تتلمذوا له (لم) يدعوا تلمذته، وذكروا أنه ظهر لهم بعد ثلاثة أيام من صلبه وأنه عاش، فلعله هو المسيح الذي قالت عنه الأنبياء الأعاجيب"³.

وأما المرة الثانية التي ذكر فيها يوسفوس عيسى ﷺ، فتبدو مقبولة لولا وصفه لعيسى بـ"المسيح" حيث قال يوسفوس: "قاموا بإحضار يعقوب أخي عيسى المسيح مسيحا، وقام

¹ السواح. ألغاز الإنجيل، ص: 154.

² أغابيوس (942م): اسمه محبوب بن قسطنطين الرومي المنبجي وهو أسقف وفيلسوف مسيحي عربي من الملكانيين. ولد بشمال حلب بسوريا. وهو شخصية تاريخية منسية لم تتوفر عنه معلومات كثير سوى كتابه كتاب العنوان وهو كتاب في التاريخ لم يشرع في تحقيقه وترجمته إلا سنة 1907 على يد مجموعة من الباحثين الفرنسيين.

Agapius, (Mahboub) De Menbidj. *Kitab al-Unvan (Universal History)*. Ed. & Trans. Alexandre Vasiliev. Paris: Patrologia Orientalis, 1909, Première Partie, p: 5-6; 9.

³ Ibid, Seconde Partie, p: 171-172.

آخرون بمحاكمته بتهمة مخالفة الناموس، وحكم عليه بالرجم"¹. وهي تؤيد النص العربي، حيث تعتبره شخصية غنية عن التعريف لأنه ذكر سابقاً²، ويبدو أن قوله "المسمى مسيحاً" يشير إلى لقبه المعترف من قبل التلاميذ.

بناء على الدليل السابق الذكر، يتضح أن يوسيفوس قد أتى على ذكر عيسى رغم أن الكنيسة أضافت إلى النص ما يؤيد فكرها اللاهوتي. وتعتبر شهادة يوسيفوس مهمة جداً، لأنه رجل يهودي، ولأنه كان يكتب تاريخاً، لا كتاباً مقدساً. كما تبرز أهمية هذه الشهادة خلال مناقشة علاقة المسيح بالزبلوت والتي ليس موضعها الحين.

وبعد توفي الله ﷻ لعيسى ﷺ، احتشد بعض السامريين بأمر من مدعي نبوة بجبل جرزيم، وقد وعدهم بوجود أواني خزفية زعم أن موسى ﷺ قد قام بدفنها هناك. وقد تعامل بيلاطس بشدة مع هذا التجمع وقتل كثيراً منهم. ولهذا عزله الإمبراطور جايوس جاليكولا (Gaius Caligula)³ بعد أن حكم عشر سنوات يهوذا⁴.

كان الإمبراطور جاليكولا يعتقد أنه إله، فأمر بإدخال تمثال له إلى المعبد، وطبعاً رفض اليهود ذلك وفضلوا الموت على يد الرومان على أن تنتهك حرمت دينهم. وحاول حفيد هيرودس

¹ Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Quatrième, Livre XX Chapitre VIII, p : 364. « Il fit venir Jacques frère de Jésus nommé Christ, & quelques autres les accusa d'avoir contrevenu à la loi, & les fit condamner à être lapidés ».

² السواح. *ألغاز الإنجيل*، ص: 154.

³ جايوس جاليكولا (12م - 41م): ثالث إمبراطور لروما (37-41م) واسمه جايوس قيصر. يعتقد أنه قتل بيلاطس. لكن من المؤكد أنه أطلق سراح كل المعتقلين في عهده وأعاد السلطة لأبناء هيرودس الكبير. كان عقلانياً في بداية حكمه لكنه صار دمويًا ثم ادعى الألوهية. حيكمت ضده مؤامرة وقتل.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol. 1, 1869, p: 563-565.

⁴ Flavius. « *Histoire Ancienne des Juifs*. » Livre XVIII, Chapitre V, p: 479.

الكبير أغريبا الأول¹ (Agrippa Herodes) (44-41م) إقناع الرومان بإيقاف الأمر تجنباً لحدوث ثورة، وأكد أن اليهود ليس لديهم أي نية لينقلبوا على السلطة الرومانية. لكن محاولته باءت بالفشل وأدى ذلك إلى فتنة كبيرة بأورشليم. ولم يوقف تلك الفتنة فيما بعد إلا موت الإمبراطور². وقبل موته وبعد سنة من العصيان، جاء إليهم القائد الروماني بيترون³ (Petrone) فسألهم: "هل تنوون حمل السلاح ضد الإمبراطور" فأجابوا "لا، سنقدم يومياً تقدمات لله ومن أجل الشعب الروماني"⁴، ولكن إن كنتم تنوون وضع هذه التماثيل فيمكنكم قبلها نحرنا وأهلنا وأولادنا"⁵. فقام بيترون بمراسلة الإمبراطور يستعطفه، فغضب الإمبراطور إلى درجة أنه أمر بقتل بيترون، لكن اغتيال الإمبراطور سبق تنفيذ أمره.

لقد قادت أعمال الإمبراطور جاليكولا إلى فتن، حيث رأى حتى اليهود الموالين للرومان أن العقيدة ليست أمراً للمساومة مع طاعة الرومان. ولم يوقف الفتنة سوى اغتيال الإمبراطور جاليكولا، وقد اعتبر بعض اليهود هذا الأمر إشارة من الرب لاقتراب العهد المسيحاني وأن الثورة قد يكتب لها النصر⁶.

¹ هيرودس أغريبا (10 ق.م - 40م): ابن أرسطوبولس وحفيد هيرودس الكبير. بعث إلى روما ليتلقى تعليمه مع الإمبراطور المستقبلي كلوديوس. يعرف بالبدخ والترف. ألقاه بيلاطس في السجن وأطلق سراحه جاليكولا وولاه على النظام الرباعي. وكان له شعبية بين اليهود لأنه كان معتدلاً في الملك كما قام بإعدام أحد حواربي المسيح يعقوب أخي يوحنا وألقى بطرس في السجن إرضاء لليهود.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol 1, p: 77-78.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVIII, Chapitre XI, p: 491-495.

³ بيترون: والي روماني أرسله كاليغولا إلى سوريا خلفاً لفيتولوس. وقد أمره بتنصيب تمثال له في الهيكل. وورد أنه كان مندوباً لكلوديوس. *Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology*. Ibid, Vol 3, p: 563-565.

⁴ الملاحظة هنا أن تعبير المسيح ﷺ بقوله: "أَجْبُوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، بَارِكُوا لِأَعْنِيَكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ" (لوقا 6: 27-28) يشبه تعبير اليهود عن استعدادهم للصلاة من أجل الشعب الروماني. وهذا يدل على أن فكرة محبة الأعداء كانت حاضرة سواء باعتبارها تراثاً عبراني أو تأثراً برسالة المسيح الذي عاصر تلك الفترة ومن ثم يستبعد نزوع المسيح للتمرد العنيف ضد السلطات وإن كان غيرته على شعب إسرائيل وإلهه حاضرة.

⁵ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XVII, p: 619-620.

⁶ Hengel. *The Zealots*, p: 105-106.

وبعد موت الملك هيرود أغريبا الأول -الذي لم يدم حكمه ليهودا سوى ثلاث سنوات- تولى الوالي الروماني كاسبوس فادوس¹ (Cuspius Fadus) (44-46م) أمر يهوذا². وإبان فترة حكمه قام شخص يدعى ثو اداس (Theudas)، أو الساحر -كما يسميه يوسيفوس- بحث عدد كبير من الشعب بأخذ أمتعتهم واتباعه لنهر الأردن، زاعما أنه نبي وأنه سيوقف مجرى نهر الأردن بكلمة منه، فيجعل لهم به ممرا جافا يقطعونه راجلين. فأرسل فادوس وراءه جيشا من الفرسان، قتلوا جماعة منهم وأسروا البعض الآخر. وألقوا القبض على ثو اداس وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى أورشليم³. وقد ورد ذكر ثو اداس هذا في أعمال الرسل (5: 36).

تم الحكم بالصلب في فترة ولاية ألكساندر تيبيريوس (46-48م) على يعقوب وسمعان وهما ابنا يهوذا الجليلي مؤسس الفلسفة الرابعة⁴. ولا تتوفر معلومات أخرى غير ذلك، لكن من المؤكد أن الابنين استكملا مسيرة أبيهما في الدعوة لرفض سيادة غير الله على الأراضي المقدسة.

¹ كاسبوس فادوس: عينه كلوديوس بعد وفاة أغريبا واليا على النظام الرباعي في سنة 44م. خلال إدارته تم استتباب الأمن من جديد خاصة بعد قمع ثورة ثو اداس. خلفه بعد ذلك تيبيريوس ألكسندر.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre I-III, p: 523.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. Livre XX, Chapitre I;III, p: 529.

⁴ Ibid, Livre XX, Chapitre III, p : 343 ; Applebaum, « The Zealots: The Case for Revaluation. » p: 160-161.

كان أنطونيوس فيلكس (Antonius Felix¹) (52- 60م) وكمانوس فينتيديوس (Ventidius Cumanus)² (48-52م) يتوليان معا أمور فلسطين. وفي فصيح سنة 51م، قامت فتنة كبيرة، حيث رمى بعض اليهود بعض العساكر الرومانيين بالحجارة إثر إهانتهم لعبادتهم بسلوك مخل للأدب، حيث قام جندي بالتعري أمام ملأ من اليهود، فظن اليهود أن الوالي هو من حرصه على ذلك، وأحس كمانوس بالإهانة، لهذا أمر جنوده بالاستعداد لأي هجوم عند قلعة أنطونيا قرب الهيكل³. ونظرا لكثرة عدد الجنود ظن اليهود أنهم مهاجموهم، ففروا هاربين وكان عددهم كبيرا، واعتقدوا أن الجنود يطاردونهم، فتدافعوا عند بوابة الهيكل فمات 20000 منهم من شدة التدافع، وفر عدد كبير منهم خارج أسوار الهيكل، وبعدها قام أحد الجنود خلال مطاردتهم برمي نسخة من التوراة في النار، ولم يستطع كمانوس أن يتحكم في الوضع إلا بقطع رأس ذلك الجندي أمام اليهود⁴.

ثم حدثت مشكلة بين اليهود الذين قدموا من الجليل إلى أورشليم أثناء مرورهم بأراضي السامريين. فقد حدثت مشاجرة بينهما أدت إلى مقتل كثير من اليهود. واعتقد اليهود أن كمانوس لن يحقق لهم العدالة لأن السامريين قد رشوه. ولهذا قاموا بجمع الأسلحة

¹ أنطونيوس فيلكس (10 ق.م - ؟): خلع الإمبراطور عليه لقب كلوديوس فيلكس. كان شريكا لمانوس في الولاية وكان وكان يحكم السامرة. وقد تواطأ الاثنان في أعمال عنف وغيلة لكن كمانوس حمل كل التهم وعزل عن منصبه ومن صار فيليكس واليا على كل المقاطعات. وصفه المؤرخون بمنعهم الضمير والمسرف وقد استطاع قمع جميع التمردات في عهد ولايته. وقد ورد في سفر أعمال الرسل حيث مثل بولس أمامه وأبقاه في السجن سنتين (أعمال الرسل 23؛ 24؛ 25). عزله نيرون ولا يعلم شيء عن مصيره بعد ذلك.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol 2, p: 143.

² فينتيديوس كمانوس (القرن الميلادي الأول): كان يشترك في الولاية لبعض الوقت مع أنطونيوس فيليكس منذ سنة 48م فقد تولى أمر الجليل في البداية. كان فاسدا وعنيفا ولكن فيليكس شاركه في ذلك إلا أنه كان قدم كبش فداء للإمبراطور وعزل وعوض بفيليكس في جميع المقاطعات.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol. 2, 1849, p: 143.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre IV, p: 530.

⁴ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 24.

واستنجدوا بالعازر بن دانوس¹ الذي تعود منذ سنوات على قطع الطريق والسطو وحرق القرى السامرية، فأعاد وإياهم الكرة وألحق بأراضيهم أضرارا. ولكن كمانوس اعترض طريقهم مع فرسانه وجماعة من السامريين وقتل من اليهود الكثير وأسّر كثيرين. فقام من سماهم يوسيفوس بالشخصيات "المعتبرة" بأورشليم بمحاولة تهدئة اليهود وحملهم على ترك أسلحتهم، فحذروهم من النتائج الوخيمة التي قد تنتج عن هيجانهم كالفتنة واستعباد ذويهم وحرق الهيكل. ورغم أنهم اقتنعوا بكلامهم وتراجعوا عن ثورتهم، إلا أن جماعة اللصوص (قطاع الطرق) استقروا إثر ذلك بمواقع استراتيجية من يهوذا، ومنذ ذلك الوقت انتشرت اللصوصية هناك².

بدأت فتنة اللصوص وهم أتباع العازر بن دانوس -حسب يوسيفوس- قبل عشرين عاما من تولي فليكس ولاية يهوذا (52-60م)؛ أي ما بين 32 و34م. وإذا افترضنا أنهم زيلوت، فإن الظهور الحقيقي لهذه الفرقة قد تم فعلا في العقد الثالث من القرن الميلادي الأول؛ أي أنهم عاصروا عيسى ﷺ، ومن ثم لا يستبعد وجود رابط بينهما، ولكن يوسيفوس لم يذكر ولا مرة أنهم زيلوت. ولم يكن يمر يوم إلا ويعاقب فيلكس أحدا، إذ استفحلت اللصوصية يهوذا. ولذلك حاول فليكس أن يتفاوض مع العازر بن دانوس ليستسلم على ألا يلحق أذى به ويسلمه سجيناً إلى روما. وفعلا استطاع فيلكس القبض على العازر وإرساله سجيناً لروما³. لكنه هرب بعدها وعاد إلى أورشليم، وبدأ يجمع الناس حوله للتمرد.

¹ لا يوجد دليل على انتماء العازر بن دانوس سواء لفرقة الزيلوت أو لجماعة السكاريين بل كلما يذكره يوسيفوس هو كونهم قطاع طرق ولصوص وقد أطلق الرومان ويوسيفوس هذا الاسم حتى اللصوص العاديين الذين لا ميول دينية أو سياسية لديهم.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre V, p: 530-531.

³ Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXII-XXIII, p: 624.

قتل الإمبراطور تيبيريوس كلوديوس¹ (Tiberius Claudius) (41-54م) من جاء من السامريين للمطالبة بحقه ونفى كمانوس، إذ تبين للإمبراطور أنه مرتشي، وأن السامريين هم سبب الفتنة. وأصبح فيلكس هو الوالي الأوحده على يهوذا سنة 52م. وسلم كلوديوس نصيب كمانوس لأغربيا الثاني².

المبحث الثالث: بروز تنظيم رجال الخناجر السكاريين.

برز التنظيم الذي أطلق عليه يوسفوس اسم "سكاريوس" (Sikarios = Σικάριοι). فأضحوا يقومون بمجموعة من الاغتيالات في صفوف بعض الكهنة اليهود، حيث يقول يوسفوس: "وكان منهم قوم يحملون سكاكين صغارا ذات حدين يخفونها في ثيابهم، ومن أراد منهم أن يقتل رجلا كان يعطي بعض أولئك الأشرار شيئا ويسأل أن يقتله، فيمضي ذلك الشرير فيلاصق ذلك الرجل ويمشي إلى جانبه بين الناس ثم يضربه بالسكين في بعض مقاتله فيسقط ميتا، ويختلط القاتل بالناس فلا يعرف. ولم يكن القتل بالسكاكين يعرف بعد عندهم قبل ذلك، فلذلك لم يحاذروه وكان هؤلاء الأشرار جماعة كثيرة، وكانت لهم خفة وجسارة وإقدام، وكانت المدينة عظيمة كثيرة الناس جدا، ولم يكن موضع منها يخلو من الزحام، وكان أصحاب السكاكين يمشون بين الناس دائما في اورشليم وفي الأسواق وفي

¹ تيبيريوس كلوديوس (10 ق. - 54م): رابع أباطرة روما (41-54م) خلف جاليكولا، وكانت تلك مصادفة خاصة أنه لم يكن يرى إمبراطورا مستقبليا لقلّة حيلته. خلفه ابنه بالتبني نيرون بعد وفاته.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol 1, p: 775-776.

² هيروُدس أغربيا الثاني (28م - 100م): هو ابن أغربيا الأول. ولأن سنه كان صغيرا فإنه لم يملك بعد أبيه مباشرة فصارت مملكته الرباعية تابعة للولاية الرومانية مرة أخرى. ولم يعجب اليهود طريقة عزله وتعيينه للكهنة. بعد فشله في ضبط الاضطرابات عزل عن منصبه فكان آخر ملوك الأسرة الهيرودية. ورد ذكره في أعمال الرسل (25؛ 26) وقد مثل أمامه بولس الرسول واقتنع بإطلاق صراحه. *Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol 1, p: 78.*

الشوارع فيقتلون من أرادوا بتلك السكاكين، ولا يعرفون لكثرة الخلق والزحام في المدينة، فسي هذا القتل الموت الأعمى لأنه كان خفيا لا يظهر فيحترز منه"¹.

وكلمة "سيكا" (Sica) تعني خنجر، ومن ثم يكون المعنى الأقرب هو رجال الخناجر لحملهم إياها واستخدامها في اغتيال اليهود لخلق جو من الغضب ضد الاحتلال الروماني، وتحريض الشعب على الثورة². ومع ذلك فإن عملياتهم الأولى ضد اليهود كانت بتدسيق من الرومان أنفسهم، ولم يكن لها نفس الدوافع المتعلقة بحرب اليهود ضد الرومان. فقد كان فيلكس في عهده عرضة لنقد كاهن يدعى جوناثان بسبب سوء تديره لأمر يهوذا. وخشي أن يحمله مسؤولية ما يقع في أورشليم، فوعد شخصا مقربا من جوناثان اسمه دورا (Dora) الأورشليمي بمبلغ مالي مقابل أن يرشي أحد قطاع الطرق لاغتياله. وقدم إليه بذريعة التعبد واندس ضمن خدامه وقتله بخنجر. ولم يعاقب أحد ممن هم على شاكلة المقتال، واستمروا بتنفيذ عملياتهم بوصفهم قتلة مؤجورين³.

يحكي يوسيفوس تفاصيل الحدث فيقول: "فهلك من الناس خلق كثير وقتل رجل من جملة الكهنة يقال له يوناثان وكان رجلا فاضلا صالحا ولم يعرف قاتله، وقتل جماعة من ذوي القدرة وأهل الخير وأرباب التدين ومن سائر الناس على طبقاتهم، فلما كثر هذا القتل ودام، صار جميع الناس يلبسون الدروع من تحت ثيابهم خوفا من أصحاب السكاكين. ولما كثر الشر والأذى في مدينة أورشليم اجتمع قوم كثير من أهلها ليخرجوا بمالهم وأولادهم لخوفهم على أنفسهم، فمضى الأشرار إلى فيلكس صاحب الروم فقالوا له إن جماعة من

¹ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 218-219.

² Jackson. « Revolutionaries in the First Century ». Ibid, p: 130.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre VI, p: 533.

اليهود قد خرجوا من أورشليم وإنما خرجوا لأنهم يريدون أن يعصوا الروم فوجه فيلكس أصحابه فتبعوهم فقتلوا أكثرهم وأسروا من تبقى منهم¹. فلقد قتل السكاريون جوناثان بتدسيق مع فيلكس، لكن السكاريين خرجوا عن سيطرة الرومان بعد ذلك وصاروا بشكل غير مباشر محرضين على الفوضى والتمرد ضد الرومان، على الأقل حسب ما ينقله يوسيفوس². لقد كان السكاريون يهاجمون أحيانا حتى داخل المعبد، ويختطفون موظفي المعبد ويطالبون بإطلاق سراح زملائهم، وقد اختطفوا الكاهن العازر ابن الكاهن حنانيا³. وهكذا انفلت الأمر أمنيا، فقام السكاريون حوالي سنة 54م -حسب يوسيفوس- بعملياتهم في وضح النهار، واستغلوا المناسبات الكبرى بغرض إرهاب الناس، ولما كان أحدهم يقوم باغتيال شخص يصرخ في الناس: "أمسكوا القاتل!"، فيهرب الناس فزعا ويختلطون فيكون له الفرار. وفوق كل هذا، كانوا يعقدون مؤتمرات سرية ويخطبون في الناس ويحدثونهم عن الآمارات والنبوات الدينية وأن خلاص الرب قد اقترب. فاعتبر فيلكس تلك الاجتماعات تحريضا ضد النظام فبعث بالمشاة والفرسان الذين قتلوا عددا كبيرا منهم. ومن هنا يتبين أن السكاريين هم أول من أحيا الفكر المسيحاني وليس الزيلوت.

وبينما أورشليم غارقة في الدماء، قام من سماهم يوسيفوس بالرجالين بإضلال الناس ووعدوهم بأن يروهم أمارات ومعجزات، ولكن فيلكس حاربهم وقتل الكثير منهم. وجاء حينها مصري سمي بالساحر إلى أورشليم يدعي النبوة، وأمر الناس باتباعه إلى جبل الزيتون في ضواحي المدينة، وأكد أنه سيسقط كل أسوار أورشليم بكلمة منه فيدخلوها فاتحين دون

¹ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 218-219.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, Ibid, p: 25; 28.

³ Ibid.

الحاجة لأبواب، وكان معه 30000 رجل¹. وهاجمهم فيلكس وقتل 400 رجل وأسر 700 منهم، ولكن المصري فر. قام اللصوص بتحريض الناس على الثورة ضد الرومان، وقاموا بحرق قرى الناس الذين لم يتبعوهم في دعوتهم، وتزامن ذلك مع حدوث نزاع بين اليهود والسوريين على مدينة القيصرية التي اعتبرها اليهود مدينتهم بفضل غزو هيرودس لها، فاقتتلوا بسبب هذا النزاع، وكان تدخل فيلكس في هذه الحرب دمويًا في حق اليهود²، حيث انحاز الإمبراطور الروماني نيرون (Nero Domitius)³ (54 – 68م) للسوريين الهلنسيين، فزاد ذلك من حقن اليهود على الرومان، خاصة أن هؤلاء الذين تم الاعتداء عليهم كانوا من يهود الطبقة الأرستوقراطية ومن الموالين لهيرودس الكبير والرومان.

توحد رأي الشعب اليهودي تدريجياً ضد الرومان، حيث يرى يوسفوس هذا الرأي فيقول: "هذا ما أعطى دفعة للحرب التي قامت في ماي من السنة الثانية عشرة من حكم هذا الإمبراطور"⁴ أي حوالي سنة 66م. ويقول يوسفوس: "ولم يكن سوى القتل والنهب، وغنموا دون تفريق بين الأصدقاء والأعداء، تحت ذريعة الدفاع عن الحرية القومية"⁵. وذكر أن النيران اضطرت في كل مكان حتى حوالي الهيكل، وحدثت مجاعة وكثر القتل في كل مكان.

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXIII, p: 624.

² Ibid. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre VI, p: 534.

³ دوميتيوس نيرون (37 ق.م – 68م): خامس إمبراطور لروما (54-68م). حكم الإمبراطورية في فترة حرجية نظراً للعلاقات المتوترة بين اليهود وروما. وقد شهد عهده تراجعاً لقبضة الولاية بيهوداً واندلاع الحرب اليهودية الرومانية. ورغم أنه وسع من مملكة أغريبا الثاني وأهدى أرسطوبولس أرمينيا الصغرى إلا أن نزاع أغريبا مع الولاية الرومانية وصراع الشعب مع الكهانة الأرستقراطية وتر العلاقات أكثر. حريق روما كان كذلك له أثر على تلك العلاقات مما فجر الوضع.

Stern, Menahem. "Nero." *Encyclopaedia Judaica*, Vol. 15, p: 87-88.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXIV, p: 625-626.

⁵ Ibid. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVIII, Chapitre I, p: 474. «Ce n'était que meurtres & que brigandages : on pillait indifféremment amis & ennemis, sous prétexte de défendre le liberté publique ».

حسب ميزانج، فإن دور السكاريين لم يكن سوى تهيج الشعب اليهودي ليختاروا سواء الرضوخ لإرادة الاحتلال الروماني، أو أن يختاروا الوقوف ضده، فكانت عملياتهم "الإرهابية" ضد اليهود الموالين عاملاً أساسياً في خلق جو ثوري، وهذا ما أدى إلى ظهور الزيلوت، وهو ما دفع اليهود لمقاتلة الجنود الرومانيين¹. ولم يكن من عمل الزيلوت إشعال فتيل الحرب، وإنما سعي الإمبراطورية الرومانية -التي تمثل الوحش حسب سفر دانيال (7: 21-22)- لقتال الشعب هو إعلان للحرب من قبلها. وما على الزيلوت حينها إلا استكمال تلك الحرب إلى أن يتدخل الرب². ثم عزل نيرون فيلكس ووسع مملكة أغربيا الثاني فتراجع سلطان ولاية الإمبراطورية الرومانية³.

قام أغربيا الثاني بالعودة إلى أورشليم ليوقف الثورة اليهودية بنوع من الدبلوماسية، وبين في خطابه لأهل أورشليم أنه لا سبيل لهم للتمرد على الرومان الذين بلغ سلطانهم بريطانيا، خاصة أنه ليس لليهود خبرة بالحروب البرية أو البحرية، ومن ثم فإن أي محاولة للتمرد عليهم ستأتي على الأخضر واليابس، وستفني الشعب اليهودي، وعليه فعلى اليهود الصبر على بطش الولاة إن لم يكن من أجل أهلهم فمن أجل مقدساتهم. فتقبل اليهود خطاب أغربيا الثاني وأوضحوا أن مشكلتهم مع الوالي بورسيوس فاستوس⁴ (Porcius Festus) (60-62م)،

¹ Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 84-87.

² Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 177.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre V, p: 532-533.

⁴ بورسيوس فاستوس (62م): استبدل نيرون فيلكس بهذا الوالي. وكان المجتمع اليهودي في عهده قد عرف تراجعاً لدور الطبقة اليهودية الأرستقراطية وقد أثر ذلك في وجود الصدوقيين الذين اختفوا تدريجياً من الحياة اليهودية. وظهر حينها السكاريون بيهوداً وإضافة إلى الاغتيال كانوا يضرمون النار في قرى من يكرهونهم. قام حينها مدعي بتبشير الناس بأنه سيحررهم من كل الشرور. وقادهم إلى صحراء أورشليم. فقام فاستوس بإرسال الخيالة والمشاة الذين نجحوا في تفرقة الحشود.

فصالحهم أغربيا الثاني على أن يعيدوا بناء السور الذي يصل بين الهيكل وقلعة أنطونيا، حيث كان اليهود قد هدموه، وكذلك بدفعهم الضرائب مجددا، لكن فاستوس بقي واليا¹.

اعترف يوسيفوس في كتاب آثار اليهود أن فاستوس هو من أجبر اليهود على حمل أسلحتهم ضد الرومان، خاصة أن اليهود فضلوا الموت معا بدل أن يموت كل واحد منهم وحيدا²، حيث إن الحرب ابتدأت في أورشليم حين لجأ الرومان لخزينة الهيكل المقدسة واستخدموها ليحاربوا اليهود في قيصرية، مما أيقظ غضب اليهود في أورشليم. ومع ذلك فإنهم اكتفوا بالنقد اللاذع لسياساتهم، فقام الجنود بقطع رؤوسهم وصلب آخرين³.

ما فتئت أن هدأت الأوضاع، حتى جمع فاستوس كبار كهنة الهيكل، وقال لهم أن ما من وسيلة لإثبات ولائهم وأن اليهود يريدون السلام مع الرومان إلا تنظيم مراسيم استقبال كتيبتين رومانيتين، وفعلا قدمت الكتيبتان من قيصرية، ومع أن اليهود حيوا الكتيبتين إلا أن الرومان لم يردوا التحية فأخذ "مثيرو الشغب" يشجبون هذا التصرف مهاجمين شخص فاستوس، فضربهم الجنود بالعصي، عندها هرب كثير منهم، ومات البعض من التدافع وآخرون تحت حوافر الخيل، وبعضهم قتلهم الرومان بالسيوف. ومنذ ذلك الحين، وبسبب الفوضى سيطر المتمردون على أورشليم⁴.

Gaster, Theodor H., Greenberg, Moshe et al. «Judaism. » *Encyclopædia Britannica*. 24 août 2018. Retrived 19 janvier 2019, from <https://britannica.com/topic/Judaism>; Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre VII, p: 535.

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 47.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juif », Livre XX, Chapitre IX, p : 539.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXV, p: 627-628.

⁴ Ibid. Chapitre XXVII, p: 629.

رغم أن فاستوس كان المبادر لإثارة حفيظة اليهود إلا أنه سبقهم في الشكوى لحاكم سوريا كاستيوس جالوس¹ (Cestus Gallus)، وأعلمه أن اليهود قد ثاروا، وحينها تدخل الملك أغريبا الثاني وخطب في اليهود بأورشليم لتهديتهم مبينا أن مآل أي ثورة ضد الرومان هو الفشل، حينها رد اليهود قائلين إنهم لا ينوون حمل السلاح ضد الرومان، وإنما ضد فاستوس وطغيانه، حينها أجابهم أغريبا قائلا: "لكن أفعالكم لا تدل على ذلك، بل تدل على أنكم ضد الرومان بما أنكم لا تدفعون الجزية لهم، وقد هدمتم الرواق الذي يصل بين الهيكل وقلعة أنطونيا؟ إذا كنتم تريدون إثبات عكس ذلك، فسارعوا إلى إرضائهم (بدفع الجزية) وأعيدوا تشييد (الرواق)، لأن تلك النقود تدفع للإمبراطور وليس لفاستوس، ولالإمبراطور تعود تلك القلعة"². فاقتنع اليهود بكلامه والتزموا به إلى حين³.

بعد موت فاستوس سنة 62م، تولى لوسيوس ألبينوس⁴ (Lucceius Albinus) ولاية يهوذا. أضحى حنانيا بن حنانيا بأمر من أغريبا كاهنا أعلى، وكان آخر الصدوقيين الذين

¹ كاستيوس جالوس: عينه نيرون حاكما على سوريا سنة 63 أو 65م. شكاه اليهود الوالي فاستوس ولكنه لم ينصفهم. أدى قمع للتمرد اليهودي إلى تلاحم اليهود المتعدين والمتطرفين. فتراجعت قوات سيسطوس وأدت هزيمته إلى تأسيس حكومة المتمردين بأورشليم وتسلم فيسياسيان قيادة الجيش.

Roth, Lea. "Cestius Gallus". *Encyclopaedia Judaica*, Vol. 4, p: 552-553.

² Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXVIII, p: 630-636. « Mais vos actions ne montrent-elle pas (...) que c'est aux Romains que vous en voulez, puisque vous ne payez point le tribut à l'empereur et que vous avez abattu la galerie qui joignait le Temple à la forteresse Antonia ? Si vous voulez donc faire voir que vous n'avez point dessein de vous révolter, hâtez-vous de satisfaire à l'une et de rétablir l'autre. Car c'est à l'empereur et non pas à Florus que cet argent est dû et que cette forteresse appartient. »

³ Ibid. Chapitre XXIX, p: 136.

⁴ لوسيوس ألبينوس (69م): والي يهوذا (62-64م) نظرا لموت المفاجئ لفاستوس. وقد استغل رئيس الكهنة حنانيا بن حنانيا تلك الفترة الانتقالية وقبل وصول الوالي الجديد قام بقتل يعقوب الشخصية الإنجيلية. يصف يوسفوس ألبينوس بالشجع لفرضه ضرائب أكثر وإطلاقه سراح السجناء مقابل دفع الفدية وكان ذلك السبب وراء تكثف نشاط السكاريين الذين صاروا يخطفون الناس ويطلقون بالإفراج عن رفاقهم وكان لهم ذلك. خلفه فلوروس وكان آخر والي على يهوذا.

Roth. "Albinus, Lucceius". *Encyclopaedia Judaica*, Vol. 1, p: 593.

يتولون الكهانة، وهم معروفون -حسب يوسيفوس- بصرامتهم، ولذلك كان حنانيا كان جريئا إلى درجة أنه استغل الحركة الانتقالية للولاة، فلم يكن ألبينوس بعد قد التحق بالمجلس، فقام حنانيا بإحضار يعقوب أخي عيسى من أمه مريم حسب الإنجيل (رسالة غلاطية 1: 19)، وآخرين متهمًا إياهم بمخالفة الشريعة، وأمر برجمهم، واستاء أهل أورشليم من هذا الحكم وراسلوا أغريبا كي يدعو حنانيا بعدم تكرار مثل هذا الفعل الذي ليس له أي مبرر، وبسبب وصول الخبر لألبينوس، تقرر إلغاء منصب حنانيا وتعويضه بيشوع بن دامنوس. وكانت تلك ضربة قاضية لفرقة الصدوقيين، حيث لم يسمع لها صوت بعد ذلك، خاصة بعد تراجع دور الأُرستوقراطية اليهودية¹.

قام السكاريون باختطاف ابن الكاهن الأعلى حنانيا بن ندبائي واسمه ألعازر، وكان يعمل كاتبًا لدى الرومان بأورشليم، وساموه على إطلاق صراح عشرة من رفاقهم. وحقق ألبينوس هذا الأمر لهم، وكان ذلك باعثًا على جرأتهم، حيث اختطفوا بعد ذلك والدي حنانيا على أن يطلق سراح عدد أكبر من رفاقهم، ونظرًا لتراجع هيبة الرومان أمام هؤلاء المارقين، قرر نيرون تغيير الولاية. ولما علم ألبينوس أنه سيعوض بوالي جديد يدعى جيسيوس فلوروس² (Gessius Florus)، قام بإخراج كل المسجونين بتهم الإعدام مقابل المال، وسجن ما دونهم. وهكذا امتلأت أورشليم باللصوص³.

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre VIII, p: 536-537 ; Chapitre VII, p: 535.

² جيسيوس فلوروس (64-65م): هو آخر الولاة على يهوذا. كانت فترته أشد قمعية من فترة ألبينوس. يزعم يوسيفوس أنه تعمد إشعال فتيل الحرب اليهودية الرومانية ليغطي على جرائمه وخاصة فساد إدارته بقيصرية. فلقد كان يفتسم الغنائم مع قطاع الطرق، وترك أهل القيصرية بعد أن رشوه ليحميهم لليونانيين. ولا يعرف إذا ما كان اختفى بين المتمردين أو فر هاربًا بعد انفجار الثورة.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Vol. 2, p: 178.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre VIII, p: 536.

حدثت بأورشليم فتنة في صيف سنة 66م ، وكان ذلك بسبب رفض ألعازر بن حنانيا الكاهن أضاحي الوثنيين في الهيكل باسم الإمبراطور الروماني، وفعل الكهنة ذلك على غير عادتهم. ويعتبر هذا -حسب رأي جاكسون- تحديا للكهنة الكبار¹. وحسب ديسمون سيوارد² (Desmon Seward) كان ألعازر بن حنانيا يحمل أفكارا متطرفة، لعله تعلمها من السكاريين الذين قاموا بخطفه مسبقا. وكان مؤيدوه من الفقراء المتضررين من طبقة الكهان والأغنياء، ولذلك تحولت الحرب ضد الكهنة الكبار وحلفائهم الموالين للرومان إلى ثورة، وقد كان الكهنة واثقين من أنفسهم لأن عددهم كان كبيرا. إضافة إلى ذلك، فقد عولوا على مكانة ألعازر الرفيعة فجعلوه قائدا لهم³، فقاموا في البداية بالسيطرة على المدينة السفلية والهيكل، بينما بقيت الطبقة الحاكمة مسيطرة على المدينة العلوية، ولكن بالنهاية استطاع المتمردون الإطاحة بالحكومة والسيطرة؛ حيث ذبحوا الحامية العسكرية الرومانية، علما أنهم أعطوا الأمان للخروج من المدينة، فقام حاكم سورية كاستيوس بالزحف على أورشليم بجيشه في أكتوبر 66م.

بعد حصار قصير تخلى كاستيوس عن تصميمه استعادة المدينة، ومع انسحابه قام متمردون بقيادة سمعان برجوريا بالهجوم على قواته ساحبين إياهم خارج فلسطين، واستولوا على كميات كبيرة من الأسلحة والمؤن، ويبدو أن هذا النصر الحاسم هو ما احتاج

¹ Jackson. « Revolutionaries in the First Century », p: 129.

² ديسمون سيوارد (1935م): مؤرخ بريطاني ولد بباريس. تخرج من كامبردج واشتغل في الكتابة. له أكثر من مئة مؤلف. من بين

كتابه *The Hundred Years' War* وآخرها *The King over the Water: a Complete History of the Jacobites*.

“Desmon Seward: Official Website – Personal Website”. (n.d.). Retrieved 08 December 2020, from

<http://www.desmondseward.com>

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 48.

إليه الثوار لكسب الدعم الشعبي لقضيتهم، ولهذا السبب فإن أغلب اليهود في كل من
أورشليم وبقية البلاد أيدوا الثورة وانضموا لها؛ بل حتى كبار الكهنة والسلطات الدينية
دعموا التمرد، وتم تأسيس مجلس حكم جديد بقيادة الكاهن الأعلى حنانيا بن ندبائي. وهذه
المرّة استرشدت حكومة الثورة ضد روما بالأحكام الدينية¹. في نفس تلك الأثناء كانت مجموعة
من السكارين بقيادة مناحم حفيد يهوذا الجليلي تسعى للحرب والتحرر بأي وسيلة، فقد
استولى مناحم وأتباعه على المسعدة، وأسسوا بها حاميتهم التي ستصمد سبع سنوات لاحقاً².
لقد حاول الكهنة الكبار في أورشليم تهدئة الأوضاع بمناشدة الكهنة الصغار لكي يضحوا
باسم قيصر، وفي نفس الوقت راسلوا فلوروس بموقفهم السلبي تجاه رفض التضحية،
وأكدوا ولائهم لقيصر. وفي هذا السياق يرى بعض أبحار التلمود أنه من باب أولى تقديم
المصلحة، لأن رفض التقديم هو بمثابة نقض عهد الولاء للرومان. في المقابل، ورد في التلمود
أن تعمد مقدم القربان تقديم أضحية غير صالحة يعتبر إثارة للفتنة، فنكون أمام رأيين
مختلفين لنفس الطائفة الفريسية، وقد أثر هذا الأمر في ترجيح كفة رأي الرافضين لهذا
العمل، وقد كان الكهنة مستعدين لخلق الاستثناء وقبول التقديم لولا أن الربّي زكريا بن
أبقولاس ناضل ضد تقديم التقديم³.

¹ Jackson. « Revolutionaries in the First Century. » 130; 136.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 49.

³ Roth, Cecil. « The Debate on the Loyal Sacrifices, A.D. 66. » *The Harvard Theological Review*, Vol. 53, No. 1, January 1960, pp. 93-97, p: 96-97; Adsole, Atenebris. 25 December 2002. *Babylonian Talmud: Tractate Gittin*. Retrieved 20 December 2020 from http://www.come-and-hear.com/gittin/gittin_56.html

ينتقد يوسيفوس أولئك الذين شاركوا في الحرب اليهودية الرومانية، حيث جعل للفلسفة الرابعة صلة بكل الشرور التي وقعت¹. يدل هذا على أن أقرباء الجليلي من السكاريين هم من كانوا وراء الثورة ضد الرومان، وليس الزيلوت بالأساس، حيث لا يسع الباحث الاعتماد على غير يوسيفوس حول الحرب اليهودية الرومانية الأولى، لأنه يكاد يكون المصدر الوحيد المعاصر لأحداث الثورة اليهودية، خاصة أن المتمردين والرومان قد أحرقوا السجلات الرومانية في فلسطين إبان هذه الثورة²، وبما أن يوسيفوس كان يحاول تبرئة ذمة اليهود فإن قلمه زل فألقى اللوم على الرومان كذلك. وقد ابتدأ يوسيفوس كتابه بالحديث عن المكابيين وحكم هيرودس، وهدف من ذلك إلى إلقاء اللوم على اليهود ما استطاع إلى ذلك سبيلا³. وحاول إقناعهم بقبول مصيرهم وهو خسارة الحرب، وفي هذا رسالة لليهود المستقبل كي يصرف نظرا عن القتال إلى الأبد.

¹ Jackson. « Revolutionaries in the First Century. » p: 130.

² يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 303-307.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 246.

الفصل الثاني:

اندلاع الثورة اليهودية الرومانية (66-70م)

الواضح أن يوسيفوس يحمل مسؤولية الحرب للفصائل الغيورية، لكنه يقاسم نفس المسؤولية للرومان الممثلة في قيادة الولاة الفاشلة وآخرهم فلوروس الذي يقول يوسيفوس أنه أجبر اليهود على حمل الأسلحة ضد الرومان. في السنة الثانية عشر من حكم نيرون أي حوالي 66م، حيث انطلق الحرب اليهودية الرومانية¹. قد شكلت الثورة اليهودية ضد الرومان تداعيات الاضطرابات السابقة، وقد عرفت هذه الثورة صعود السكاريين المؤقت للسلطة ثم تكوين حكومة الكهنة. كما عرفت كذلك انضمام الزيلوت للحرب، ولكنها شهدت صراعات داخلية بين اليهود أنفسهم. ويظهر أن قيام هذه الثورة كان بسبب فساد الحكم²، ولكن الفساد طال حتى الثورة نفسها.

المبحث الأول: الحكومة المؤقتة بقيادة الكهنة وانطلاق الحرب ضد الرومان.

اجتمع كبار كهنة أورشليم في صيف 66م، وكان أغلبهم من الفريسيين، وجمعوا الناس عند إحدى بوابات الهيكل وحاولوا إقناعهم بالتراجع عن التمرد، وأفتوا بأن سلفهم لم يمنع أن يقدم الأجانب تقدمات لكن أولئك الذين يريدون التغيير أصموا آذانهم عن أي تبريرات. وقد تعالت أصوات فتاوى في مجالس المدينة يهودا حول تجويز الذبح للإمبراطور والصلاة من أجله، وهي في رأيه فتاوى رفضت نير الله وقبلت بملك من لحم ودم. ونفس الأمر حدث مع زكريا بن أمفيقالوس (Amphicalleus) الذي لا تتوفر معلومات كثيرة عنه سوى أنه كان

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre IX, p: 539.

² يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 217.

مشاركاً في مناظرة أضحى الولاء التي سُمع صداها في التلمود¹ حيث حارب من أجل ألا تقدم ذبائح باسم الإمبراطور في الهيكل حينما أقدم بار كامسا (Bar Kamsa) بنية مبيتة لتقديم ذبيحة معيوبة ليكون رفضها بمثابة رفض قرار الإمبراطور، فينتج عن ذلك اتهام للكهنة بعدم الولاء للإمبراطور. ونظراً لتلك الظروف واستثنائياً اضطر الكهنة لقبولها لكن زكريا قاتل بمرارة وبنجاح ضد ذلك، وهذا يوضح أن الكهنة لم يكونوا مجمعين على الموقف المؤيد للرومان².

فلما رأى كبار الكهنة أن المتمردين وصلوا إلى مرحلة لم يعد معها للنقاش تأثير، أرسلوا إلى فلوروس وأغريبا الثاني لكي يبعث إليهم جنود؛ وبما أن فلوروس -حسب يوسفوس- كان يريد للنار أن تتقد لم يجهم إلى ذلك. بينما أرسل أغريبا الثاني قوات إليهم، لكنها كانت أقل عدداً من الجموع المتمردة، وقد اجتمع الجنود بالجهة العلوية من المدينة، بينما مثيرو الشغب بالجهة السفلية، وتراشقوا بالحجارة والسهم، وتشابكوا أحياناً بالأيدي. وقد كان المتمرّدون يتمتعون بالجرأة بينما جنود أغريبا تميزوا بالخبرة العسكرية. ومع ذلك فإن مجهودات الجنود لم تتجاوز "إخراج الذين دنسوا الهيكل بجرائمهم"³. وكان هدف ألعازر وأتباعه أن يسيطروا على المدينة العلوية. ومرت سبعة أيام ولم يتقدم أحد، ووقعت خسائر كثيرة. وجاء عيد "الحنوكة" (عيد الأنوار) وفيه يحضر اليهود عادة كمية كبيرة من الحطب ليقودوا ناراً لا ينبغي أن تنطفئ. حينها بدأ السكاريون بطعن عشوائياً للناس، فانسحب جنود

¹ Adsole, Atenebris. 25 December 2002. *Babylonian Talmud: Tractate Gittin*. Retrieved 20 December 2020 from http://www.come-and-hear.com/gittin/gittin_56.html

² Roth. « The Debate on the Loyal Sacrifices, A.D. 66. » p: 96-97.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXXI, p: 637- 639.

أغربيا من المدينة العلوية أمام جسارة السكاريين، فاستغل السكاريون الفرصة وأخذوا من تلك النيران المتوقدة بالهيكل وألقوا بها في بيت الكاهن حنانيا وفي قصر الملك أغربيا الثاني، وحاصروا خزانة السجلات الإدارية وأحرقوا الالتزامات والعقود. وكان هدفهم من وراء ذلك استعطاف المدينين الذين لم يعودوا خائفين من إنكار حق الدائنين، خاصة أمام عدم وجود وثائق تثبت مديونيتهم، وبهذه الطريقة جندوا الفقراء ضد الأغنياء. اختبأ الكهنة في المجاري وانتقل أغربيا الثاني إلى قلعة أنطونيا، لكن المتمردين حاصروها في 15 غشت 66م.

بينما كان الصراع محتدما بين الكهنة والرومان بأورشليم، كان مناحم السكاري بن يهوذا الجليلي يلوم اليهود على جنبهم منذ عهد كيرينيوس، إذ أنهم عوض أن يخضعوا لله خضعوا للرومان وجعلوهم أسيادهم من دون الله. ثم قام مناحم بالهجوم على قلعة المسعدة والاستيلاء على ترسانتها ليسلح رجالا لم يكن لهم ما يخسرون ولصوصا انضموا إليه وصاروا مثل حراسه الخاصين. وعاد لأورشليم وادعى أنه ملك وتقلد زعامة الثورة وأمر باستكمال محاصرة قلعة أنطونيا. وعلم الجنود الرومان الذين كانوا يراقبون الوضع عن بعد أن الأمر خرج عن السيطرة وأن عدد الثوار لا يمكن احتواءه، ولهذا السبب انسحبوا من الضواحي المحيطة بأورشليم، ومن ثم سيطر عليها المتمردون وقتلوا من وجدوا في طريقهم وأحرقوا تلك الضواحي. وقام أتباع مناحم بالقبض على الكاهن حنانيا وأخيه حزقيا اللذان كانا يختبئان في المجاري، وأعدموهما باعتبارهما تجسيدا للنظام القائم¹.

ولما كان مناحم مكروها من الشعب لكونه مستبدا؛ اعتبر تجسيدا لظلم جديد لكن في رداء ثوري. بدأ مناحم يحس بنشوة النصر فصعد إلى الهيكل ولبس لباس الملوك، فقام ألعازر

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 50.

بن الكاهن حنانيا وأتباعه بالانقلاب عليه والانقضاض عليه أثناء عزمه على التعبد في الهيكل، وبدأ الناس يرشقونه بالحجارة ففر هو وأتباعه، ومن الفارين كان قريبه العازر بن جاير. واختبأ مناحم بمنطقة عوفل، ولما تم القبض عليه عذب ثم أعدم أمام الجمهور هو وبعض أتباعه مثل أبشالون. لكن بعض أتباع مناحم استطاعوا النفاذ وكان من بينهم العازر الذي انسحب إلى المسعدة¹.

استنادا على هذه الأحداث المروية فإنه من المفترض أن العازر بن حنانيا قتل مناحم انتقاما لمقتل أبيه حنانيا، لكن حسب تحليل تسيتلين فإن أتباع العازر ونظرا لاعتدالهم تخوفوا من أفكاره الأصولية التي لا ترى سيادة بشر على بشر ولهذا قاتلوه. ويبدو أن الكاهن العازر قد تشرب مذهب الزيلوت، خاصة أن تأثره بأيديولوجيا السكاريين كان واضحا بسبب اختطاف السكاريين السابق له².

كان الشعب يفضل فريق العازر بن حنانيا على أمل أن يكون لهم يد في تهدئة الأوضاع. لكن فريقه كان له دور في زيادة الوقود في النار. واستمر حصار القلعة وتفاوض العازر مع أحد قادة الجنود بالقلعة ليستسلموا مقابل الإبقاء على حياتهم، وبعد أن أخرج جنوده تم غدرهم وقتلوا جميعا ما عدا قائدهم لأنه وعدهم بأن يختن³. وفي نفس تلك الأثناء قتل أهل قيصرية الكثير من اليهود وقام اليهود بعمليات تخريبية بالقيصرية انتقاما لذلك⁴. ووقعت

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 51.

² Zeitlin. « Zealots and Sicarii.» Ibid, p : 396; Jackson. « Revolutionaries in the First Century. » Ibid, p: 132.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXXII, p: 639-640.

⁴ Ibid. Livre II, Chapitre XXXIII-XXXIV-XXXV-XXXVII, p: 640-641.

أحداث مشابهة في كل من بيسان وعسقلان وجدارة (أم قيس) وبعض المدن السورية وحتى بالإسكندرية¹.

انضم كثير من الفقراء للثورة خاصة الذين أثقلت الضرائب كاهلهم، حيث يبدو أن الموسم الزراعي لم يكن جيداً، حيث خسر كثير من الفلاحين أراضيهم. وانتشرت ظاهرة التسول ولم تكن الصدقات كافية لسد رمق الجوعى، وكان قد تم تسريح عدد من العمال سنة 64م لما انتهت أشغال إصلاح الهيكل. وقام المتمردون بحرق قصر أغريبا ومنزل الكاهن حنانيا بن ندبائي وأرشيفات الحسابات المالية الخاصة بالدين. وحسب يوسفوس فإن المتمردين كانوا يطمحون لإنجاح ثورتهم عن طريق تأييد الفقراء لهم الذين كانوا أكثر المدنيين². وهذا يؤكد دور العامل الاقتصادي في انفجار الثورة.

إن أغلب الأسلحة التي توفرت لأهل أورشليم كانت رماحاً أو سكاكين طويلة (تلك التي يستخدمها السكاريون)، ومن ثم قل توفرهم على أسلحة عسكرية رومانية. ولقد حمل أغريبا الثاني إليهم 3000 من الفرسان. واختبأ بعض كبار الكهنة والوجهاء في المجاري والقلاع. ثم تم الاستيلاء على ترسانة قصر هيرودس وحدثت معركة دامية مع الرومان لمدة سبعة أيام. ثم قام المتمردون باقتحام قلعة أنطونيا وقتلوا حاميتها³. ويتبين من خلال ذلك أن المتمردين اندفعوا بشجاعة رغم ضعف الإمكانيات لقتال جنود أغريبا مما يدل على أهمية فكر الغيرة في ربط جأش اليهود مهما بلغت قوة عدوهم.

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXXIII-XXXIV-XXXV-XXXVII, p: 642.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 49.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXXI ; XXXII p : 637-739.

أرسل الملك أغريبا الثاني اثنين من أقاربه ليستعطف اليهود كي يتراجعوا عن الثورة. وما أن وصل المبعوثان حتى انقض عليهم جماعة مثيري الشغب وقتل أحدهم وفر الآخر. وقد امتعض الشعب الإسرائيلي هذا الفعل حسب يوسفوس. ولذلك فإن هذا الأمر أحدث انشقاقا داخل صفوف اليهود، فاستغل كاستيوس هذا الانشقاق وطاردتهم حتى حاصرهم داخل أورشليم، واستمر الحصار أياما. وحاصرهم داخل الهيكل في 13 أكتوبر 66م، ومنذ ذلك الحين وهم يترشقون بالسهم والرمح. وحاول الرومان هدم بوابة الهيكل وكان اليهود يلقون بالنيران عليهم كي يمنعوا ذلك. ويذكر يوسفوس أن الشعب كان سعيدا بهذا الحصار لأنه إشارة إلى خلاصهم من شر مثيري الشغب، لكن غضب الله على أولئك لم يسمح بإنهاء الحرب مبكرا¹.

جاء كاستيوس جالوس حاكم سورية بعدد كبير من الجنود الرومان تجاوز 30000 إلى يهوذا فهاجموا يافا دون سابق إنذار، وقتلوا بها 8400 شخص وحاصروها برا وبحرا، ثم قاموا بأعمال تخريبية في مدنها كالجليل، حيث حدثت بين الفريقين اشتباكات هناك. وقام الرومان بإضراب النار في بعض القرى المجاورة للجليل. ثم عادوا وهاجموا اللد التي تقع على بعد 38 كيلو متر شمال غرب القدس. ولم يجد بها سوى 50 ساكنا لأن أغلب سكانها كانوا قد ذهبوا إلى أورشليم للاحتفال بعيد المظلة، فقتلوا جميعا وأحرق المدينة. ثم انتقل الجنود الرومان إلى جبعون التي تبعد حوالي ثماني كيلو مترات شمال مدينة أورشليم، وعسكروا هناك. وكان الغرض من عمليات القتل تلك إرهاب أهل أورشليم ليستسلموا. وبعد وصولهم لأسوار

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXXVIII, p: 645 ; Chapitre XXXIX, p: 646.

أورشليم لجؤوا إلى الديبلوماسية، وحاول الكاهن حنانيا بن جوناثان التعاون مع الرومان فأرسل رسالة يعدهم فيها أن يفتح للجيش أبواب المعبد لكن كاستيوس لم يصدق ذلك¹.

كما قام المتمردون بإقناع بعض الموالين لروما، وقاموا بتهديد آخرين. وفي الوقت نفسه بعث أعيان أورشليم من يثقون بهم مثل يوسيفوس فلافيوس مرفخ الأحداث ويوآزار ليقنعوا كل من يحاول التمرد بتسليم أسلحتهم، بينما تركوا في تأهب للقتال إلى حين الوصول لحل سلمي مع الرومان². ولذلك لم يدم الحصار وأمرهم كاستيوس بالانسحاب ولحق اليهود بهم وأطلقوا عليهم النبال وقتلوا منهم الكثير وتراجع كاستيوس إلى جبعون حيث خيم في البداية، ثم انتقل لبیت حورون وهناك هوجم من قبل يهود كانوا يصرخون فرحا بصنيعهم، ولم يمكن الرومان من الفرار سوى ظلام الليل، وقتل حينها حوالي 800 جندي وذلك في 8 نونبر 66م.

لم يذكر في نسخة يوسيفوس اليونانية بالضبط قائد هذا الهجوم، لكن النسخة العربية المترجمة عن العبرية ذكرت أن قائد الهجوم كان ألعازر الكاهن وهي تشير إلى أنه "أحد الخوارج الثلاثة". كما تزعم النسخة أن ألعازر هذا هو نفسه ألعازر بن دانوس الذين أعان اليهود على السامريين والذي سبق له أن اعتقل من قبل فيلكس. وعلى العموم فإن جماعته سيطروا على أورشليم³، وكان ذلك في نونبر سنة 66م. وحينها قام كاستيوس بمراسلة نيرون بخبر انسحابه وحمل فلوروس مسؤولية الخسارة ضد اليهود في الحرب، لكن نيرون اعتبر الاثنين

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 54-55.

² Ibid, p: 61-62.

³ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 219-229.

غير مؤهلين للحرب وأعلن نيرون القائد فسبازيانوس (Vespasianus)¹ حاكما لسورية ومكنه من جيشها إضافة إلى تمكينه من قوات دعم من الأمم المجاورة².

وقد تشكلت الحكومة العسكرية التي من شأنها قيادة الحرب ضد الرومان. وتكونت من الكاهن حنانيا بن حنانيا³ الذي تولى أمر أورشليم. كما تولى العازر الكاهن أمر أدوم ويوسيفوس مؤرخ الأحداث تولى أمر الجليل⁴. ولما كان يوسيفوس يتولى أمر الجليل، ظهر يوحنا بن لاوي من "كوشالا" (الجش) الجليل ومعه 400 رجل، وقد كان بينهم لاجئون من مدينة صور وصفهم يوسيفوس بقطاع الطرق والمغتالين، ولذلك يرجح أنهم سكاريون. وقد أقنع هذا المتمرّد الجليلي يوسيفوس أن يدعه يتّأس حصن كوشالا. وحينها احتكر تصدير الزيت للضواحي الفلسطينية بالاستعانة بيهود سورية. وبدأ يخطط لإسقاط يوسيفوس بتهمة الخيانة وتسلم السلطة عوضا عنه⁵، لكن كل خطته فشلت وهيجت الشعب ضده، كما حاول الاستعانة بمدد من 2000 رجل من السنهدين بأورشليم لكن دون فائدة⁶.

رغم أن أغريبا استنجد بنيرون فأرسل له جيوشا بقيادة فسبازيانوس، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لقمع الثورة اليهودية نظرا لتحول الحرب من مستواها الضيق -على يد أتباع العازر

¹ فسبازيانوس Vespasianus (69-79م): إمبراطور روماني أعاد الاستقرار والازدهار إلى الإمبراطورية. وأحمد ابنه تيطس الثورة اليهودية وبنى كولوسيوم روما. المنجد في الأعلام، ص: 414.

² Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XL, p: 646-647 ; Livre II, Chapitre XLI, p: 646-647 ; Livre III, Chapitre I, p: 654.

³ هذا الكاهن هو غير الكاهن حنانيا بن ندبائي الذي قتله مناحم قبل أن ينتقم له ابنه العازر.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XXXVII-XLII, p: 643-648.

⁵ يوحنا بن لاوي من كوشالا كان عدوا لدودا ليوسيفوس ومن ثم فالعداوة الشخصية بينهما يجعل من الصعب تصديق كل ما يذكره يوسيفوس من صفات ذميمة عنه. ينظر:

Flavius. « Autobiographie de Flavius Joseph. » Ibid, p : 8.

⁶ Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XLIII, p: 649- 653.

بن حنانيا- إلى مستوى يهودي أوسع بقيادة كل من يوسفوس¹ والكاهن حنانيا بن حنانيا. فتوسعت الحرب لتشمل طبرية والجليل وأدوم وقيصرية إضافة إلى أورشليم. ويذكر يوسفوس أن اليهود في هذه الحرب تحلوا بالشجاعة والإقدام مما جعلهم يتغلبون على جيوش الرومان التي أرسلها قيصر تترأ إلى فلسطين.

ثم جاء فسبازيانوس وابنه تيطس² (Titus) فهاجم طبرية وأنطاكية والجليل مفتتحاً بجدارية. وكانت هزيمة ساحقة لليهود³، فهاجم اليهود معسكراً رومانيا بعسقلان (65 كلم غرب أورشليم) بقيادة يوحنا الأسيني وسيلاس البابلي، وخسروا 18000 مقاتل في معركتين لأن الرومان كانوا على استعداد وعدة. وقد فرت مجموعة من المقاتلين اليهود بقيادة نيجر البراي⁴.

مر فسبازيانوس بمدينة أنطاكية حيث التقى الملك أغريبا الثاني واستلم منه قواته، ثم سار للجليل واستعان بأهل صفورية -أكبر مدن الجليل- لمهاجمة المتمردين بالجليل، حيث جمع فسبازيانوس 60000 جندي لأنه استعان بابنه تيطس الذي أحضر جيشاً من الاسكندرية وبعض جيوش الأمم المجاورة كالعرب، واقتحم صفورية وأخضعها بقتل المخالفين واستمالة الموالين، وقد كانت هذه المدينة خارج سيطرة يوسفوس⁵.

¹ Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Cinquième, Préface, p: 2 ; Livre II, Chapitre XLII, p: 341-342.

² تيطس (39-81م): إمبراطور روما السادس (76-81) بعد أبيه فسبازيانوس. حاصر أورشليم ودمرها. اشتهر بالعمران (كولوسيوم وقوس تيطس). في عهده ثار بركان الفيزوف ودمر مدينتي هرقولانوم وبومبيي. المنجد في الأعلام، ص: 183.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 77-80.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre III, Chapitre II, p: 655.

⁵ Ibid. Livre III, Chapitre III, p: 656 ; Livre III, Chapitre V, p: 657-658.

ثم اجتاحت فسبازيانوس يودفات الجليلية، وكانت تعرف نقصا عسكريا في عدد المقاتلين اليهود. ولما أحس فسبازيانوس باقتراب سقوط يودفات أرسل أحد قواده في خطوة استباقية ليافا رفقة 2000 رجل، وفعلوا تم إسقاطها بعد مقاومة عنيفة لم تدم طويلا. وفي تلك الأثناء ترك المقاومون جدار يودفات وتبعهم تيطس إلى الداخل، وقام جنوده باقتحام البيوت ونحر الشيوخ والشباب، ولم يتركوا الأطفال والنساء سوى للاستعباد، وقتل 40000 شخص وأسر 1200، وأحرق الحصون وحدث ذلك مع بداية شهر يوليوز سنة 67م¹.

قد تبدو هذه الصورة المحكية للأحداث دليلا على عدم رحمة الجنود الرومان وعدالة قضية الثورة اليهودية، لكن يوسيفوس يتدارك الأمر ويحاول تصوير فسبازيانوس بوصفه القائد الساعي نحو السلام. فحسب سرد يوسيفوس فإن فسبازيانوس لم يهاجم قط الجليل وكان فقط يريد أن يمنح اليهود فرصة للاستسلام. لكن أحد قواده هاجم يودفات ولافته هزيمة هناك. وأما دخول فسبازيانوس الجليل فقد استبقه أنشطة ترهيبية ليعطي اليهود فرصة للهرب وترك ساحة المعركة. فقد سار بجيش كبير محملا بالآليات الحربية (الباليستا والمدفعيات) وبدأ يقطع الأشجار ويفتح الطريق. وكان له ما ابتغاه من هروب اليهود، وترك معسكرهم خاليا في "جريس" قرب صفورية. وكانت أول مدينة يهاجمها فسبازيانوس حسب يوسيفوس هي جدارة، ولم يجد فيها إلا قليلا من المدافعين، وقتل الرومان كل من وجدوه في سن حمل السلاح، وأشعلوا النيران في المدينة، ثم قام بتطويق يودفات في ماي 67م، حيث تحصن يوسيفوس وجنوده. ولما أنها كانت مدينة واقعة على هضبة شديدة الانحدار ومحصنة عسكريا، خسر الطرفان أرواحا كثيرة دون اقتحامها، حتى أن فسبازيانوس نفسه

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre III, Chapitre XXI-XXIII, p: 670-672.

أصيب بسهم غير قاتل. وقد نال الجوع والعطش من المحاصرين فبدأت بوادر الاستسلام تظهر على قائدهم يوسيفوس، لكن بسالة المقاتلين شجعتهم على الاستمرار¹.

يبدو أن أهل يافا قد تعافوا بعد أن مر ما يقارب سنة على هجوم كاستيوس. فبعد أن سقطت يودفات عاد أهل يافا إلى الهجوم لكن هذه المرة عن طريق البحر. فقد بنوا سفنا وأبحروا بها إلى فينيقيا وسورية وحتى مصر وتحولوا إلى قراصنة بحر محاولة منهم لمحاصرة الرومان بحرا. ولكن لسوء حظهم قضت عاصفة على معظمهم، وكلما حاولوا اللجوء للبر وجدوا الجنود الرومان وسهامهم في انتظارهم. وقد كان الرومان قد خربوا المدينة وحصنوا سواحلها ولم يعد هناك أي طريقة لاستعادتها².

هجم الرومان في يونيو 67م على السامريين الذين اجتمعوا عند جبل جرزيم المقدس عندهم. وحسب يوسيفوس فإنهم لم يكونوا يطمحون إلى أي ثورة، لكن الرومان اعتقدوا العكس فهاجموهم وقتلوا منهم الكثيرين³. وبما أنه لم يسمع عن أي ثورة فعلية للصدوقيين أو السامريين وهم من الفرق التي يعرف عنهم عدم الإيمان بعقيدة المسيحيا، فإنه مما لا شك فيه أن جرأة اليهود على الحرب ضد جيش عرمرم مرده بعث وإحياء الفكر المسيحاني من قبل السكاريين وهوسهم الإسخاطولوجي الذي جعلهم واثقين من تدخل الرب.

¹ Flavius. Livre III, Chapitre VII-XVII, p: 664-667.

² Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre III, Chapitre XXIX, p: 677-678.

³ Ibid. Livre III, Chapitre XXII, p: 670-671.

المبحث الثاني: بروز فرقة الزيلوت حراس الحرية وخيانة يوسيفوس.

في سياق سرد يوسيفوس للأحداث المتعلقة بتولييه منصب قائد جيش الجليل وصراعه مع يوحنا كوشالا، تحدث عن وجه جديد ضمن جماعة السكاريين، وهو سمعان برجوريا ووجوده بمدينة العقرب قرب أدوم، فقام يوسيفوس بذكر عبارة الزيلوت لأول مرة. ومن ثم افترض كثير من الباحثين أن ظهور الزيلوت في الأحداث لم يتم إلا بعد نونبر سنة 66م بعد أن كانت أنشطة السكاريين قد استفحلت¹. وهناك من اقترح كذلك أن سمعان برجوريا أحد قيادات الزيلوت إلا أن هورسلاي يؤكد أن يوسيفوس ذكر برجوريا بعد أن ذكر الزيلوت باعتباره منفصلاً عنهم².

بالرغم من احتمالية صدق الأحداث كما هي مروية، فإنه بعد استقراء للنصوص الأدبية المتعلقة بتلك الفترة، خلص ألبيرت باومغارتن³ (Albert Baumgarten) إلى أن المنتمين إلى كل تلك الفرق اليهودية والجماعة المسيحية مجتمعون لا يتعدى عددهم 2000 نسمة باعتبار أن انتماء المرأة نادر، كما أن المنتمين لتلك الفرق مثقفون أو على الأقل متعلمون. فالانتماء لفرقة من تلك الفرق لم يكن يسترعي اهتمام سوى النخبة، وأما البقية وهم الأغلبية فاعتبروا عامة الشعب، فكان هؤلاء يقفون موقفا متعاليا عن أمتهم⁴، أضف إلى

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre II, Chapitre XLIV, p: 653.

² Horsley. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt. » p: 164.

³ ألبيرت باومغارتن (1942م): أستاذ أمريكي إسرائيلي بجامعة بار إلان بمدينة رمات غان. متخصص في التاريخ اليهودي واليهودية المبكرة. من كتاباته *Second Temple Sectarianism* و"Josephus and Hippolytus on the Pharisees"

"Albert I. Baumgarten: Bar-Ilan University". (n.d.). Retrieved 10 December 2020, from <https://biu.academia.edu/AlbertBaumgarten/CurriculumVitae>

⁴ Baumgarten, Albert I. *The Flourishing of Jewish Sects in the Maccabean Era: An Interpretation*. (Supplements to the Journal for the Study of Judaism; Vol. 55). Leiden : Brill, 1997. p: 48-50.

ذلك اختلافاتهم الإيديولوجية¹ فيما بينهم ومن ثم تعاليمهم على بعضهم البعض. أدى ذلك إلى طرح عدد من الباحثين عدة تساؤلات حول انتصار الحركات الثورية على الجنود الرومان في بداية الحرب، فكيف للجيش الروماني المنظم أن يخسر معركته الأولى ضد مجموعة صغيرة من العصابات، والجواب يكمن في نقطتين:

النقطة الأولى أن جنود منطقة يهوذا من الرومان من ضعفاء الجنود ومن الصعب عليهم إخماد ثورة بخلاف روما التي تشتمل على أقوى الجنود². والنقطة الثانية هي مشاركة الكهنة والفلاحين إلى جانب الغيورين في الحرب، فأما الكهنة وسبب مشاركتهم فهو الخلاف في مسألة الأضحية، وأما مشاركة عدد كبير من فلاحي أهل الأرياف ونزوحهم إلى أورشليم، فيجيب عنه يوسفوس حين يذكر أن فسبازيانوس وجنده هاجموا تلك القرى وشرّدوا أهلها، وكانوا يحرقون بيوتهم ويعدّمونهم أو يستعبدونهم، فلم يكن لهم سبيل سوى الهرب، ومن ثم تحول هؤلاء اللاجئين المشردون إلى عصابات قامت فيما بعد بنهب مسقط رأسها -الذي صار به ممثلون للرومان- وسيلة للعيش، ومن خلال ذلك صاروا يُعتبرون حركة متمردة سميت بعد ذلك بالزيلوت، خاصة بعد أن انضموا للأعازر بن سمعان الذي يعتبر الشخصية الوحيدة التي أطلق يوسفوس على أتباعها صراحة اسم "زيلوت"³، ومن خلال ذلك يتبين أن ما قام به الرومان من قمع للقرى يهوذا هو ما أدى لتكوّن هذا التجمع المقاوم⁴.

¹ Smith, Morton. "What Is Implied by the Variety of Messianic Figures?" *Journal of Biblical Literature*, vol. 78, no. 1, 1959, pp. 66–72.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 40.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV Chapitre XV, p: 646-697.

⁴ Richard A. Horsley. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt.» p : 168-171.

أثناء غزو جنود فسبازيانوس للجليل قاموا بمحاصرة يوسيفوس لكنه هرب. فبدأت عملية البحث عنه، وكان يوسيفوس قد التقى 40 من جنوده واختبئ وإياهم في مغارة واسعة بيودفات¹، وكانوا يقضون اليوم كله هناك ويخرجون ليلاً ليتربصوا بالرومان بغية إيجاد طريق للهروب إلى أن اكتشفت امرأة أمرهم وأطلعت فسبازيانوس الذي أرسل قواده، ووعدوه بأن يعاملوه معاملة جيدة على أن يستسلم، لكن يوسيفوس كان خائفاً أن ينتقم منه اليهود إن استسلم لأنه إذا فعل ذلك سيعتبر خائناً، ولهذا السبب بدأ يصلي للرب طالبا الرشد منه وأن يجعله سفيرا للرب عند الرومان لا خائناً².

بدأ رفاق يوسيفوس يفكرون بالانتحار، ولما علموا بعزمه على تسليم نفسه للعدو وبخوه، واتهموه بتفضيل الاستعباد على الموت، وذكروه بخطبه التحفيزية للدفاع عن القوم، وهددوه بالقتل. وخوفاً من أن يحول رفاقه بينه وبين هدفه - في أن ينقل لبني قومه تجربته على حد تعبيره، ولعله يقصد نقلها عن طريق كتابه- لجأ يوسيفوس إلى حيلة ليقنعهم بالعدول عن الانتحار، فقال لهم أن فصل الروح عن الجسد لا يبدو فكرة جيدة حيث إن الله ﷻ -حسب التوراة- وحّدهما، وكيف لهم أن يفكروا بإساءة معاملة أنفسهم بصفة أكثر وحشية من تلك المحتملة من قبل الرومان، كما أنه من المشرف في رأي يوسيفوس أن يموت المرء في سبيل الحرية لكن على يد الأعداء وليس عن طريق الانتحار، وبما أن الرومان سيسمحون لهم بالعيش فما الداعي لرفض عرضهم؟ إن الرغبة في العيش حسب يوسيفوس أمر فرضته الطبيعة، فكيف لهم أن يخالفها؟ وقد خلقهم الله

¹ Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Cinquième, Livre III, Chapitre XII – XXVII , p : 389-432.

² Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre III, Chapitre XXIV, p: 672-673.

عليها! وبما أن الله هو الذي أعطى الحياة فليس لنا الحق في إبطالها بغير إذن منه، وفي خطابه بدا يوسيفوس متأثراً بالفلسفة اليونانية، خاصة المتعلقة بالتقمص، كما بدا أيضاً متأثراً بالفكر الأخروي، حيث ذكر أن الكفرة مصيرهم الموت في ظلام جهنم¹.

لكن خطبته لم تلق آذانا صاغية، فلجأ لحيلة أخرى لعله ينجو. لقد أكد يوسيفوس أن الانتحار لا يجوز ولكنه اقترح حلاً بديلاً وهو أن يقتل كل منهم الآخر عن طريق القرعة. وبالفعل انصاع رفاقه لخطته، وكانت الحلية سبباً في نجاته هو ورفيق له فأقنعه بالاستسلام. ولما سلم نفسه رأى فسبازيانوس أن يرسله أسيراً لنيرون لكنه أقنعه بالعدول عن ذلك بأن تنبأ له بسقوط يودفات وأن رفيقه شهيد على ذلك، كما تنبأ له أنه سيصير إمبراطوراً ومن بعده ابنه، ولعله اخترع هذه الحكاية ليخفي تعاونه مع الرومان وتزويدهم بالمعلومات². وعلى العموم فقد تحول حب أهل أورشليم ليوسيفوس بعد أن ظنوا أنه قُتل إلى كره فور سماعهم لتشريف الرومان له³.

إن حصن يوسيفوس في يودفات كانت لتكون له أهمية في فض الحصار عن أورشليم لأنه من شأنه مدهم بالجند والمؤونة، ولذلك كان يوسيفوس قبل تمدد ميدان الحرب يسعى لثني المتمردين عن مقصدهم بأن بين لهم ضعف موقفهم⁴، فلقد خدع يوسيفوس أتباعه بأن أقنعه أن يقتل كل واحد منهم رفيقه وفقاً لقاعدة القرعة، فلما قتلوا جميعاً وجاء دوره هو

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre III, Chapitre XXV-XXVI-XXVII, p: 673-676.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 100-101.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre III, Chapitre XXX, p: 678.

⁴ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 53.

وزميله أقنعه بالاستسلام ونجا من الموت كم سلف الذكر¹، وبهذه الطريقة تخلص يوسيفوس من رفاقه، ليلقي نفسه في أحضان العدو².

يرى ديسمون سيوارد أنه كان من الممكن إنقاذ الجليل من الرومان لو تولى يوحنا كوشالا القيادة، لأن خطته كانت مناسبة لمحاصرة الرومان اقتصاديا، حيث احتكر تجارة الزيت بالجليل ليقوي دفاعاتها، وعمل على إسقاط يوسيفوس -الذي كان قائدا للجليل- بإشاعة أنه سيسلم الجليل للرومان. وفعلا أقنع أهل صفورية بذلك، فحاولوا اغتيال يوسيفوس قبل أن يتزعمهم، لكن أحد أتباع المغتال كشف المؤامرة ليوسيفوس، ورغم ذلك سامحهم لأنه لم يكن في موقع يخول له معاقبتهم، ولكن محاولات اغتياله لم تكن لتخمد لولا أنه أقنع أهل الجليل بالخطاب الجدلي تارة وبالعنف تارة أخرى، فمن لم يقتنع منهم بكلامه أدخل قياداتهم إلى أحد الدور وقام بتعذيبهم جميعا حتى الموت ورمى بهم إلى الخارج لإخافة المتمردين. وفي قانا حاصر يوحنا كوشالا يوسيفوس وكاد ليقتله لكنه هرب، فقام بتهديد أتباعه وسلم من بقي منهم في المدينة أسلحتهم. لقد سعى يوحنا لكل ما من شأنه أن يكون مصدر اضطراب لسلطة يوسيفوس وإدارته كما أن أهل صفورية اعتبروا يوسيفوس غير كفؤ وصاروا يفضلون حكم الرومان عليه³.

وكانت جمالا مدينة صعبة الاقتحام لأنها تقع على جبل⁴، فقام فسبازيانوس بمحاصرتها وخيم بالأماكن المحاذية للجبل، ثم أرسل الملك أغريبا الثاني ليحاول إقناع أهلها

¹ Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Cinquième, Livre III, Chapitre XII – XXVII, p : 389-432; Livre III, Chapitre XXVI, p : 428.

² يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 242-230؛ 251.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 68-71; 74-75.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre II, p: 685.

عند فتحات الجدران بالاستسلام، فقام أحد سكانها برميهِ بحجر وجرحه في كوعه، وهذا الأمر أغضب الرومان فأحاطوها بالأليات، ونظرا لطول الحصار هرب أشداء المدينة عبر الجبال ومات آخرون من شدة الجوع، واقتحمها الرومان وقتلوا كل أهلها الذين رما كثير منهم نفسه من أعلى القلعة، فلم يبق بها حيا سوى امرأتين من أقرباء أغريبا الثاني، وفي 23 أكتوبر 68م سقطت المدينة¹.

كانت كوشالا آخر مدينة جليلية يسقطها الرومان، وآخر معقل قبل أورشليم التي تعتبر آنذاك عاصمة مملكة يهوذا، ولذلك كان اللاجئون يجتمعون بها، فأحس فسبازيانوس أن معركة كبيرة تنتظره هناك، وبما أن دماء كثيرة سالت في المدن السابقة، رأى فسبازيانوس أن يبعث ابنه تيطس ليفاوض أهل كوشالا على الاستسلام، وكان يوحنا كوشالا قد منع على أهلها أي اتصال بالرومان، علما أنهم حسب يوسفوس كانوا يميلون لاستسلام، وقام هو بالتواصل مع تيطس وأخبره أنه مستعد لعقد معاهدة سلام معه شريطة ألا تكون يومه السبت، وكانت تلك حيلة بفضله استطاع يوحنا الهرب من بطش الرومان ليلا منسحبا هو وكثير من رفاقه إلى أورشليم. ومن ثم سقطت المدينة في اليوم الموالي، وكان اقتحامها سلميا ومفرحا لأهل المدينة، ومع ذلك فإن فسبازيانوس قام بمعاقبة بعض "الفوضويين" الذين ظلوا هناك. ولما بلغ يوحنا كوشالا أورشليم أخبرهم أن مجيئه مجرد تكتيك وليس هروبا، وذلك ليستأنف الحرب ضدهم من قاعدة عمليات موثوقة كأورشليم².

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre VII, p: 688-689.

² Ibid. Livre IV, Chapitre VIII-X-XI, p: 689-693.

بعد أن ذكر يوسيفوس أن الغيوريين اتحدوا في لحمة واحدة بالمدينة، أشار إلى قطاع طرق آخرين وفدوا من القرى المجاورة لأورشليم، وكانوا حسب رأيه أشد من الأولين. وكان أول عمل يقومون به سجن أنتيباس أحد أفراد الأسرة المالكة الذي كان مسؤولاً عن خزينة الدولة، وكذلك صوفاس وليفياس وهم أيضاً من العائلة الملكية الهيرودية. ثم أرسلوا من يقتلهم في السجن، كما سيطروا على منصب الكهانة ونصبوا من شاءوا فيها¹.

يميل بعض المؤرخين بسبب هذا النص إلى القول بأن الظهور الحقيقي للزيلوت تم في هذه الفترة، ولكن الرأي المرجح هو وجود فرق أخرى إضافة إلى الزيلوت والسكرارين خرجت من رحم الفلسفة الرابعة، وكان لها نزوع أكبر نحو السلطة وعُرفوا بتمسكهم بالفكر المسيحاني. ورغم ذلك فإن السياق يدل على أن من سماهم يوسيفوس الأولين وأولئك الذين اعتبرهم أشد منهم، هم من أطلق عليهم ولأول مرة اسم الزيلوت². وكل هذا يدل على أن ظهور الزيلوت أمر لاحق لاندلاع الثورة اليهودية ضد الرومان، وهو ظهور تزامن مع هجوم فسبازيانوس، ومن ثم فليس لهم في الثورة اليهودية دور كبير، اللهم دورهم في الحرب التي تلت الثورة³.

قام الزيلوت أتباع ألعازر بن سمعان في شتاء 68م بالانقلاب على الحكومة المؤقتة التي أسسها الكهنة وسيطروا على الهيكل⁴، فأنحصر الزيلوت داخل الهيكل وصنعوا لهم قلعة هناك من أجل أن يأمنوا غضب الشعب؛ حينها قام الكاهن حنانيا بن حنانيا بتحريض

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre VIII-X, p: 689-692.

² Ibid. Livre IV, Chapitre XII, p: 693.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 62.

⁴ Jackson. « Revolutionaries in the First Century. » p: 132.

الشعب ليحمل السلاح ضدهم معتبرا اقتحام الهيكل وتحويله لقاعدة حربية تدنيسا للمقدسات. وفعلا انطلقت ثورة شعبية ضد الزيلوت بقيادة الكاهن حنانيا بن حنانيا، وعرفت المعركة الأولى رشقا متبادلا بالحجارة، وكان الزيلوت هم المبادرون للهجوم فقتلوا كل من حاول الهرب خارج الهيكل، وكان النصر حليف حزب الكهنة وتراجع الزيلوت وغلقوا كل البوابات¹.

قدم يوحنا اللاوي من كوشالا مكان ازدياده مع جماعته، وقتل كثيرا من الكهنة المعارضين الذين تمنوا -بحسب كلام يوسيفوس- أن يأتي الرومان ويغلبوا عليهم لعلمهم يستريحون منه ومن أصحابه²، وقوي أمره، فحاربه الكاهن حنانيا³، وتدخل يوحنا كوشالا في حرب العازر بن سمعان ضد الكاهن حنانيا بن حنانيا، ومن ثم انضم للزيلوت وأقنعهم بأن يطلبوا دعم الأدوميين، خاصة أنه رأى أن من شأن حنانيا أن يسلم المدينة للرومان، وكان دخول الأدوميين قلبا للموازن⁴.

زحف الأدوميون إلى أورشليم على رأس 20000 رجل، ولما بلغوا أسوارها، قام الكاهن حنانيا بتكليف يوشع بن غملائيل⁵ بمحادثتهم من خلال أحد الأبراج، فاشتراط يوشع لدخولهم أن يسلموا أسلحتهم، فرد عليه أحد الأدوميين أنه لا يتفاجأ من رفض إدخاله من قبل من يريدون تسليم المدينة للرومان، ولا غرابة في أن لا يخلوا بينهم وبين "حراس الحرية"

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XII, p: 693.

² يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 243-244.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 121.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XII-XVII, p: 694-703.

⁵ يوشع بن غملائيل: كاهن تلك الفترة، خلفه ماثياس بن ثيوفيل، ويقول يوسيفوس أنه تم اعتلاء منصب الكاهن منذ عهد هارون إلى دمار الهيكل من قبل 83 كاهن وآخرهم كان فاناسوس حيث نصبه المتمردون كاهنا.

Ibid. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre VIII, p: 537.

المحاصرين داخل المعبد، ثم عسكر الأدوميون في الخارج، وقام الزيلوت بفتح الأبواب لهم على حين غفلة فدخلوا المعبد، ومن هناك انطلقوا لمهاجمة سكان أورشليم فقتلوا منهم 8500 رجل. ثم أسروا 12000 من النبلاء، ويدعي يوسفوس أنهم قتلوهم ليلا بعد حبسهم، ثم قتلوا الكاهن حنانيا وكهنة آخرين¹. لقد قام الأدوميون بمجازر في الشعب، وكانوا يستهدفون في إعداماتهم الأشخاص الذين ينتمون للطبقة الأرستقراطية، لكن الأدوميين انسحبوا لبلادهم بعد أن رأوا أن الزيلوت لا يسعون لحماية الدين، وإنما لحماية مصالحهم الشخصية في تسلم السلطة².

يقول سيوارد: "إن هذا لتحريف لما حدث، ربما قتلوا البعض منهم. رغم أن عنصر الاستياء من الطبقة النبيلة كان حاضرا خلال الحرب. إن يوسفوس يستغل كل فرصة ليبالغ. فروايته المتحيزة للأحداث نابعة من كونه أرستوقراطي أناني يؤمن أن اليهودي الحقيقي هو النبيل ولا يهم أحد آخر. فإن روايته تزعم أن كل اليهود أرادوا السلم مع الرومان. إنه يحاول إقناعنا أنه يستحيل على أحد أن يجمع بين كونه نبيلًا وزيلوتيا في الوقت نفسه، بينما تفيد أدلة كثيرة عدم صحة ذلك"³. فمثلا نجد زكريا بن بارس النبيل يحاكم في المعبد من قبل السنهدرين "محاكمة صورية" بسبب تخطيطه ومؤامراته على أورشليم بتنسيق مع فسبازيانوس⁴.

¹ Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Cinquième, Livre IV, Chapitres VII-VIII, pp : 512-514.

² Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XIX-XX, p: 704-705.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 124-125. "This is almost certainly a distortion of what took place; probably a mere handful were killed. Although there was an element of class resentment during the war, Josephus takes every opportunity to exaggerate it. A selfish aristocrat, he believed that the only real Jews were the nobles –nobody else mattered- and his biased version of events claims that all of them wanted peace with Rome. He tries to convince us that it was impossible to be both a patrician and a Zealot, when there is plenty of evidence that this was not the case".

⁴ Ibid, p: 126.

ينبغي توضيح العلاقة التي جمعت بين الزيلوت والأدوميين؛ حيث أضحى الأدوميون أتباعا لليهود منذ عهد هركانوس سنة 129 ق.م، فلقد تهودوا وتبنوا أفكار المكابيين الغيورية، ولهذا فهم يعتبرون الوطن وطنهم والدين دينهم، وهم مستعدون لحمايته من المستعمر الروماني، ولكنهم مع ذلك يظلون يهودا غير إسرائيليين، عاشوا بمعزل عن اليهود بأدوم، ومن ثم كان لابد من تمييزهم عن اليهود في المصادر التاريخية وإن كانوا على دين موسى ﷺ. ولهذا السبب قدموا بأمر من العازر بن سمعان زعيم الزيلوت، لكن بعد أن تبين لهم أنه لا يطمح إلا للسلطة انقلبوا عليه وصاروا بصف سمعان برجوريا¹.

اعتمادا على روايات يوسيفوس، يرى آلان أبلباوم (Alan Appelbaum)² في المقابل أن الأدوميين كانوا فصائل متنوعة ولكل منها غايته للقتال، ولم يكونوا يقاتلون لأنهم همج أو قتلة حسب الصورة النمطية التي سوق لها يوسيفوس -خاصة أنه يضعهم مع الزيلوت في سلة الأشرار بسبب قتلهم للكاهن حنانيا- بل إن بعضهم قاتل مضطرا لأنه مجند، كأولئك الذين قاتلوا في صف كبار الكهنة، وبعض منهم قاتل بهدف الدفاع عن نفسه وعشيرته من قطاع الطرق كمن قاتل أتباع سمعان برجوريا، ولعل من قاتل بصف سمعان قاتل لنفس الهدف أو بسبب كريزما سمعان التي أقنعتهم أن يوحنا من الأشرار، كما أن بعضهم قاتل الرومان سواء في صف الكهنة أو الزيلوت لأسباب كالحرية باعتبار أن الرومان يشكلون تهديدا

¹ Jackson. « Revolutionaries in the First Century. » p: 129; 135-136.

² آلان أبلباوم (1936م): أستاذ أمريكي وعضو بقسم الدراسات الدينية وبرنامج الدراسات اليهودية بجامعة ييل بأمريكا. من منشوراته .The Dynasty of the Jewish Patriarchs

“Alan Appelbaum: Yale University”. (n.d.). Retrieved 10 December 2020, from <https://yale.academia.edu/ALANAPPELBAUM/CurriculumVitae>

للهيكل وللإله، كما أن هناك أسباباً "دينية"، خاصة أن بعضهم كانوا من أتباع الربّي شمائي؛ تلك الجماعة المتشدّد من الفريسيين¹.

سر فسبازيانوس بانقسام اليهود، ولأن الغرض من إحضار الأدوميين كان أيضاً محاربة الرومان فقد اختار مهاجمة أدوم بدل أتباع يوحنا كوشالا². وقام بمحاصرة أورشليم عن طريق عزلها عن بقية المدن التي تحيط بها كإريحا، حيث قتل بعض أهلها وأسر البعض الآخر³.

كان السكاريون في قرية عين جدي قرب المسعدة بقيادة ألعازر بن جاير (حفيد مناخم) يغيرون على أهلها ويجمعون محاصيل الزرع وينقلونها إلى حصن المسعدة. وفيما بعد انضم إليهم سمعان برجوريا الذي كان يعدّ العدة لمهاجم أورشليم، لكن أتباع يوحنا كوشالا انقضوا عليه في عين الفارة (تبعد 10 كلم من أورشليم)، وقد قتل سمعان برجوريا منهم الكثير. ولما أنه لم يكن واثقاً من النصر تراجع إلى أدوم، وهاجم برفقة 20000 رجل الأدوميين، ولم تكن معركة يوحنا كوشالا الأولى حاسمة لكنه انتصر في الثانية عليهم. وبهذا ضمن أن حلفاء سمعان برجوريا لن يأتوا في نجدته هذه المرة، لكن الزيلوت قاموا باختطاف زوجة سمعان للضغط عليه، فلجأ لقطع الطريق أمام كل من يخرج من المدينة ليجمع الأعشاب أو الحطب. ثم أطلقوا صراح زوجته بسبب الجثث الكثيرة التي كان يرسلها⁴.

¹ Appelbaum, Alan. «The Idumaeans" in Josephus' "The Jewish War. » *Journal for the Study of Judaism in the Persian, Hellenistic, and Roman Period*, Vol. 40, No. 1, 2009, pp. 1-22, p: 18-19.

² يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، 248-245.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XXII, p: 707 ; Chapitre XXV-XXVI, p: 709-711 ; Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 131.

⁴ Ibid. Livre IV, Chapitre XXX-XXXII, p: 708; 714-716.

لكن مؤامرة دبرها الكهنة أعادت سمعان للصدارة، إذ أنهم بسبب معاناتهم من ظلم يوحنا كوشالا والأدوميين، وعدوا سمعان برجوريا بكنوز القصر الذي فيه يوحنا مقابل أن يعينهم عليه. وفعلا انطلقت حرب جديدة بتنسيق مع الكهنة وبقيادة سمعان برجوريا الذي اقتحم أبواب أورشليم وحصر الزيلوت أتباع يوحنا داخل أسوار الهيكل، ومنذ ذلك الحين صار برجوريا أميرا بأورشليم وكان ذلك سنة 69م¹.

حاول الجنود الرومان إقناع فسبازيانوس بالهجوم في هذا التوقيت الذي يعرف فيه اليهود انقسامًا، إلا أنه رفض معتبرا استنزاف قوة اليهود بالعدول عن قتالهم وتركهم يقتتلون أنجع طريقة للانتصار في الحرب. وفي تلك الأثناء كان كثير من اليهود يفرون من أورشليم ويلتحقون بالجنود الرومان، ويبدو أن أغلب الفارين كان من الأغنياء².

كان الوضع مضطربا في روما بعد أن انتحر نيرون، ولهذا أرسل فسبازيانوس جنودا إلى روما ليدعم ابنه دوميسان (Domitian)³. ما أن علم فسبازيانوس بدخول جيوشه التي أرسلها لروما وانتصارها على الانقلابيين وأن السلطة باتت بين يدي ابنه نيابة عنه حتى سارع إلى الإسكندرية لاستقبال السفراء مبايعين، ثم انتقل إلى روما بعد أن أرسل ابنه تيطس ليكمل ما بدأه من حصار أورشليم⁴.

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XXXIV, p: 717-718.

² Ibid. Livre IV, Chapitre XXI-XXII, p: 707.

³ دوميسان فلافيوس أو غوستس (52 – 96م): أضحى الإمبراطور السابع (81-96م) بعد وفاة تيطس. وهو الابن الأصغر لفاسبازيانوس. اضطهد لفلاسفة والكتاب والعلماء والمسيحيين. كان آخر إمبراطور من سلالة الفلافيين. خلفه نيرفا.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol. 1, p : 1061-1062.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XL-XLII, p: 722-723.

خلال الحرب ومناوشاتها كان فسبازيانوس ينتقل بين الأمصار في مصر وآسية وأوربة ليثبت حكمه إمبراطورا، وكان يوسيفوس يرافقه مقيدا بالسلاسل، وجاء تحريره بمناسبة نجاح حملة فسبازيانوس الدعائية ضد الإنقلابيين في روما، وتأكده من دعم جيوش العالم له في طموحه الوصول للسلطة. لقد شعر فسبازيانوس أنه لم يبق سوى الإعلان الرسمي ليكون إمبراطورا، فعلم حينها أن نبوة يوسيفوس صادقة فأطلق صراحه وأزال القيود عنه¹. كما أن زيارة يوسيفوس لروما جعلته يفهم كيفية التعامل مع السياسة الرومانية، واحتكاكه مع يهود روما أكدت له أن بإمكانه أن يكون يهوديا ورومانيا في الوقت ذاته، وبعد تخمين تبين له أن الغيورين يقاتلون لا لأنهم كانوا موقنين أن الله في صفهم أو لأن لهم آملا في الانتصار؛ بل لخوفهم مما قد يحدث لهم بعد "هزيمتهم المحتومة"².

إن الذي أخر محاصرة أورشليم عسكريا هو انتحار الإمبراطور نيرون في يونيو 68م بعد أن اتهم بالخيانة، وكانوا على وشك إعدامه³، فانصرف فسبازيانوس إلى روما، والواقع أنه خشي على ذهاب ملكه، فقسم عسكره نصفين، النصف الأول عاد به لروما لمحاربة الإنقلابيين وإعلانه إمبراطورا، والنصف الثاني بقيادة تيطس ابنه الذي أمره فسبازيانوس بمحاربة اليهود والاستعانة بيوسيفوس مرشدا سنة 69م⁴.

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XXXVIII, p: 721.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 40; 201.

³ Ibid, p : 136.

⁴ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 251.

المبحث الثالث: حرب الغيورين الأهلية التي أفضلت الثورة.

انقسم الغيورون إلى زيلوت يتبعون كل من يوحنا كوشالا وألغاز بن سمعان من جهة أولى، وسكاريين من أتباع سمعان برجوريا من جهة ثانية، تحالفوا مع الكهنة وضموا الأدوميين. ومن جهة ثالثة، وورغم انضمام أتباع ألغاز بن سمعان -وهم المسمون زيلوتا- إلى يوحنا كوشالا، إلا أنهم انقسموا إلى فريقين: فريق ألغاز الذي انضم إلى يوحنا، وفريق آخر لم يذكر قائده، ولعله كان المسمى زكريا بن أنفيكانوس الذي لم يرد ذكره في مؤلفات يوسيفوس إلا مرة واحدة¹. وهنا بدأ يوسيفوس الحديث عن الآفات الثلاثة: التمرد والطغيان والحرب. ويضيف يوسيفوس بعد ذلك أن السكاريين أو "الاغتياليين" الذين فروا للمسعدة -وهم من أتباع ألغاز بن جاير قريب مناخم- آفة رابعة، ولعله هنا يستحضر قصة الوحوش الأربعة المذكورة في سفر دنيال (7:1)².

لكن شيمون أبيلباوم يقسم الفصائل إلى ثلاثة، ويفسر سبب اقتتالهم بما يلي؛ كان القسم الأول يمثل السلطة الكهنوتية (ألغاز بن حنانيا ويوحنا كوشالا)، وأما الثاني فكان "فصيلا" ينهج نهجا "اشتراكيا" (سمعان برجوريا) لأنه سعى لتحرير العبيد³، بينما كان الفريق الثالث (مناخم) استغلاليا يسعى للملك باسم القومية⁴. ويتبين من خلال هذا التقسيم أن الخلاف هو اختلاف ليس في الأيديولوجيات فحسب وإنما في الأهداف أيضا.

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XV, p: 697 ; Chapitre XXIII-XXIV, p: 707.

² Ibid. Livre IV, Chapitre XV, p: 697 ; Chapitre XXX, p: 708.

³ Hengel, Martin. *War Jesus Revolutionär?* Stuttgart: Calwer Verlag Stuttgart, 1970, p: 13.

⁴ Applebaum, « The Zealots: The Case for Revaluation », p: 166-168.

إن السبب وراء تعايش مختلف الفرق اليهودية قبل حرب السبعين هو قلة الحيلة وعدم القدرة على تغيير الوضع، خاصة في عهد هيرودس الكبير. فما إن زال السبب وانطلقت الثورة حتى عادوا إلى خلافاتهم وصار الاقتتال بينهم. ويتسم الغيوريون بعدم القدرة على التعايش مع الآخر، وكان القمع المسلط عليهم من قبل السلطة الحاكمة سواء الهيرودية أو الرومانية يفرض عليهم قبول الآخر طوعا أو كرها¹.

إن هذه الأحداث المروية تطرح مجموعة من التساؤلات مثل: لماذا هاجم الزيلوت الكهنة الكبار؟ لماذا كان الكهنة الكبار حريصين على قمع الزيلوت بينما لم يكن لأهل أورشليم موقف معاد لهم في البداية؟ لعل الجواب يكمن في إحساس الكهنة بأنهم عدو الزيلوت التالي بعد الرومان. ولهذا السبب كانوا يحاربون الزيلوت وأحيانا يساندونهم نفاقا لكسب الوقت من أجل التفاوض مع الرومان، كما أنهم شعروا أن دعوة الزيلوت للشعب من شأنها تقويض نفوذهم².

زار الربّي يوحنا بن زكاي الذي كان أحد تلامذة هليل في تلك الفترة فسبازيانوس بعد أن أحكم خطة للهرب من أورشليم، حيث وضعه اليهود في تابوت معلنين موته، وكان هدفه إنقاذ ما يمكن إنقاذه. ولما تحدث مع فسبازيانوس أخبره أنه بتنبئه بأنه سيصير إمبراطورا، لأن معبد أورشليم في النهاية سيخضع لملك، فمكنه فسبازيانوس لاحقا من فتح مدرسة ربية في يمنية³.

¹ Baumgarten, Albert I. *The Flourishing of Jewish Sects in the Maccabean Era*. Ibid. p: 191.

² Horsley. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt. » p: 165; 186-188.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 135.

ومن تلك المنطقة انطلقت دعوة ما يعرف اليوم باليهودية الربية والتي دونت إثر تأسيسها التلمود، وكانت حركة يوحنا بن زكاي هي ما أنقذ ما تبقى من اليهودية بعد هذه الحرب.

انقسم متمرّدو أورشليم مرة أخرى في بداية سنة 70م إلى ثلاثة فرق: فرقة في الجهة الداخلية من الهيكل وهي بقيادة ألعازر بن سمعان، وهي منطقة حساسة جدا بالنسبة لليهود لأنها تضم أجزاء المعبد الأكثر قداسة، وقد شكل ذلك تدنيسا للهيكل. وأما الفرقة الثانية فهي فرقة يوحنا كوشالا والتي كانت في الجهة الخارجية من الهيكل، وكان في مواجهة مع الفرقتين. ثم تأتي الفرقة الثالثة وهي تحت قيادة سمعان برجوريا زعيم المدينة آنذاك، ولقد تسببت الحرب الأهلية التي دارت بينهم في استنزاف قوى اليهود ومن بين ذلك حدوث مجاعة داخل المدينة¹.

حل عيد الفصح في 14 أبريل 70م، فاستغل يوحنا كوشالا فتح أبواب الهيكل من قبل ألعازر بن سمعان زعيم الزيلوت لكل من يرغب في العبادة ليطيح به، فقام بإرسال بعض غير المعروفين والذين وصفهم يوسيفوس بالمتهاونين في العبادة، فزودهم بالسيوف التي أخفوها، فنصبوا كميناً لأتباع ألعازر وانقضوا على بعضهم بالعصي وآخرين بالسيف. من ثم صار الزعيم هو يوحنا وصارت الفرق الثلاثة اثنتين؛ فخارج أسوار الهيكل ضمت قوات سمعان وحده 10000 رجل تحت قيادة خمسين قائدا، إضافة إلى 5000 أدومي تحت قيادة عشرة قواد، وقد كان عدد أتباع سمعان فقط في البداية قبل أن يهجم على الأدوميين 20000 مما يعني أنه خسر 10000 رجل، وفي المقابل وداخل الهيكل ضم أتباع ألعازر بن سمعان 2400

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre I-III, p: 723-725.

رجل، كما ضم يوحنا كوشالا 6000 رجل تحت عشرين قائدا¹. واستمرت حرب سمعان وأتباعه ضد يوحنا وألغاز وأتباعهما.

إن كل ما نعرفه عن يوحنا كوشالا مصدره يوسفوس الذي يكرهه لمحاولاته الاستيلاء على منصبه حاكما للجليل، ومن ثم فمن الصعب الوثوق بشهادة العدو. لقد كان يوحنا يؤمن بخلاص اليهود وانتصارهم في الحرب، لكنه كان واثقا من نفسه أكثر من اللازم، فكان مستعدا لقتل كل من يقف في طريقه، لهذا كان أتباعه -رغم سلميتهم- مضطرين لخوض حرب بقيادة ديكتاتورية ضد الرومان، إذ قام يوحنا بمحاصرة أسوار الهيكل كي لا يخرج أحد، خاصة من يود الاستسلام. يذكر يوسفوس أن الكثيرين كانوا راغبين في الاستسلام، ورغم ذلك استطاع يوحنا كوشالا جلب آلاف اليهود من الجليل ويهوذا إلى أورشليم! إن هذا يشكك في قول يوسفوس بأن الكثير منهم كانوا يريدون الاستسلام، ولذلك يرى يوسفوس أن يوحنا كوشالا هو عمل إلهي أريد به تدمير أورشليم². ومن ثم يتبين أن رواية يوسفوس للأحداث لها طابع لاهوتي أكثر منه تاريخي.

يرى سيوارد أن ديكتاتورية يوحنا كوشالا وطغيانه كانت في صالح متطرفين مثل الزيلوت، خاصة أنه على الأقل منع لفترة قصيرة حربا أهلية بين الزيلوت أنفسهم، كما تميز بالدهاء حينما راسل يهود الرافدين ليحثهم على إقناع الفرس بمهاجمة الرومان³، لكن قدوم سمعان برجوريا⁴ على رأس 20000 مقاتل، حطم أي أمل لقيادة موحدة، حيث أحدث فتنة كبيرة في

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Chapitre XI, p: 729-730 ; Chapitre XVI, p: 738.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 114; 116.

³ Ibid, p : 129.

⁴ Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XLIII; XLIV, p: 346-360; Livre IV, Chapitre XXX, pp : 548-551.

أورشليم وأسال دماء كثيرة إثر مهاجمتها ودخوله في صراع بين يوحنا وألعازر بن سمعان¹. ورغم اختطاف الزيلوت لزوج سمعان فذلك لم يثنه عن هدفه، حيث استطاع استعادها بمساعدة الأدوميين الذين انقلبوا ضد يوحنا، ودعموه كذلك في دفع أتباع ألعازر ويوحنا للانسحاب داخل أسوار المعبد مع استمراره في مهاجمتهم².

لم يوقف تلك الحرب سوى اقتراب جحافل تيطس عند بوابات أورشليم. وقد هوجم تيطس هناك من قبل بعض اليهود وقتل إثر ذلك أحد جنوده. ثم انتقل ليعسكر عند منطقة العقرب القريبة من جبل الزيتون، وهناك هوجم مرة أخرى ولكنه سيطر على الوضع. كان يوسيفوس وهو يروي الأحداث يكيل لتيطس الكثير من المديح، ولم يكن يرى سببا لتماسك جيشه سوى حكمته وعظمته³. لقد كان عتاد تيطس يزداد بفضل المدد من الأمم المجاورة والآليات العسكرية القوية التي كان الرومان يستخدمونها⁴، فقد استخدم تيطس المدرعات محاولا هدم الأسوار، فدافع اليهود بالغارات النارية، واستطاع الرومان الوصول إلى بعض المغيرين، فتم صليهم إرهابا لأهل أورشليم، واستخدم الرومان نوعا من السلالم تسمى باللغة اللاتينية هيليبولس (Helepoles) أي المخضعات للمدينة، وعن طريقها تم لاحقا تسلق الأسوار لفتح الأبواب من الداخل واقتحام الرومان المدينة⁵.

¹ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 249-250؛ 252-253. وينظر:

Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XXX-XXIV, p: 551-561 ; Tome Sixième, Livre V, Chapitre III, p: 5-6.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 144.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre IV-X, p: 726-729.

⁴ Ibid. *Histoire des Juifs*, Tome Sixième, Livre V, Chapitre X, p : 18.

⁵ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 173.

كانت أورشليم تحتوي على 600000 رجل وامرأة وطفل حينما حاصرها تيطس، وقد شغل سمعان جزء المدينة العلوي والمنحدر الكبير (جنوب الشرق)، بينما شغل يوحنا وألغازر المعبد وضواحي عوفل وووادي قدرون (شمالاً)، وكانت أضعف نقطة هي بوابة يافا (شمال غرب أورشليم)، وكان البرج المركزي هو أنسب مكان يمكن أن تنطلق منه الهجمات، ولهذا السبب ظل اليهود عند البوابة التي تقود لطريق الجلجثة، ولكن أحد الجانبين لم يقاتل الآخر بسبب التعب، فبقيا متأهبين لأي هجوم¹. بعد ذلك دمر الرومان البرج المركزي، وذلك سبب خرقاً في السور الثاني بعد أربعة أيام من تدمير السور الأول، لكن تيطس فضل عقد صلح مع اليهود بدل تدمير السور الثاني، فاعتقد المتمردون أن ذلك نابع من ضعفه وفقدته أمل الانتصار، فمنع سمعان برجوريا الصلح عن طريق القمع والإعدام، حيث يذكر يوسيفوس أن سمعان قام بقتل بعض الكهنة متهماً إياهم بالخيانة، إذ يبدو أن كثيراً من الكهنة تبين لهم أنهم ارتكبوا خطأ كبيراً بالدخول في حرب ضد الرومان، وأن استعانتهم بالغيوريين في حربهم تلك كانت أفدح خطأً، كما أن أحد القادة الذين تحت يد سمعان واسمه يهوذا بن يهوذا تأمر ضده مع بعض الجنود بهدف تسليمه للرومان في مقابل الحفاظ على حياة البقية، لكن سمعان اكتشف ذلك فقتله².

هاجم الرومان اليهود بطريقة حرب العصابات³، فكبدوهم هزيمة تلو الأخرى، واشتد الحصار على اليهود⁴، ولكن تيطس نجح في استدراج بعض اليهود إليه وأمنهم وأحسن إليهم

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 144; 174.

² Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre XXXIII-XXXIV, p: 757.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 176-177.

⁴ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 254-259؛ 277-279.

لأن الحصار كان قد أنهكهم، خاصة بعد أن خطب فيهم يوسيفوس -الذي أضحى سفيرا رومانيا- خطبة مؤثرة¹، وقبل أن تنطلق المعركة الأخيرة، أرسل تيطس كل من يوسيفوس وشخص يدعى نيكانور ليدعوا اليهود للاستسلام للمرة الأخيرة، ولكن اليهود ردوا بإصابة نيكانور في رجله، مما أشعل غضب تيطس، فقرر هدم أسوار أورشليم الثلاثة بالآليات، وكان اليهود يحاولون منع مهاجمها وترميم الأسوار لكن دون فائدة²، وأثناء هجومه على السور الأخير رأى أن يرسل يوسيفوس مجددا ليقنعهم بالاستسلام، خاصة أن هدم السور النهائي يعني نهاية الحرب، وبدأ يوسيفوس بمحاجتهم واستمالتهم دينيا، وحينها ذكرهم وهو يبكي أنه لو كان الحق في صفهم لسارع يهوه لإنقاذهم كما كان يفعل في كل مرة مثل ما حدث أيام موسى وداود والمكابيين، ومما قاله في خطبته: "هل تظنون أن ما تقومون به مبارك من الشارع (الله)، فإنكم لم تتجنبوا الخطايا سرا كالسرقة والزنا والقتل، انظروا ما فعلتم بالجمال الذي خنتموه! يا لها من مدينة ويا له من معبد!"³ وقد أقنع بعضهم فهربوا في اتجاه الرومان، وتركهم تيطس يهربون إلى أي بلد يريدون. عندها وضع سمعان ويوحنا عند البوابات حراسا يمنعون الناس من الخروج ويقتلون من يحاول ذلك⁴، كما أن خطبة يوسيفوس لم تجد كبير نفع؛ لأن اليهود يعتبرونه جبانا وخائنا⁵، ولعله بالغ قليلا في فوائدها، خاصة أن النهاية معروفة وهي فشل المفاوضات، ولتكون النتيجة بالأخير تحميل الفرق المتمردة مسؤولية فشلها.

¹ Flavius. *Histoire des Juifs*, Tome Sixième, Livre V, Chapitre XXIV & XXVI, p : 63-67 ; 69-83.

² Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre XVII-XXIV, p: 739-744.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 183. "Do you really think that what you've done has been blessed by the Lawmaker? (...) you have not exactly avoided secret sins, have you—thieving and adultery—while you compete with each other at murder and rape, inventing new forms of evil (...) Turn round and look at the beauty you are betraying—what a city, what a temple!"

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. Livre V, Chapitre XXV-XXVI, p: 745-750.

⁵ Ibid. *Histoire des Juifs*, Tome Cinquième, Livre III, Chapitre XXX, p : 437.

حدثت أكبر مجاعة عرفها سكان أورشليم، حيث هرب بعض الأغنياء وقتل آخرون أثناء المحاولة، ولكن يوسيفوس يرى أن المتمردين قتلوهم للاستيلاء على ثرواتهم. ولم يكفهم ذلك، فقد كانوا يدخلون على الناس بيوتاتهم ليفتشوها ويعذبوا أهلها إن رأوا أنهم يخفون شيئاً عنهم. وصارت الأسر تتصارع فيما بينها من أجل القوات، وبدأ بعض اليهود يهربون خارج أسوار أورشليم، فأمر تيطس بملاحقتهم وسجنهم، ثم أمر بعد ذلك بإعدامهم وتعليقهم عبرة عند سور أورشليم، لكن المتمردين لم يتعظوا¹، واستعملوا سلاح المدفعية وتكبدوا الرومان خسائر مهمة إلى درجة أنهم جرحوا تيطس في كتفه، وكانت تلك الحادثة سبباً في جعل يد تيطس اليسرى ضعيفة²، ودمر رجال يوحنا كوشالا وسمعان برجوريا متراس الرومان وهجموا على معسكراتهم بعد أيام، ولكن تيطس أعاق هجومهم فتراجعوا³.

عانى اليهود حالة يرثى لها، فمن القصص التي يرويها يوسيفوس إقدام امرأة على أكل ابنها جوعاً، فلما اعترفت بما اقترفته لليهود فروا من أمامها هرباً، فنشروا الخبر حتى بلغ مسمع الرومان، ولكن يوسيفوس لم يحمل المسؤولية للحصار وإنما للغيورين، كما نقل حزن تيطس عليهم وتبرؤه مما سمع من فظائع⁴، مع أن تيطس -الذي أظهره يوسيفوس مظهر البراءة- كان حينها يجهز أربع مدرعات ليقتصفهم، فلقد أقسم تيطس -الذي بلغه خبر المرأة التي أكلت ابنها- أن يدفن أهل تلك الأرض تحت حطام يهوذا التي لن يبقى لها أثراً⁵. ومما يرويه

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre XXVII, p: 750-751 ; Chapitre XXVIII, p: 752.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 180.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre XXX, p: 753-754.

⁴ Ibid. Livre VI, Chapitre XXI, p: 772-774.

⁵ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 196 ; 216-217.

يوسيفوس أيضا أن بعض الناس كانوا يبيعون متاعهم ويفرون، وبعضهم كان يأكل نقود الذهب خوفا من أن يأخذها منه المتمرّدون، وروي أن أحد هؤلاء هرب باتجاه السوريين، فاكتشف أمره بعض العرب والسوريين وهو يجمع القطع من فضلاته، فحينها علموا بأن بعض اليهود يخفون النقود الذهبية داخل معدّتهم، ففتحو أمعاءهم وأخذوا النقود، فكانت تلك أبشع ميتة ماتها اليهود في تلك الحرب¹.

كما أشار يوسيفوس إلى استيلاء يوحنا على متاع الهيكل، وهي عبارة عن أدوات كثيرة تعتبر مقدسة لأنها مكرسة للقيام بالطقوس؛ مثل الطاولات والأطباق والأوعية الذهبية وخمر وزيت الأضحيان. وقد وصف يوسيفوس أن تعدي يوحنا كوشالا ذاك كفر إلى درجة أنه حتى لو حدث أن الرومان لم يعاقبوا اليهود بأسلحتهم لأنزل الله بهم عذابا أليما من عنده². ويبدو تصوير اليهود بهذا الشجع مبالغة من قبل يوسيفوس، خاصة أنه يهدف إلى تحميلهم أثام معارضتهم لإرادة الله -حسب رؤيته- فيكون ما حل بهم بالنتيجة عقاب إلهي جراء بعدهم عن الدين.

حينها انتقل تيطس للتهديد، لكن ذلك لم يجد نفعا، فإن الغيورين لم يعد لديهم ما يخسرونه، فحدثت معركة تم فيها مطاردة الرومان فعادوا إلى معسكرهم، ورغم أن تيطس أنقذ الموقف إلا أن الرومان ابتدأوا يفقدون الأمل في إخضاع أورشليم³. وفي تلك الفترة كان يوسيفوس يتجول حول سور أورشليم، فقام أحد اليهود برميّه بحجر في رأسه فسقط أرضا،

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre XXVI, p: 750; Livre V, Chapitre XXXVI, p: 758.

² Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre XXXVII, p: 759.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 190; 192-193.

وقد كان اليهود ليحملوه إلى داخل أورشليم لولا تدخل الرومان، حينها انتشر خبر داخل أورشليم أنه قتل، وفرح المتمردون بذلك كثيرا، وكانت أمه سجينه بأورشليم فذكرتهم أنهم اعتقدوا أنه مات سابقا وكان كذبا، فلا يستبعد أن يكون نفس الأمر هذه المرة أيضا¹.

أشعل اليهود² النيران في صف أعمدة شمال غربي المعبد الذي يؤدي لبرج أنطونيا، فدمروا مسافة ثلاثين قدما، وقام الرومان بدورهم بتدمير عشرين قدما، ثم قاموا بهدم السقف لتدمير كل ما يصله بأنطونيا، ثم أمر تيطس رجاله بتكويم الخشب وإشعال النيران في أبواب الهيكل، فانتشرت النار بسرعة وأذابت زخرفة الأبواب المعدنية والخشب، وبقيت مشتعلة في الممرات يوما وليلة، ولكنها أحرقت فقط جزءا من الرواق³، ثم قام أحد الجنود دون تلقي أي أمر برمي قطعة خشبية مشتعلة من نافذة ذهبية تطل على الغرفة المجاورة لقدس الأقداس، فأشعلت النيران داخل المعبد، فأدى ذلك إلى حرق قدس الأقداس، بما في ذلك كل ما يحمله من أثاث مقدس كالتوراة والشمعدان. ورغم ادعاء يوسيفوس أنه وجنود تيطس حاولوا إيقاف النيران لكن المؤرخ سولبيسيوس سيفيروس (Sulpicius Severus)⁴ أكد في القرن الرابع الميلادي أن تيطس هو من أمر بإحراق قدس الأقداس، كما ذكر في التلمود أن جند

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre V, Chapitre XXXV, p: 758.

² يذكر يوسيفوس أنهم يهود ولا يحدد انتماءهم الفرقاني. ولا يخرج الفاعلون عن أن يكونوا الكهنة الفريسيون أو أتباع سمعان برجوريا، فلا يعقل أن يحرق الزيلوت وأتباع يوحنا أنفسهم وهم داخل المعبد. وبما أن يوسيفوس خجل من تحديد هويتهم فلا بد أنه أخفى ذلك لأنهم من الكهنة الفريسيين الذي يعتبرون شيوخه.

Josephus. *The Jewish War*. Ibid, Vol. 3, Book VI, Pare. 9, P: 422-423.

³ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p : 214; 218.

⁴ سولبيسيوس سيفيروس (363 – 425م): مؤرخ الكنيسة. عاش في زمن الإمبراطورين أركاديوس وهونوريوس. تعتبر كتاباته وثائق تاريخية هامة وقد جمعت في وقت متأخر في عصر الأنوار ومن كتاباته Vita S. Martini Turonensis و Dialogi duo. Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol 3, p: 8080-809.

الرومان رشوا عاهرة لتقوم بذلك. وعلاوة على ذلك، فإن يوسيفوس اعتقد أن دمار قدس الأقداس هو إرادة إلهية وعقوبة لعصيان الرومان لأنه يعتبر أن التوراة قد حرمت محاربتهم¹. إن المفتاح لإسقاط أورشليم كان الاستيلاء على برج أنطونيا، ولهذا تم بناء مدرعة أخرى في الجهة الغربية من سور الهيكل، لكن الرومان حينما تسلقوا السلالم تمت مهاجمتهم بعنف من قبل المتمردين فأحبطوا هجومهم². وقد استطاع الرومان خرق السور الثالث والدخول لأورشليم من جهة قلعة أنطونيا المحاذية للهيكل، ومن ثم انحصر كل المحاصرين داخل الهيكل، ولولا قتالهم المستميت لكان الهيكل تحت أيدي الرومان ساعتها، لكن ذلك تأخر إلى حين³.

بينما كان تيطس يخرب قواعد قلعة أنطونيا كان يوسيفوس يبحث أمر السلام مع يوحنا كوشالا لكن دون فائدة⁴، وقد استمع إليه بعض الكهنة المعتبرين عنده، وأثر فيهم حديثه، فوجدوا وسيلة للهرب، وحينها استقبلهم تيطس ووعدهم أن يرسلهم إلى بلدة جفنة ووعدهم أن يمنحهم أراضي عند انتهاء الحرب، حيث استقرارهم فيما بعد هناك ليؤسسوا البذرة الأولى لليهودية المعروفة اليوم. ثم حاول تيطس بنفسه أن يقنع اليهود بالاستسلام تجنباً لتدنيس قداسة الهيكل، لكن تعنت المتمردين دفع به لكي يأمر بمهاجمة حرس الهيكل والأمر بإحراقه، وقد حاول بعض اليهود منع اقتحام الهيكل بجر الرومان إلى معارك جانبية عند

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 220-222.

² Ibid, p: 217-218.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VI, Chapitre VI, p: 764-765.

⁴ Ibid. Livre VI, Chapitre VIII, p: 766.

يذكر أن يوسيفوس يسعى للسلام لأن له أهلاً داخل أورشليم، فهو يخشى عليهم من الإبادة التي قد تلحقهم من قبل الرومان.

جبل الزيتون، وكذلك عن طريق حرق الطريق المؤدية إلى اقتحام الهيكل من جهة أنطونيا، فاحترق كثير من جنود الرومان إثر ذلك وحوصر بعضهم بالسيف¹.

لجأ الرومان حينها للتسلق لولوح الهيكل، فاشتدت مقاومة اليهود وأظهر الرومان صبرا شديدا، وبهذا استطاعوا رمي النار برواق الهيكل، وانتشرت النار في الأروقة، وصارت حركة اليهود محدودة عندها، ولم يوقف الناس سوى تيطس وجنوده ليفسحوا المجال لأنفسهم للتقدم، وحدثت معركة ضارية راح ضحيتها حتى العزل من اليهود بغض الطرف عن سنهم أو جنسهم، واندلعت نار كبيرة في الهيكل، واستطاع تيطس اقتحام المعبد بعد أن تراجع اليهود إليه، وأشعل الرومان النار في المعبد، ولم يبق في المعبد سوى رواق واحد صالح للاختباء حيث اجتمع فيه 6000 من الرجال والنساء والأطفال، وحتى ذلك الرواق ألقى فيه الرومان النيران من دون أخذ الأمر من تيطس، فاحترق بعضهم وهرب آخرون وانتشروا في المدينة².

فلما هدم جند تيطس كل أسوار أورشليم هرب اليهود إلى قصر عظيم، بناه سليمان بن داود عليهما السلام ثم زاد في بنيانه ملوك الهيكل الثاني، فقام اليهود بطلي خشبه بالنفط والكبريت والقار ليشعلوا النيران وأبقوا أحدا منهم ليستدرج الجند الرومانيين فيتم حرقهم جميعا، وكل من كان يخرج من الرومان تم قتله بالسيف، وبسبب ما حصل، قام الرومان بحرق أورشليم وحرق الهيكل وتدميره. وبعد الانتصار على اليهود وضع الرومان في الباب

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VI, Chapitre IX-XII ; Chapitre XV-XIX, p: 767-772.

² Ibid. Livre VI, Chapitre XXIII-XXIX, p: 774-778.

الشرقي للهيكل نسورهم وقدموا لهم الأضاحي، وتوسل لهم بعض اليهود من الطبقة المتوسطة من أجل حياتهم، فأخبرهم تيطس أن الأوان قد فات فأعدمهم¹.

لم تكن الخيانة وحدها المسؤول عن خسارة الحرب ضد الرومان بل الخلاف الذي شق الصف لكثرة الفرقاء الغيورين، فإن ظاهرة الفرقانية هي التي شقت صف المكابيين من قبل من خلال بروز الفريسيين والصدوقيين، وقد شقت صف الغيورين بدورهم فخسروا المعركة، ولعل تشابه الزيلوت وبقية المتمردين في قضية الغيرة مع المكابيين لم يكن كافيا، فإن المكابيين كانوا ميالين للتفاوض مع الأجنبي والتعايش معه بخلاف الزيلوت الذين رفضوا إعطاء الشعب أي فرصة للتفاوض. كما أن موازين القوى أكدت ضعف الجانب اليهودي، فكان قتال الرومان -دون خطة مسبقة بعقد تحالفات مع الخارج مثلما كان يفعل المكابيون- سقطة من المتمردين.

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 228.

الفصل الثالث:

تبعات الحرب اليهودية الرومانية (71م-135م) وعلاقة الثورة اليهودية

الثانية بالأولى

انتهت الثورة اليهودية الأولى لكن التمرد لم ينته، ولذلك فإن اجتماع السكاريين بالمسعدة ألهم اليهود فأطال عمر الفكر الغيوري إلى حدود القرن الميلادي الثاني. ومن ثم فإن يوسيفوس قبل أن يتمم كتاباته، فإنه تحدث عن الحروب المتصلة والاضطرابات، ليس في البلدان الفلسطينية فحسب بل بشمال إفريقيا كذلك، وذلك في عهد أغريبا الثاني الذي فشل في جعل الأحوال مستقرة. وحتى بعد وفاة أغريبا ويوسيفوس استمرت الاضطرابات في كل من مصر وليبيا وبلاد الرافدين، وأعيد إحياء نموذج مصغر للثورة الكبرى بفلسطين على يد سمعان بركوبا مما يشير إلى علاقة بين الثورة اليهودية الأولى والثانية.

المبحث الأول: عودة الهوس الإسخاطولوجي وحصار المسعدة.

ظهر مدعي نبوة أثناء اقتحام الرومان، وأعلن عن نبوات مؤذنة بخلاص اليهود، وتسبب ذلك في مقتل 6000 شخص، وذكر يوسيفوس أن المتمردين يستعينون بالأنبياء الكذبة ليخدعوا بهم الشعب لكي يمنعوهم من الالتحاق بالرومان، ويستغلون اسم الرب لكي يصموا آذانهم ويغلقوا أعينهم عن الأمارات الواضحة المؤذنة بانتصار الرومان، وتلك الأمارات يقصد بها يوسيفوس النبوات التي يعتقد أنها كانت مؤذنة بالمآسي التي ستحصل لليهود¹. يبدو أن الهوس الإسخاطولوجي يزداد بروزه مع ازدياد مآسي اليهود ومن ثم يتغذى مدعو النبوة على يأس اليهود من فكرة النصر، كما أن في عودة المسيحانية دليل على أن أتباع سمعان برجوريا -الذي كان زعيم المدينة والمتصدر لاقتحام الرومان- كانوا من السكاريين الذين عرفوا بالهوس الإسخاطولوجي بخلاف الزيلوت أتباع ألعاز بن سمعان الذين انحصروا داخل الهيكل.

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VI, Chapitre XXX, p: 778.

يعتمد اليهود على نبوات حمالة لأوجه، والواقع أن كثيرا من تلك النصوص مثل التي في ميخا وعاموس وارميا -والتي يبدو أنها تنبأ بمخلص إسرائيل الداودي المنتظر- ليست نبوات بل هي تصورات لمنظري ذلك العصر للحكم الرشيد أي الملك الداودي وانتقاد للوضع القائم الذي ساد فيه ظلم ملوك معينين مثل أمون ويهوياقيم وغيرهم ممن ضلوا عن صراط دين إسرائيل. ويرى رضا أصلان (Reza Aslan)¹ أن النبوات تحتوي على ثلاث صفات للمسيح المنتظر، وقد تحلى مدعو المسيحية الذين ظهروا في بداية القرن الميلادي الأول بصفة واحدة من تلك الصفات وبشكل نسبي؛ وأول صفاته هي كونه نبيا إسقاطولوجيا أي أنه سيحكم نهاية العالم (دانيا 7: 13-14 / ارميا 31: 31-34)، وهذه الصفة لم تتحقق في أي من هؤلاء، والصفة الثانية هي كونه منقذ اليهود من تسلط الأعداء والأسر (تثنية 15: 18-19 / إشعيا 49: 1-7)، وكذلك لم تتحقق هذه الصفة في أي من هؤلاء، والصفة الثالثة هي أنه سيكون مطالبا بالملك ليعيد تأسيس مملكة داود (ميخا 5: 1-5 / زكريا 9: 1-10)، وقد طالب أغلب مدعي المسيحية بالملك وزعموا أنهم سيعيدون تأسيس مملكة داود لكن أحدهم لم يتم له ذلك فعليا². ومن ثم تبطل تلك النبوات باعتبارها هوى أو حسب وصفها في سفر التثنية (18: 22) زيادة في كلام الرب وطغيان، هدف منه مدعو نبوة أو محرفو أقوالهم إلى الاعتداد بأنفسهم، والمرجح أن هناك مبالغة في فهم تلك النبوات وليس هنا موضع مناقشة ذلك.

¹ رضا أصلان (1972م): عالم دراسات دينية أمريكي من أصل إيراني وأستاذ في الكتاب الإبداعية بجامعة كاليفورنيا. له عدة مؤلفات منها *No god but God: The Origins, Evolution, and Future of Islam* و *How to Win a Cosmic War*.
“About Reza Aslan.” (n.d.). Retrieved 12 December 2020, from <http://rezaaslan.com/about/>

² Aslan. *Zealot*. Ibid, p. 50; 136.

فر يوحنا وسمعان عبر المجاري وتركوا المدينة للرومان الذين أحرقوا كل بناية يحتمل أن تكون ملجأ لكل مطارذ، وقتلوا كثيرا من المتمردين، كما أطلق الرومان سراح من سجنهم المتمردين، وقد ساعدتهم هؤلاء السجناء عن طريق الوشاية بتحديد قيادات التمرد وإعدامهم، وقام الرومان بمذبحة كبيرة في حق اليهود شملت حتى المؤمنين منهم من قبل¹. وفي حين كانوا يبحثون عن الغنائم في المنازل، وجدوا كثيرا من العائلات قد ماتت جوعا، كما عثروا على كثير من اليهود (ما يناهز 2000) إما ميتين من الجوع في الكهوف والمجاري أو مقتولين أو منتحرين، واعتبر تيطس ذلك انتصارا للآلهة على اليهود².

خرج يوحنا كوشالا وسمعان برجوريا وطلبا لقاء ومحادثة تيطس، وقدا مصحوبين بعدد كبير من اليهود الذين يحيطونهم، وكان اللقاء بالهيكل، وكان حديث تيطس معهما يحمل معاني التأنيب واللوم، ورغم أن قائدا التمرد لم يكونا في موقف للتفاوض، إلا أنهما اشترطا أن يضمن لهما ولزوجاتهما خروجا آمنا من أورشليم باتجاه الصحراء لكي يسلما أنفسهما، وذلك ما أغضبه، فأمر جنوده بجمع الغنائم وحرق المدينة، ولما رأى المتمردين أنه لم يعد هناك أمل استولوا على قصر هيرودس ونهبوا ما فيه وقتلوا من وجدهم مختبئين داخله من اليهود العزل، واختطفوا جنديين رومانيين وقتلوا أحدهما، واستمروا في خلق الفوضى³.

لم يبق أمام المتمردين سوى الاختباء في قنوات الصرف الصحي، وكانوا يخرجون بين الفينة والأخرى للمساهمة في إشعال الحرائق وقتل الناس وكذلك السرقة، وبعد أيام تم العثور على يوحنا الذي وجد في حالة مزرية من الجوع هو وإخوته. وكان الاستيلاء على

¹ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 307-303.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 232-233.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VI, Chapitre XXXIV-XXXVIII, p: 780-783.

أورشليم يوم 8 شتنبر 71م، ثم استسلم سمعان وأرشد عن أتباعه، وأجلوا عقوبته إلى حين العودة لروما. وقد حكم فيما بعد على يوحنا بالسجن المؤبد، بينما أسر سمعان وأعدم فيما بعد شنقا أمام الجماهير بروما أثناء الاحتفال بالنصر، ولم يعرف مصير العازر بن سمعان الذي كان تحت إمرة يوحنا كوشالا¹، ويبدو أنه فر ولم يعرف خبره بعد ذلك، وهذا يدل على عدم الأهمية الكبيرة لفرقة الزيلوت في الأحداث، وأن معظم الصراع أداره السكاريون.

تم إحراق بقية مدينة أورشليم وهدم أسوارها²، وذكر يوسيفوس أن جملة القتلى من الرومان واليهود في هذه الحرب الطويلة كان أكثر من مليون شخص معظمهم من اليهود، والظاهر أنه رقم مبالغ فيه، وهذا ما أشار إليه كورنيليوس طاسيتوس Tacitus (Cornelius)³، حيث قال إنهم 600000 فقط، كما تم سبي 97000، وتم إلقاء 700 شاب يافع من هؤلاء المسبيين إلى الحيوانات المفترسة⁴ في حلبات المصارعة وبيع بعضهم الآخر، وقام الرومان بحرق منازل كثيرة بأورشليم أدت إلى حرق الأرشيفات في غرفة اجتماع المجلس في الجزء المعروف باسم أركا (Arca) حيث كان يجتمع السنهدين، وبلغت النيران عوفل، وانتشرت النيران وأحرقت المنازل بسكانها. وكل من ثبت أنه لا ينتمي للمتمردين شملهم العفو وكانوا قرابة 40000.

¹ Flavius. Livre V, Chapitre XVI, p: 738 ; Livre VI, Chapitre XXXIX, p: 784 ; Livre VI, Chapitre XLVII, p: 787-788 ; Livre VII, Chapitre XVIII, p: 790

² Ibid. *Histoire des Juifs*, Tome Sixième, Livre VI, Chapitre XLVI, p : 205 ; Livre VII, Chapitre XVIII, p : 230-231.

³ كورنيليوس طاسيتوس (55-120م): من أعظم المؤرخين الرومان. شغل مناصب إدارية مهمة. فعمل قنصلا بآسيا وكان بيليني الأصغر من أصدقائه. وأرخ لأباطرة روما. ولم يبق من عمله التاريخي سوى الجزء الأصغر منه. كان يستخدم مصادره بحذر وكانت كتبه عبارة عن نقد للسلطة ورواية لمعاناة الشعب الروماني. من كتبه الحوليات وقد أورد فيها ذكر المسيح. فورست، روبرت فان. يسوع خارج العهد الجديد: مدخل إلى الأدلة القديمة، الطبعة الأولى. ترجمة: وسيم حسن عبده. دمشق: دار صفحات، 2012م. ص: 55-59.

⁴ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 312.

رفض المتمردون الاستسلام منذ البداية تحت أي ظرف، خاصة أنهم عاهدوا أنفسهم على ذلك، ولأنهم كانوا يطمحون للفرار عبر متاهة الكهوف دون أن يلاحظهم الرومان. وبينما كان الرومان يطاردون الغيورين في فلسطين، قام السكوثيون (الروس) بالهجوم في مويسيا¹، كما ثار الجرمان، ولعل ثورة الغيورين كانت ملهمة لهم وشجعتهم على ذلك، لكن ثورة الجرمان أخمدت، بينما عقد سلام مع سكوثيين. ولقد كان الغيوريون يأملون انهيار الإمبراطورية الرومانية بعد موت نيرون، خاصة بعد حملات السلتيين والغال والفرس، لكن ذلك لم يحدث، فتحطم أملهم في الانتصار². وهذا ما يؤكد اكتشاف قطعة جلد بحصن المسعدة بها سفر مزبور 82 و385³.

كانت المسعدة قلعة مبنية على سفح جبل ومحاطة بأسوار عالية، مما يصعب اقتحامها. ويقدم يوسفوس الجموع التي اجتمعت بالمسعدة بقيادة العازر بن جاير على أنهم سكارين. ويبدو من خلال تعابيره الأدبية الرنانة أنهم أشر من الزيلوت، حيث ذكر أن عقاب الله يكون شديدا حين ما يتعلق الأمر بالأشرار، وأنه لم يوفهم حقهم في وصف بشاعة جرائمهم⁴.

كان العازر بن جاير -زعيم السكارين⁵- قد فر من أورشليم بعد اغتيال قريبه مناحم على يد الكهنة الثوار إلى قلعة مسعدة، فقام بقتل حاميتها من الرومان، وقد كانت القلعة

¹ مويسيا: منطقة بالبلقان سكنها شعب الترق شعب التراقينوسط بلغاريا وصربيا الحديثين.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 154; 229-230; 235; 237-238.

³ Yadin, Yigael and Brown, S. Kent. «Masada: Herod's Fortress and the Zealots' Last Stand: A BYU Forum Address. » *Brigham Young University Studies*, Vol. 36, No. 3, 1996, pp. 15-32, p: 31-32.

⁴ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. Livre VII, Chapitre XXX-XXXI, p: 801-802.

⁵ Flavius. *Histoire des Juifs*. Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XXX, pp : 307-308 ; Tome Sixième, Livre VII, Chapitre XXX, p : 245.

مليئة بالترسانة العسكرية، وذلك مكن ألعازر من تسليح جنوده¹، ومن ثم قام بتحصينها، وقد التحق به كثير من اليهود، فكان الحصن الوحيد الذي بقي صامدا. وقد أكدت الحفريات التاريخية شخصية ألعازر بن جابر، حيث عثر على شقف أواني فخارية مكتوب عليها كنايات مثل: ذلك الذي من الوادي، والصياد، ويوآب وهو اسم قائد كان مع داود ووجدوا واحدة باسم بن جابر². وحسب اكتشافات الفريق الأركيولوجي الذي ترأسه المؤرخ كينت براون³ (Kent Brown)، تبين أن السكاريين قد صكوا نقود خاصة بهم في المسعدة، ونقشوا عليها كلمة "الحرية لصهيون" في وجهها، وفي ظهرها السنة الأولى أو الثانية حتى الخامسة، وهي عدد سنوات الثورة ضد الرومان⁴.

أرسل تيطس من أنطاكية القائد الروماني فلافيوس سيلفا⁵ (Flavius Silva) إلى السكاريين المسعدين لحصارهم، إذ كان المحاصرون قد بنوا سورا باستخدام الطين والخشب، وكان

¹ Ibid. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VII, Chapitre XXXII, p: 803.

² Yadin, Yigael and Brown, S. Kent. «Masada: Herod's Fortress and the Zealots' Last Stand: A BYU Forum Address. » Ibid, p: 31-32.

³ كينت براون (1940م): أستاذ الدراسات الكتابية بجامعة برغهام يونغ ومدير الدراسات العتيقة بالجامعة. متخصص في اللغة اليونانية والشرق الأدنى القديم والدراسات الدينية. له أبحاث في الدراسات المسيحية المبكرة ومخطوطات البحر الميت. أغلب منشوراته مقالات أكاديمية ومن كتبه *The Ostraca of the Coptic Museum in Old Cairo, Egypt*. Piscataway

“S. Kent Brown”. *Brigham Young University: Religious Education*. n.d. Retrieved 13 December 2020, from https://religion.byu.edu/kent_brown

⁴ Yadin, Yigael and Brown, S. Kent. «Masada: Herod's Fortress and the Zealots' Last Stand: A BYU Forum Address. », p: 24.

⁵ فلافيوس سيلفا: قائد روماني. أرسله تيطس لقمع التمرد بصحراء يهوذا لأنه صار إمبراطورا بعد وفاة أبيه فزاسيانوس. بعد الحصار أقام بقيصرية ثم انتقل إلى روما حيث صار قنصلا هناك. فلافوس سيلفا هو من تبني يوسفوس وأعطاه نسبه فصار مواطنا رومانيا بفضل. لا يعرف تاريخ ميلاده ولا وفاته.

Roth, Lea. “Silva, Flavius.” *Encyclopaedia Judaica*, Vol. 18, P: 583

الحل الوحيد لهدمه هو إشعال النار من قبل الرومان، وفعلا استطاعوا هدمه، ولكن التعب أنهكهم، وخيم الليل فأجلوا الاقتحام لليوم الموالي¹.

بعد أن فتح سيلفا الحصون²، رأى العازر بن جاير أن نهايتهم قد أوشكت، وأنه لا مفر من اقتحام الرومان، فخاطب اليهود مشجعا إياهم على الانتحار، فحدث من اعتبرهم الأكثر بسالة بخطته: وهي قتل كل واحد منهم لأهله على أن يبقى شخص حي ليحرق القلعة، ويثبت للأحياء أن ما سيقومون به ليس بدافع الإكراه، ولكن بدافع الكرامة وتفضيل الموت طوعا على عبودية الأسر، وحينما أحس العازر أن بعضهم لم يقتنع بكلامه، بدأ يحدثهم عن مفهوم خلود الروح، وأن في قتل أهلهم تحريرا لهم، وأنهم سيلتحقون بهم، وأنهم لن يعطوا الرومان فرصة النصر لأنهم لن يجدوا سوى جثث هامدة، ومن ثم اقتنعوا جميعا واستأنف كل جندي نحر أفراد عائلته، لكن امرأتين إحداهما من أقرباء العازر اختبأتا بصحبة أبنائهما في قناة لجر المياه، وهما من حكنا ما حصل للجنود الذين اقتحموا في أبريل 74م، وتم الإجهاز على 960 شخص داخل المسعدة بما فيهم النساء والأطفال³، وقد وجد الأركيولوجيون كمية هائلة من الذهب وآثار بقايا الطعام، مما يؤكد أنهم لم يموتوا جوعا⁴.

لكن الأمر المثير للاهتمام أن نسخة يوسفوس العبرية من تاريخ اليهود لا تنقل صورة الانتحار تلك -والتي تبدو مكروهة من قبل اليهودية الربية- وإنما تذكر خروجهم ومحاربتهم

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VII, Chapitre XXXIII, p: 804.

² Ibid. *Histoire des Juifs*, Tome Sixième, Livre VII, Chapitre XXXIII, p: 253-255.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VII, Chapitre XXXIV-XXXV, p: 809.

⁴ Yadin, Yigael and Brown, S. Kent. «Masada: Herod's Fortress and the Zealots' Last Stand: A BYU Forum Address. », p: 29.

المباشرة للرومان حتى لفظ آخرهم أنفاسه الأخيرة¹. ويمكن هنا طرح فرضيتين؛ أولهما أن اليهود لم ينتحروا، وأن قراء يوسيفوس من العبرانيين يعرفون ذلك، ولهذا السبب لم يجد بدا من إظهار الحقيقة الكاملة لهم، بينما خدع قراءه العالميين ليحمل اليهود مسؤولية قتل أنفسهم، أما الفرضية الثانية هي وقوع حادثة الانتحار والتي لا تتناسب مع الفكر اليهودي العبري، وهذا ما أشار إليه شوبيرت سبيرو² (Shubert Spero)³، ومن ثم يتضح أن يوسيفوس قد حاول نقل صورة مشرفة لليهود عن أجدادهم بالمسعدة.

فضل السكاريون الانتحار على تسليم أنفسهم لعدوهم الذي كان سيسببهم ويستعبدهم إن لم يقتلهم⁴، فكان الوقوع في أيدي العدو ليحرمهم من الموت الشريف. لكن قضية الانتحار قد عكست روح العصر المتأثر بالفلسفة الرواقية⁵، وهناك نصوص كثيرة تبين تأثر اليهود بهذه الفلسفة في هذه النقطة بالذات؛ فقد هدد اليهود من قبل بالانتحار أمام بيلاطس إذا أبقى على الرايات التي بها صوره في أورشليم، فقام بعضهم بالسقوط أرضاً وأخذوا يعرضون رقابهم ليشيروا إلى أولوية شريعتهم على حياتهم، يقول يوسيفوس: "كان

¹ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 311-314. هناك أمر آخر محير في النسخة العبرية، حيث تخلط بين ألعازر بن حنانيا وألعازر بن جاير وألعازر بن سمعان وتزعم أن الثلاثة شخصية واحدة فرت بسبب يوحنا إلى المسعدة.

² شوبيرت سبيرو (1923م): حاخام أمريكي خريج الخريفا وميسيفتا تورا. وهو دكتور في اللاهوت اليهودي. عمل أستاذا بجامعة بار إيلان. كتب *Morality, halakhah and the Jewish Tradition*.

³ Spero, Shubert. « In Defense of the Defenders of Masada. » Ibid, p: 38-40.

⁴ يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص: 321-322.

⁵ الفلسفة الرواقية: نشأ هذا المذهب في قبرص في القرن الثالث قبل الميلاد، وازدهر هذا المذهب في اليونان لعدة قرون حتى تبناه بعض فلاسفة الرومان، وهو بالأساس مذهب في فلسفة الأخلاق. كان منهجهم الانفتاح وعدم التعصب، ولا يهتمهم وجود معبد، واعتقدوا أن الله خلق الهواء ثم الماء ثم العالم، وكان وثنيين يؤمنون بتعدد الآلهة، واعتقدوا بتناسخ الأرواح وأن الروح لا تفنى بفناء الجسد وأنها ترقى صُغداً إلى السماء. وكانوا يرون أن الله والنفس عبارة عن مادة وكانوا يرون بوحدة الوجود أي أن الله مرتبط بالعالم كما ترتبط النفس بالجسد، ومن الناحية الأخلاقية كانوا يرون أن الفضيلة واجبة وأنها هي الحياة والسعادة والخير والرزيلة شر وأن الأخلاقيات فعل عقلائي وحكيم. عاشور، سيد محمد. اليهود في عصر المسيح، م، س، ص: 47؛ ستيس، ولتر. تاريخ الفلسفة اليونانية. ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد. القاهرة: دار الثقافة، 1984م، ص: 279-284.

ثباتهم وغيرتهم الملتزمة لدينهم محط إعجاب ييلاطس فأمر بإعادة تلك الرايات إلى قيصرية¹. بالإضافة إلى أن الفكر الإسخاطولوجي كان منتشرًا بين معظم اليهود في ذلك العصر، فلم يكن الانتحار من أجل القضايا اليهودية أمراً خاصاً بالسكاريين²، فقد شهدت فترة المكابيين هذه الظاهرة حيث نجد مثلاً امرأة تلقي بنفسها في النار كي لا يلمسها أحد من جنود السلوقيين (المكابيين الرابع: 17: 1)، كما نرى رجال دين ورعين ينتحرون حسب التراث الربّي³. تبقى مسألة انتحار المسعديين مثار جدال بين الربيين إلى اليوم، حيث الخلاف حول مشروعية الانتحار عامة وكونه جزءاً من الثقافة اليهودية، ويستدل الربّي شوبرت سبيرو على ذلك بفعل شاؤول، بينما يخالفه الربّي لويس رابينوفيتس (Louis Rabinowitz)⁴ مستدلاً بسفر التكوين (9: 5) وشرحه في التلمود، حيث ورد أن الرجل عليه قتل نفسه قبل أن يؤدي غيره ولا يجوز للمحاربين أن يقتل بعضهم البعض عوض الاستماتة في إنقاذ أرواح بعضهم⁵، ومن ثم فإن هناك احتمالاً كبيراً أن الحركة الثورية للقرن الميلادي الأول كانت منذ البداية وحتى النهاية فاقدة لشرعيتها الدينية والسياسية أو على الأقل نقل عنها ما يفيد ذلك.

اتصفت الجماعة المسعدية بالهوس الإسخاطولوجي الذي كان هو نفسه الحافز وراء فعل الانتحار، حيث وجد معهم جزء من سفر حزقيال 37 وأقسام من سفر التثنية 33 و34،

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVIII, Chapitre IV, p: 477. « Leur constance et de zèle si ardent pour leur religion donna tant d'admiration à Pilate, qu'il commanda qu'on reportât ces drapeaux de Jérusalem à Césarée ».

² שטרן, מנחם. "הקנאים והסיקריקים: ענפים של תנועת חרות לאומית." מ.ס, ד: 55-52.

³ Hengel. *The Zealots*, p: 262.

⁴ لويس رابينوفيتس (1906-1984م): حاخام فيلسوف ومؤرخ سكوتلاندي. ومن كتاباته *Jewish Merchant Adventurers, a Study of the Radanites*.

⁵ Spero, Shubert and Rabinowitz, Louis. «The Defenders of Masada. » *Tradition: A Journal of Orthodox Jewish Thought*, Vol. 12, No. 2, Rabbinical Council of America, FALL 1971, pp. 136-139.

وقطع من سفر المزامير 81 و85 و150 وجزء من سفر التكوين (46: 7-11)، وتؤكد هذه المكتشفات دور المحفز الديني في انتحارهم؛ إن المتأمل في تلك النصوص يتبين له أن أغلبها نصوص تنبئية، إضافة لاستخدامها في صلواتهم، فإنها كانت تبشرهم سواء بمجيء نبي مخلص مثل سفر التثنية (33) والمزامير المذكورة سلفاً، أو بإحياء الموتى كما هو الشأن في حزقيال (37)، فقد كانت تلك النصوص تبث أمل العودة في قلوب القوم داخل المسعدة¹. إن في ذلك إشارة إلى أن هؤلاء القوم لم يعرفوا عيسى ﷺ أو على الأقل لم يعتقدوا أنه هو مسيحهم المخلص بل كان ينتظرون مسيحاً آخر، ولكن الهوس الإسخاطولوجي لم يعكسه خطاب ألعازر الذي ألقاه؛ بل أدى احتواء هذا الخطاب على مضامين فلسفية، -في غياب يوسيفوس والقوات الرومانية لسماعها- إلى التشكيك في حقيقته، ولذلك يعتبر إريك هونتسمان (Eric D. Huntsman)² الخطاب مثل بقية أعمال يوسيفوس إبداعاً أو اختلاقاً أدبياً (Fiction)، ورغم أن خطاب ألعازر بن جاير يحوي آراءه التي ربما شاركها مع غيره، إلا أن الخطاب ينتمي ليوسيفوس³، وهو يتعلق بهوس يوسيفوس الإسخاطولوجي الذي يتم التطرق إليه في الباب الرابع. ورغم اعتبار يوسيفوس الزيلوت أعداء له إلا أنه لم ينكر شجاعتهم⁴، حيث أبانوا عن صبر شديد ومقاومة مستميتة للرومان. ومع ذلك، فقد خصص يوسيفوس

¹ Campbell, Edward F. Jr. « A New Book on Masada ». *The Biblical Archaeologist*, Vol. 29, No. 4, *The American Schools of Oriental Research*, December 1966, pp. 125-128, p: 127-128.

² إريك هونتسمان: أستاذ الدراسات الشرقية القديمة بجامعة بريغهام يونج. متخصص في تاريخ الرومان والعهد الجديد. كتب *The New Testament Brought to Light: Latter-day Saint Insights into Acts through Revelation*.

“Eric D. Huntsman”. *Brigham Young University: Religious Education*. n.d. Retrieved 13 December 2020, from https://religion.byu.edu/eric_huntsman

³ Huntsman, Eric D. « The Reliability of Josephus: Can He Be Trusted? » *Brigham Young University Studies*, Vol. 36, No. 3, 1996-97, pp. 392-402, p: 395-396.

⁴ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: xv.

فصلا وصف فيه انضباط الرومان ومدى أفضلية جيشهم في ذلك الوقت على بقية جيوش العالم، وهي بمثابة رسالة لكل من تسول له نفسه الثورة عليهم¹.

علاوة على ذلك، فقد ناقش باحثون قضية المرأة التي وجدها يوسيفوس والرومان مختبئة (وهناك خلاف في المصادر حول كونها امرأة أو امرأتين)، وتساءلوا عن السبب وراء نجاتها، وعدم قتلها كبقية اليهود، وبعد ظهور اكتشافات أركيولوجية حديثة، تم العثور على دليلين ربما يوضحان قصة تلك المرأة؛ والدليل الأول هو وجود صفائر شعر امرأة، في حين يوجد إشارة في سفر التثنية عن قانون يحث على قص شعر المرأة المسبية (التثنية 21: 10-14)، ولذلك اقترح أن هذه المرأة قد حدث لها ما حدث لكونها أجنبية وليست يهودية، وتم الإبقاء عليها لتتم الفترة المفروضة، لأن تلك الفترة لها علاقة بتطهير تلك المرأة من كونها وثنية في نظر الديانة اليهودية، والدليل الثاني هو وجود هيكلين عظميين اتضح أنهما قتلا، وافترض أنهما للجنديين اللذين كانا يحرسان قلعة المسعدة قبل أن يقتحمها أتباع ألعازر بن جابر، ولعل للمرأة علاقة بأحد الجنديين، خاصة أنه تم العثور على وثيقة بقلعة رومانية في شمال بريطانيا تفيد أن جنودا وضباطا رومانيين رفيعي المستوى قاموا بإحضار امرأة مقصودة الرأس خلال حملاتهم العسكرية، ولعلها كانت متزوجة من إحدى أولئك الجنود الرومانيين، فتم حبسها بشمال قلعة المسعدة أثناء الحرب اليهودية الرومانية²، ولعل في هذا دليل على صدق رواية يوسيفوس في مضمونها العام حول ما وقع في المسعدة.

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. Livre III, Chapitre VI, p: 658-560.

² Zias, Joseph and Gorski, Azriel. «Capturing a Beautiful Woman at Masada.» *Near Eastern Archaeology*, Vol. 69, No. 1, March 2006, pp. 45-48, p: 45-47.

المبحث الثاني: انتشار الفكر الغيوري في شمال أفريقيا وانفجار ثورات جديدة.

لم يعرف اليهود قبل زمن يوسيفوس حرباً مشابهة للحرب اليهودية الرومانية الأولى (66-74م) في الشراسة، وقد كتب آخرون عن هذه الحرب، وبدل أن ينقلوا الحقيقة اكتفوا بإلقاء اللوم على اليهود ومدح الرومان، وفي هذا الإطار جاء كتاب يوسيفوس حول الحرب اليهودية ضد الرومان بلسان اليونان رداً على هذه الكتابات¹، ولم يكتف يوسيفوس بالحديث عن الصراع اليهودي الروماني فقط في الشام وفلسطين بل تعدى تحقيقه بلدانا أفريقية.

إبان الحرب اليهودية الرومانية قامت مجموعة من الغيورين يناهز عددهم 600 بالفرار لمدينة الإسكندرية، وبعد أن استتب الأمر للرومان بفلسطين قامت مجموعة من الثورات في كل من الإسكندرية والقيروان، تزعم السكاريون بداياتها، ولكن ثورتهم أجهضت في مراحلها الأولى. بدأ السكاريون يؤججون الناس ضد الرومان، حاملين شعار "لا سيادة إلا لله" ومؤكدين أنهم يمتلكون نفس الشجاعة والجسارة في القتال التي يمتلكها الرومان، ولم يحاولوا إقناع اليهود بالانتقام من الرومان لما حدث بيهودا فحسب بل قاموا باغتيال بعض اليهود الموالين للرومان²، إثر ذلك قام اليهود الموالون والمخلصون للرومان بإعلام السلطات الرومانية، فاتخذت ضدهم التدابير اللازمة بإعدام بعضهم وسجن آخرين، ثم قامت بهدم معبد الإسكندرية، وبعد مدة قصيرة قام يهودي يدعى يوحنا في القيروان بثورة ثانية جمع إبانها الناس بصحراء ووعدهم بالقيام بمعجزات، فانطلقت كتائب من المشاة والفرسان إليهم

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Prologue, p: 541.

² Jackson. « Revolutionaries in the First Century. » Ibid, p: 132.

وقتل المئات منهم، وما فتئ أن هرب يوحنا إلى ليبيا وحاول تأجيج الأوضاع هناك حتى قبض عليه وأحرق حيا، وبهذا انتهت كل الفتن التي أشعلتها الثورة اليهودية الأولى إلى حين¹.

رغم أن أعمال يوسيفوس لا تعكس تأليفا تاريخيا بل عملا أدبيا تبريريا (Apologetic) يعكس أهدافا سياسية ودينية²، فإن كتب يوسيفوس ليست مجرد مصادر معاصرة للثورة اليهودية فحسب؛ بل هي مصادر لشخص ذي خلفية غيوروية شارك في الثورة اليهودية. ورغم محاولة يوسيفوس تشويه صورة الغيوريين -لتراجع عن منهجهم- إلا أنه يزود الباحثين بمعلومات هامة حول الظروف والحيثيات التي قاموا فيها باقتياد الشعب اليهودي إلى ثورة كبرى، لكن المصادر الأخرى ساعدت على كشف الأمور التي لم يكن فيها يوسيفوس صريحا، كما أن عمليات تحقيق عدد من الباحثين استطاعت تطويع كتب يوسيفوس للوصول إلى جانب كبير من حقيقة الثورة اليهودية الأولى.

في المقابل تقول هالة العوري³ إن المؤرخين: "تجاهلوا تماما مراوغة المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتاباته والتناقض البين في المعلومات التي يوردها، من كتاب لآخر بحكم الظروف المحيطة" وآثروا "الاكتفاء به كمصدر تاريخي مهم فيما يتعلق بحركتي الأسينيين والغيوريين على الناموس، دون الالتفاف إلى موقف الرجل المنحاز للسلطة الرومانية التي يدين لها بحياته ومكانته، والتي لم تبخل عليه، بدورها، منذ ارتداده والتحاقه بها، فمُنحته المواطنة وشجعت القيصر على نشر أعماله"، فهم لم يأبهوا "بالجانب المنتصر، الذي غالبا

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VII, Chapitre XXXVI-XXXVIII, p: 809-812.

² Hengel. *The Zealots*, p: 15.

³ هالة العوري: كاتبة فلسطينية ولدت بالقدس. حاصلة على ماستر في الاقتصاد السياسي من الجامعة الأمريكية في القاهرة. من مؤلفاتها فلسطين وقراءة في كتاب الكتاب والقرآن.

ما يصبغ التاريخ بصبغته، رغم أنها كانت ولا تزال حقيقة شاخصة لكل ذي عينين. ويوسيفوس نفسه أفصح عن هذه الحقيقة في مقدمات أعماله، التي يلوح فيها تورط المؤرخ وعجزه عن تفادي نتائج تورطه". ثم أضافت: "لقد كشف يوسيفوس أفضل من غيره، كشاهد عيان، مدى تفشي الخنوع خشية من بطش روما وجبروتها في كتابه الحروب اليهودية حين علق على الأعمال التاريخية المعبرة عن تلك المرحلة، بقوله: إنها تعاني من آفتين أساسيتين: مدهانة الرومان والاستخفاف باليهود (الشعب) ... حيث حل التزلف والتعسف محل التسجيل الحقيقي للتاريخ". وعلقت قائلة: "ليس هناك بالطبع ما يحول دون تأثير هاتين الآفتين على كل كتابات المرحلة المذكورة، بما فيها أعمال يوسيفوس"¹.

إن تقرب يوسيفوس من السلطة الرومانية التي حرصت على الحفاظ على سمعتها لإحكام سيطرتها على العالم قد تكون سببا في انحياز يوسيفوس للرومان في كتاباته²، فرغم أنه عاصر الحرب اليهودية فعلم معاينة حيثياتها إلا أنه لم يكن دائما يتحرى الدقة فيما يقدمه، وكان أحيانا يعرض معلومات متناقضة؛ فمثلا قد يسرد الحدث نفسه في موقعين مختلفين³.

لقد أبدى أغريبا الثاني إعجابه بكتب يوسيفوس، حيث اعتبرها بالغة الدقة، كما زوده بمعلومات وصفها أغريبا بغير المعروفة⁴، وهي على كل حال معلومات مدحية وخاصة بأغريبا، ذلك أن يوسيفوس أتم كتاب "تاريخ اليهود" في السادسة والستين من عمره وكان ذلك سنة

¹ العوري، هالة. أهل الكهف: قراءة في مخطوطات البحر الميت، الطبعة الأولى. بيروت: رياض الريس، 2000م، ص: 354-355.

² Farmer. Maccabees, Zealots, and Josephus. Ibid, p: 16.

³ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre I, Chapitre XIII, p: 570.

⁴ Seward. Jerusalem's Traitor, p: 262.

94م¹، ولم يكن قد شرع بعد في كتابة "الحرب اليهودية الرومانية" بعد، حيث كتب يوسفوس نهاية كتاب "الحرب اليهودية" بعد وفاة كل من تيطس وفسبازيانوس، ولهذا قام بمدح الغيورين معظما من شجاعتهم². كما أنه يعيب في كتاب "ضد أبيون" على بعض الأقوام كاليونانيين عدم تمسكهم بقوانينهم وتركهم لها حينما يحل بهم الاحتلال وتسلط عليهم الأمم الأخرى، وفي نفس الوقت يفتخر بجلد اليهود وصبرهم على شتى أنواع الأذى؛ بما في ذلك الموت في سبيل عدم مناقضة قولهم أو فعلهم للناموس³.

اعتمد يوسفوس على مصادر منحازة لصالح الرومان مثل؛ نيكولاس الدمشقي⁴ (Nicholas of Damascus) الوزير الخاص بهيرودس، وقد كان خصما لكل الفرق القومية، خاصة أنه ينتمي لعائلة صدوقيين، ولهذا تم تقليص دور الشعب اليهودي والتضخيم من دور الغيورين بوصفهم مستقلين عن الشعب ومسؤولين عن الدمار الذي لحق بأورشليم ليأخذ شرهم لونا أكثر سوادا⁵. ومع أنه قام بتحميل بعض المسؤولية للرومان إلا أنه حاول قدر المستطاع تبرئتهم من خلال إبراز اضطراهم لخوض الحرب اليهودية، وتعاطف تيطس مع اليهود المغلوب على أمرهم، بسبب سيطرة الغيورين، وكذلك إتاحتها كثيرا من الفرص للزبوت والسكرارين كي يستسلموا⁶.

¹ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XX, Chapitre IX, p: 540.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 265.

³ فلافيوس. آثار اليهود القديمة: محاوره ضد أبيون، م.س، ص: 232-234.

⁴ نيكولاس الدمشقي (64 ق.م): مؤرخ يوناني وفيلسوف ورجل دولة. كان يخدم أنطونيوس وكنيوباترا باعتباره أستاذ أولادهم. ثم عمل في بلاط هيرودس، ثم عاد إلى روما. اعتمد عليه يوسفوس كثيرا لكتابة تاريخ اليهود. من أشهر كتبه *Historia Universalis*.

Stern, Menahem. "Nicholas of Damascus." *Encyclopaedia Judaica*, Vol. 15, p: 251-252.

⁵ Applebaum. « The Zealots: The Case for Revaluation », p: 157; Huntsman. « The Reliability of Josephus: Can He Be Trusted? » Ibid, p : 397-398.

⁶ Farmer. *Maccabees, Zealots, and Josephus*, p: 15.

في كتاب "ضد أبيون" وأثناء رد يوسيفوس على قوله إن اليهود كانوا ينصبون التماثيل للأباطرة، ذكر أن الرومان غير متعصبين ويسمحون لليهود باحترام قوانينهم المقدسة التي تحرم عليهم تصوير الكائنات الحية، فلم يكونوا يجبرون اليهود على تبجيلهم إلا في إطار ما هو متاح في شريعة اليهود من تقديم أضحى في سياق تكريم الرومان، ورفع الصلوات من أجلهم ولأسرهم الملكية¹. لقد كان اليهود الوحيدين المستثنين من عبادة الإمبراطور، وهو أمر كانت تفرضه روما على كل الأقوام الذين تخضعهم لإمبراطوريتها، ولم يكن يطلب سوى الدعاء للإمبراطور بالصحة وتقديم ثور وخروفين مرتين يومياً².

طبقاً ليوسيفوس فإن وجهة النظر الوحيدة التي لدينا هي أن الثورات كانت قد استلهمت حراكها من النبوة التي بشرت بأن هناك شخصاً من بلد اليهود سيحكم العالم³، ولعل صاحب النبوة هو دانيال، وإن لم يفصح يوسيفوس عن ذلك، ولتبني وجهة النظر الوحيدة هذه، فإنه ينبغي غض النظر عن أن تكون جميع الثورات بدافع مسيحاني، ولكن كثيراً منها؛ خاصة تلك التي اندلعت بعد موت هيرودوس الكبير، لم تكن لها أي دلالة مسيحانية، فقد كانت لكثير من الثوار أهداف سياسية محضة، ووحدها الاضطرابات التي على شاکلة الحرب اليهودية الأولى يمكن اعتبارها مسيحانية، حيث اشتملت على خصائص رئيسية لفرقة فريضة مثل السكاريين أو لأنها مرتبطة بوضوح بالحراك الغيور الكبير لمنتصف القرن الأول، ولعل اليهود نظراً لرفضهم لعيسى ﷺ مسيحا قد دفعوا ثمننا باهظاً لكونهم رفضوا كل ما يتعلق بالسلام، واختاروا أملاً من نوع آخر. لقد سقط اليهود ضحية لتعصبهم المستفحل الذي تولد

¹ فلافيوس. آثار اليهود القديمة: محاورة ضد أبيون، ص: 172؛ 218.

² Aslan. *Zealot*, p. 34.

³ Josephus. *The Jewish War*. Ibid, Book V, Chapter 1, para. 4, p: 466-467.

عن إيمان بمملكة قادمة أو ملك، كما أن محاولة السكاريين تسريع مجيء الرب يمكن النظر إليه بوصفه أملاً عديم الفائدة من أجل تحقيق هدف قومي حالي يتمثل في تأسيس مؤسسات اجتماعية جديدة¹.

لهذا السبب فضل بعض المسيحيين أتباع عيسى ﷺ الهروب إلى بيل² عبر الأردن في سورية، وذلك قبل اندلاع الثورة، فتركوا يهوذا بعد أن رأوا حتمية دمارها الكلي. وكانت بيل محافظة رومانية عاصمتها إيديسا³ التي يحكي يوسابيوس أنها أول مدينة تتحول إلى المسيحية. لكن يوسابيوس يناقض نفسه حينما يحكي أن كنيسة أورشليم أعادت تشكيل نفسها بقيادة سمعان بن كليوباس (يوحنا 19: 25/لوقا 24: 18) الذي يعتبر من إخوة عيسى من أمه بعد زواجها من كليوباس شقيق يوسف النجار⁴. ولهذا السبب، فمن المحتمل أن المسيحيين انقسموا إلى فريقين، قسم منهم هاجر إلى بيل والثاني بقي بأورشليم. وهذا القسم الذي ظل هناك وقف إل جانب اليهود ضد الاقتحام الروماني للمدينة. لقد استمع فريق من المسيحيين إلى نصيحة عيسى حول انتظار عودته المرتقبة، والتي لن تخرج عن حدوثها في إحدى مدن إسرائيل⁵، حيث قال ﷺ (متى 10: 23): ["وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الْأُخْرَى. فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَكْمَلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الْإِنْسَانِ"]، ولعل

¹ Mathews, Shailer. « The Social Teaching of Paul. II. The Social Content of Messianism in New Testament Times ». *The Biblical World*, Vol. 19, No. 2, February 1902, pp. 113-121, p: 116; 120-121.

² بيل: خربة طبقة فحل حالياً، وقد كانت "بيل" Pella مدينة بشرق الأردن تقع في شمال Perea بيريه وتبعد 96 كلمتر من أورشليم وكانت تحت سلطة هيرودس أغريبيا الثاني. ينظر: القيصري، يوسابيوس. *تاريخ الكنيسة*، الطبعة الثالثة. ترجمة: مرقس داود. القاهرة: مكتبة المحبة، 1997م. الكتاب الثالث، فصل 5، فقرة 3، ص: 100.

³ إيديسا: تسمى اليوم أورفة وهي تقع في أقصى الجنوب التركي.

⁴ القيصري، يوسابيوس. *تاريخ الكنيسة*، م.س، الكتاب الثالث، الفصل 11، الفقرتان 1-2، ص: 115.

⁵ Aslan. *Zealot*, p. 201.

غموض هذا النص وعدم وضوحه قد خلق صراعا بين طائفتين؛ واحدة ارتأت الرحيل وأخرى فضلت البقاء حسب موقفهم من الثورة ضد الرومان، ولعل كلتا الطائفتين آمنتا برسالة المسيح لكن بعضهم فهم منها ما يوجب عليه الدفاع عن إسرائيل ولو بالسيف، ومنهم من رأى أن الهروب من أجل حفظ الإيمان أولى وأسلم.

مع ذلك قامت ثورات يهودية ذات صبغة غيورية تجاوزت الحدود الفلسطينية، فقد حدثت اضطرابات في كل من الإسكندرية وبرقة الليبية ابتداء من سنة 115م، ولا يوجد معلومات كافية عنها سوى أنه تم قمعها من طرف الرومان، وكان أبرز ما وصلنا من تلك الثورات ما قام به يهودي اسمه لوكواس ادعى أنه ملك من سلالة داود. اندلعت فتنة بين اليهود واليونانيين في كل من القيروان والإسكندرية في فترة حكم الإمبراطور ماركوس تراجان¹ (Trajan Marcus). فأرسل الإمبراطور القائد ماركيوس توربو² (Marcius Turbo) لتلك المناطق فأخمد الحراك بعد حرب طويلة وقتل عدة آلاف من اليهود في كل من مصر وليبيا.

يقول يوسابيوس القيصري: "بعد ذكر انتعاش الكنيسة الأرثوذكسية: لأنهم (أي اليهود) في الاسكندرية وفي سائر أرجاء مصر، وأيضا في القيروان، اندفعوا بروح المشاغبة وثاروا على مواطنهم اليونانيين. اشتدت الفتنة جدا حتى انقلبت إلى حرب خطيرة في السنة التالية، إذ كان لوبوس واليا على مصر. وحدث الهجوم الأول أنهم انتصروا على اليونانيين الذين كانوا

¹ ماركوس تراجان (53 – 117م): إمبراطور روما (98-117م). ضم أراضي جديدة للإمبراطورية أمام انسحاب البارثيين. أجبرته الثورات اليهودية على إيقاف حملته التوسعية.

Herr, Moshe David. "Trajan (Traianus), Marcus Ulpius." *Encyclopaedia Judaica*, Vol. 20, p: 90.

² ماركيوس توربو (القرن الثاني الميلادي): قائد عسكري تحت قيادة تراجان وهادريان. قمع تمرد اليهود في القيروان. وأرسله هادريان إلى موريتانيا لتهدة الاضطرابات هناك ونصبه هذا الإمبراطور قائدا للحرس الإمبراطوري.

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology. Ibid, Vol 3, p: 1191.

قد هربوا إلى الاسكندرية وسجنوا، وقتلوا اليهود الموجودين في المدينة. ولكن يهود القبروان، بالرغم من حرمانهم من مساعدتهم، استمروا في نهب أرض مصر، وتخريب أقاليمها تحت قيادة لوكواس. أما الامبراطور فأرسل إليهم ماركيوس توربو بقوات برية وبحرية وخيالة. فأشهر عليهم الحرب مدة طويلة، وحارب في عدة مواقع، وقتل آلافا كثيرة، ليس فقط من يهود القبروان، بل أيضا ممن استوطنوا مصر وأتوا لمساعدة ملكهم لوكواس¹.

إن الرومان يعلمون أن الثورة اليهودية الأولى قد أدت إلى حدوث اضطرابات خارج حدودها، وبما أنهم على دراية بالتاريخ، إذ حاول ما أمكن الاستفادة من الأحداث السابقة، فإن تراجان قام بخطوة استباقية قبل أن ينتقم اليهود من الوثنيين الموجودين ببلاد الرافدين، فقام بإرسال القائد لوسيتوس كويتوس² (Lusius Quietus) وأمره بسحق اليهود، وفعلا تمكن من قتل عدد كبير منهم هناك، حيث يقول يوسابيوس: "ولكن الإمبراطور، إذ خشي لئلا يهجم ما بين النهرين على سكان تلك المملكة، أمر لوسيوس كويتوس ليظهر ذلك الإقليم منهم، فتقدم نحوهم وقتل عددا كبيرا جدا ممن استوطنوا هناك. ونتيجة لنجاحه أقامه الإمبراطور واليا على اليهودية"³.

لقد كان اليهود يثورون في كل بلد حلوا به، لأن معاملتهم ساءت أكثر بعد ثورتهم الكبرى ضد روما. ورغم التضيق عليهم في كل مكان أعادوا التشكل من جديد وفجروا ثورة ثانية،

¹ القيصري. تاريخ الكنيسة، م.س، الكتاب الرابع، الفصل الثاني، الفقرات 1-5، ص: 150.

² لوسيتوس كويتوس (القرن الثاني الميلادي): قائد روماني من أصل مغربي. كان قائد حملة تراجان على البارثيين. أخضع اليهود هناك الذين كانوا معادين لروما. بعد أن سحق اليهود بالرافدين صار واليا على يهوذا سنة 117م. تم إعدامه في عهد هادريان لمشاركته في مؤامرة ضد الإمبراطور.

Rappaport, Uriel. "Quietus, Lusius." *Encyclopaedia Judaica*, Vol. 16, p : 766-767.

³ القيصري. تاريخ الكنيسة، الكتاب الرابع، الفصل الثاني، فقرات 1-5، ص: 150.

ولهذا فليس من المستبعد وجود خيط ناظم بين الثورة اليهودية الكبرى والثورة الثانية بقيادة بركوبا.

المبحث الثالث: ثورة بركوبا (132- 135 م) وعلاقتها بثورة اليهود الأولى ضد الرومان.

تعتبر المعلومات التي توفرها النصوص التاريخية حول ثورة القرن الثاني الميلادي شحيحة، وهي تعتبر ثاني ثورة يهودية ضد الإمبراطورية الرومانية، ورغم محاولة باحثين التأكد من الرابط بين الثورتين الأولى والثانية، فإنهم لم يقدموا أدلة مقنعة عن علاقة الزيلوت أو السكاريين بأتباع بركوبا أو غيره من متمردي مطلع القرن الثاني، كما أن علاقة المسيحية بهذا الحراك الثاني تبدو أيضا أضعف نقطة يمكن إثباتها. وعلى العموم فإن أكثر ما يربط السكاريين بهذه الثورة هو الهوس الإسخاطولوجي.

يعتبر "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصري أقدم مصدر موجود يؤرخ للثورة اليهودية الثانية، وقد ذكر أن دافع الثورة كان الرغبة في الخلاص من نير احتلال الإمبراطورية الرومانية، وهو ما اعتبره الرومان والمسيحيون وفقا ليوسابيوس "حماقة وانتحارا"، ولم يكن للرومان دور في إشعال الفتنة، كما أن مرسوم بناء معبد إيليا الذي رجح البعض أنه مفجر للثورة حدث بعد الثورة وليس قبلها، وقد كان تغيير اسم أورشليم وبناء معبد كابيتولا رد فعل لما بعد الثورة وعقوبة لليهود على تمردهم¹.

¹ Mantel, Hugo. «The Causes of the Bar Kokba Revolt (Continued).» *The Jewish Quarterly Review*, Vol. 58, No. 4 April 1968, pp. 274-296, p: 278; Mantel, Hugo. «The Causes of the Bar Kokba Revolt.» *The Jewish Quarterly Review*, Vol. 58, No. 3 January 1968, pp. 224-242, p: 230-231.

يعرف عن هادريان (Hadrianus)¹ إمبراطور الرومان في تلك الفترة نزوعه للسلم، ويتفق المؤرخون أنه لم يشعل فتيل حرب بإرادة منه، وكان له فهم ودراية لمختلف الطوائف والأمم في ربوع الإمبراطورية. ولكن المؤرخين اختلفوا في قضية ازدرائه أديان الشرق، والمرجح عند هيوغو مانتل (Hugo Mantel) أن الأمر لم يكن كذلك، فلا يوجد أسباب واضحة لاندلاع الثورة اليهودية الثانية سنة 132م، لكن يبدو من خلال قرارات الإمبراطور الروماني هادريان أن السبب الرئيسي هو الاضطهاد الديني حيث فرض هادريان الثقافة الهيلينية على مقاطعة اليهودية، واعتزم بناء معبد وثني روماني مكان الهيكل سنة 130م، وكان هناك معبد آخر للإله جوبيتير سنة 90م بأورشليم، كما أصدر قرارا بمنع الختان. ولكن مانتل يرى أن السبب لم يكن الاضطهاد، حيث يقول: "إن السبب وراء تمرد بركوبا، إذن، لم يكن مرسوم أو مراسيم هادريان كبناء المدينة الأجنبية (يقصد إيليا كابيتولينا) والهيكل أو الظروف والوصايا الدينية، لقد كانت رغبة اليهود في الحرية والخلص".²

كان من المقرر حسب المدراس أن يعيد الإمبراطور هادريان بناء الهيكل، وبتراجعه عن ذلك -بسبب توصية السامريين³- خيب آمال اليهود، لكن هذه الحادثة مختلف حول تاريخيتها؛ بل يرى البعض أن أملهم خاب لأنه حرر بلاد ما بعد نهر الفرات ولم يحرر فلسطين

¹ هدرينس (117-138م): إمبراطور روماني خلف ترائانس. من أعماله تشجيع الصناعة والأدب وتحسين الإمبراطورية ضد البرابرة في جرمانيا وإنجلترا. أرخ باسمه الكثير من الآثار الرومانية بالشرق. المنجد في الأعلام، ص: 588.

² Mantel, Hugo. "The Causes of the Bar Kokba Revolt (Continued)." Ibid, p: 278.

³ Ibid. «The Causes of the Bar Kokba Revolt. » Ibid, 225-229.

من نير إمبراطوريته. وتحتوي كتابات التنايم¹ وكذلك الكتب المنحولة مثل رؤيا باروخ وكتاب عزرا الرابع على تنبؤات بخصوص عهد هادريان، إذ اعتقد أن عهده عهد مسيحاني².

لكن ديو كاسيوس³ (Dio Cassius) المؤرخ الروماني اعتبر سببا آخرًا مباشرًا للثورة اليهودية الثانية، وهو بناء هادريان لمعبد جوبيتر⁴ في موقع الهيكل. يقول ديو: "ذلك أن اليهود اعتبروا استيطان أعراق أجنبية وتسلسل طقوس دينية أجنبية إلى مدينتهم أمرا لا يطاق"⁵. وهذا الأمر تؤيده الشريعة اليهودية حيث ورد في سفر التثنية (6:15): [يُبَارِكُكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ كَمَا قَالَ لَكَ. فَتُقْرِضُ أُمَّمًا كَثِيرَةً وَأَنْتَ لَا تَقْتَرِضُ، وَتَتَسَلَّطُ عَلَى أُمَّمٍ كَثِيرَةٍ وَهُمْ عَلَيْكَ لَا يَتَسَلَّطُونَ].

كان هادريان في سنة 131م يتردد بين مصر وسوريا اللتان ظلتا مستقرتين، فقام اليهود بتخزين أسلحة ذات جودة رديئة، وادعو أنهم يضعونها للزينة، وما إن ابتعد هادريان بعيدا عن فلسطين حتى اندلعت ثورة مفتوحة، وقد كان اليهود ينفجون طريقة حرب العصابات،

¹ **تنايم**: علماء الشريعة اليهودية المشنا ومستنبطو أحكامها. دونوا التراث اليهودي الشفوي (التلمود) في الفترة الزمنية بين سنة 20م إلى غاية سنة 200م وقد ضموا المدرستين شمالي واهليل وتمر ببوحنان بن زكاي وعقيبا بن يوسف وصولا إلى يهوذا الناسي الذي جمع التلمود. ويبدو أن المتأخرين منهم وخاصة من جاء بعد عقيبا بن يوسف كان لهم آراء تنقيحية أدت إلى تناقض أحكام التلمود بخصوص نظرتهم للمحتل الأجنبي.

Sperber, Daniel. "Tanna, Tannaim". *Encyclopaedia Judaica*. Vol. 19, Ibid, p: 505-506.

² Mantel. «The Causes of the Bar Kokba Revolt (Continued). » p: 274-277; «The Causes of the Bar Kokba Revolt. » p: 225; 229.

³ **ديو كاسيوس** (160-230م): مؤلف التاريخ الروماني باللغة اليونانية. وهو يصور اليهود بوصفهم غيورين مستعدين للتضحية بأنفسهم من أجل الدين. نقل أحداث الثورة اليهودية الأولى والثانية وصور هذه الأخيرة كأنها حرب عالمية حيث تجند اليهود ضد الرومان في ليبيا وبلا الرافدين وقبرص وفلسطين. وقد أعجب بجلدهم من أجل تحقيق الممارسة الحربية لطقوسهم.

Rappaport, Solomon. "Dio Cassius". *Encyclopaedia Judaica*. Vol. 5, Ibid, p: 672-673.

⁴ **الإله جوبيتر**: إله السماء الصافية وهو إله روماني يتصف بالصمود والقوة في الحرب. عكاشة، علي والناطور، شحادة وبيضون، جميل. **اليونان والرومان**، الطبعة الأولى. أريد: دار الأمل، 1991م، ص: 232.

⁵ Dios, Cassius. *Dio's Roman History*, eds. E. Capps, T.E. Page, and W. H. D. Rouse. Trans. Earnest Cary. Herbert Baldwin Forster's version. London: William Heinemann, 1925, Vol. VIII, Epitome of Book LXIX, 12-13, p: 447.

فيهمجون على الرومان في السر أحيانا والعلانية أحيانا أخرى. يذكر ديو أنه قد انضمت لليهود أمم أخرى حرصا منهم على الانتصار، وأن المرء كاد ليقول إن الأرض كلها ثارت من أجل قضيتهم¹.

قامت هذه الثورة بقيادة سمعان بركوبا، وكلمة بركوبا أو بركوخبا عبارة آرامية تعني ابن النجم ولها دلالة مسيحانية، ولعل الاسم أطلقه الحاخام عقيبا بن يوسف² عليه باعتباره المسيح، ويبدو من اسم بركوبا أنه كان مرتبطا بنبوة في سفر العدد (24؛ 17): «يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ.»، ومن ثم فقد يكون من سلالة داود أيضا، كما أن لقب ابن النجم يقصد به المسيح المنتظر.

اكتشفت مجموعة من الرسائل المتعلقة بثورة بركوبا، بكهف وادي القلط³ بأورشليم، ولذلك سميت رسائل الكهف، ومن المرجح أن هذه الرسائل كتبت بين خريف 134 و135م، ونقش في إحداها على عمود خشب: "شمعون بار كوسيبا أمير إسرائيل ليوحناثان ولمصبالا سلام". وكلمة أمير هنا بالعبرية هي "ناسي". وتعتبر هذه الرسالة الوحيد ضمن الخمس عشرة التي تذكر اسم بركوبا كاملا، وإملاء الاسم هنا يختلف عن الإملاء المنقوش بالقطع النقدية، وفي الرسائل الأخرى يرد حرف الشين بدل "سامخ" أحيانا فيقرأ باركوشيبا، ويقرأ اسمه عدة قراءات، لكن باركوسبا هو الاسم الوارد في رسائل المربعات، ومن ذلك يتبين أن الأسماء

¹ Ibid, p: 477-448.

² عقيبا بن يوسف (50-135م): أحد أهم حاخامات التنايم، وعالم زمانه ويعتبره اليهود شهيدا. تم سجنه من قبل الرومان ثم إعدامه لدعمه لثورة بركوبا.

Freedman, Harry and Wald, Stephen G. "Akiva." *Encyclopaedia Judaica*. Vol. 1, Ibid, p: 562-563; *The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash*. Eds. Hayim Nahman Bialik et al. Trans. William Braude. New York: Schocken Books, 1992, Part II, Chapter 1, 180, p: 240.

³ وادي القلط: بالعبرية "נחל חבאר" נחל חבאר ويقع بين أريحا والقدس على بعد 45 كلمترا.

المذكورة في الأدب الربى وهى كوزىبا وكوزبا وأىضا كوخبا فى الأدب المسيحى ما هى إلا كناية عن مدح أو ذم لشخصه.

وجدت رسالة فى عمود آخر ورد فيها: "فى شباط السنة الثانية لتحرير إسرائيل على يد سمعان بن كوسىبا أمير إسرائيل. فى المعسكر الذى فى الهيرودين، قال يهودا بن رباح لهليلي ابن جاريس ..."¹، ومن ثم يتبين أن مقر باركوخبا كان هو جبل الفريديس الذى يقع شرقى مدينة بيت لحم والذى يشرف على مدينة القدس، والذى بناه هيروُدس الكبير وبنى حوله مدينة أطلق عليها اسم هيروديا.

لكن بعض الأخبار اليهود فى الهكادا أطلقوا عليه اسم "باركزىبا" أى ابن الكذب، مما يعكس الموقف المعادى لليهودية الربية منه². وإن كان بركوبا يعتبر رمزا للبطولة فى الكتابات الصهيونية، مع أن تمرده كان تهورا وانتحارا لأن موازين القوى آنذاك تضعف أى احتمال للانتصار على المحتل الرومانى، خاصة بعد كارثة سنة 74م، وقد استمرت ثورته ثلاث سنوات³.

قاد سمعان بركوبا (132م-135م) التمرد مسترشدا بالربى العازر بن شمواع⁴ ودعّمه الربى عقىبا بن يوسف، وقد قام بركوبا بحملة سلّح فيها جيشه عن طريق اليهود الذين كانوا

¹ Yadin, Y. « Expedition D. » *Israel Exploration Journal*, Vol. 11, No. 1/2, 1960 (1961), pp. 36-52, p: 36-42; 50-51.

² *The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash*. Ibid, Part I, Chapter 10, 8, p: 194.

³ منى. مقدمة فى تاريخ فلسطين القديم، ص: 176.

⁴ الربى العازر بن شمواع: من مؤلفى التلمود ومن حاخاماته وكان معلم يهوذا الناسى. وكان من قيادات ثورة بركوبا. ويعتبره الربيون شهيد عهد هادريان.

Safrai, Shmuel. "Eleazer Ben Shammua." *Encyclopaedia Judaica*. Vol. 6, p: 307.

يعملون في صناعة السلاح، وتجهيز أسلحة غير ذات جودة بالنسبة للرومان، فكانوا بدل رميها يمررونها للثوار، كما كانوا يبنون الأنفاق التي استخدموها للمباغلة في الهجوم، وباشتباك بركوبا مع الرومان حرر خمسين قرية ومدينة، واستولى على أورشليم وجنوب يهوذا، ونجحت الثورة وسيطر الثوار على أورشليم مدة عامين أو ثلاثة أعوام، إلا أن المتمردين شكوا في ولاء ألعازر الكاهن، فاغتالوه حسب المدراس¹.

أرسل هادريان سنة 132م أفضل قواده وهو يوليوس سيفيروس (Julius Severus)² لمحاربة باركوبا، لكنه لم يرد المغامرة برجاله إدراجهم في حروب مفتوحة نظرا لعدد اليهود الكبير وتهورهم، فقام باستغلال عدد جنده الكبير لقطع الطريق أمام مجموعات صغيرة منهم وتجويعهم، وببطء قام بإرهاق قواهم وسحقهم، وقد نجى القليل منهم، فخرب خمسين من أهم قواعهم وقام بهدم 985 قرية، وقام بذبح 8500 رجل، حتى أن عددا كبيرا من جنود الرومان هلكوا، وبعضهم مات من الجوع والأمراض، وهجرت قوات سيفيروس يهوذا وهدمت ضريح سليمان³.

قدم الرومان بقوة بقيادة هادريان بعد أن أسقطوا مدنا كثيرة، وحاصروا قلعة بيتار في الجبال الواقعة بين البحر وأورشليم، وأسقطوها سنة 135م، وقتل بركوبا ورفاقه أثناء

¹ The Book of Lengends: Sefer Ha-Aggadah, Part I, Chapter 10, 8, p: 194.

² يوليوس سيفيروس (القرن الميلادي الثاني): قائد روماني. جاء من بريطانيا، حيث كان حاكما هناك، بعد أن فشل ولاية سوريا ويهوذا في قمع ثورة بركوبا. حسب ديو تجنب يوليوس الحروب الضارية وألزم المتمردين بالدخول في حروب دفاعية. وكان يستنزف قواهم بالهجوم على القلاع فقتل نصف مليون شخص. منح تركيما خاصة بعد أن انتصر.

Roth, Lea. "Julius Severus". *Encyclopaedia Judaica*. Vol. 11, p: 575.

³ Dios. *Dio's Roman History*. Vol. VIII Epitome of Book LXIX, 12-13, p: 449.

المعركة وتم القبض على عقبيا¹. ومنذ ذلك الحين حرمت أورشليم على اليهود الذين طردوا منها، وصار اسمها إيليا كابيتولينا وهو الاسم العائلي لهادريان².

إن بعض المكتشفات الأركيولوجية والوثائق تشكك في هذه التواريخ التي وردت في كتاب تاريخ الرومان لديو كاسيوس، فأرض المعركة تآكلت بالسيف قبل سنة 130م، وهناك وثيقة رسمية وإشارات تاريخية تبين أن الفيالق الرومانية بفلسطين كانوا يتواصلون مع مصر لاستقدام الدعم العسكري واللوجستي. وحسب مانتل فإن الحسابات تشير إلى أن الحرب كانت محتدمة سنة 125م³، مما قد يرجح أن سيطرة اليهود على يهوذا دامت أزيد من عشر سنوات.

بعد انتصار الرومان، منحت فلسطين حكما ذاتيا، وتم إقرار حرية العقيدة والشعائر، ويبدو من ذلك أن الرومان حاولوا تجنب سيلان دماء رومانية جديدة⁴، لكنهم مع ذلك بنو معبدا للإله جوبيتر، وتفيد بعض المصادر أن اليهود منعوا من دخول أورشليم نهائيا بقرار إمبراطوري، إلا أن مصادر أخرى تفيد أن اليهود بقوا فيها فترة قصيرة⁵، وهناك أدلة من التلمود وقصاصات مراسلات اليهود تؤكد أنهم كانوا يحجون بعد ثورة بركوبا لأورشليم واستقروا بها كذلك، فإن المرسوم الذي أصدره هاديان كان محليا وليس رسميا، ومن الأدلة

¹ Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 258-259.

² منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 176؛ القيصري. تاريخ الكنيسة، الكتاب 4 الفصل 6، ص: 154.

³ Mantel. «The Causes of the Bar Kokba Revolt. », p: 237-239.

⁴ القيصري. تاريخ الكنيسة، الكتاب الرابع، الفصل الثاني، فقرات 1-5؛ ص: 150؛ الفصل السادس، الفقرة 2، ص: 154.

⁵ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 178.

على ذلك ما ورد في كتب المسيحيين التاريخية في عهد الدولة البيزنطية، ثم بعد ذلك ما ورد في المصادر الإسلامية حول الفتح الإسلامي ووجود يهود معاهدين بالقدس¹.

تطرح الثورة اليهودية الثانية مجموعة من التساؤلات حول دوافعها وأهدافها، فلا يستبعد وجود خيط ناظم بين كل هذه الثورات منذ سنة 115م، ومدى ارتباطها بفكر الغيرة، فلقد شارك في حرب بركوبا يونانيون متهودون دلت على ذلك أسماؤهم غير التوراتية، مما ينفي الرأي القائل إن ثورته كانت ذات صبغة قومية²، ويؤكد ذلك ما ورد في إحدى رسائل الكهف من أسماء مثل ثيريس بارتينيانوس الذي يطلب بركوبا من يوناثان بن ريعام إحضاره لحاجته به، ويبدو ثيريس هذا أمميا كان يتعاون مع اليهود أثناء الحرب، وهو شخص لم يذكر في أي مصدر آخر³. وتحتوي نصوص أخرى على أمر بتسليم حمولة حنطة وسجين مع توعده بالعقوبة لكل من يوحناثان ومصبالا في حالة عدم تنفيذ الأمر.

لكن المثير للاهتمام أن الجليليين المعروفين بميولهم إلى التمرد⁴ لم يشاركوا في هذه الثورة، ويمكن اعتبار مشاركة أمميين في الحرب دليل على عدم وجود علاقة بين حراك البركوبيين والغيوريين، خاصة أن أقوى دليل يدعم تلك العلاقة هو مجرد وصف بركوبا

¹ Ben-Zion Luria and Luria, "Did Jews Make Pilgrimages to Jerusalem and Did They Settle There after the Bar Kokhba Rebellion?" / "האם עלו יהודים לירושלים לאחר מרד בר-כוכבא וישבו בה?" / *Beit Mikra: Journal for the Study of the Bible and Its World* / יט, no. 1974, (נח), כתב-עת לחקר המקרא ועולמו, pp. 309–336, p: 334-336.

² منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 178.

³ Yadin, Y. « Expedition D. » Ibid, p: 36-42, p: 46.

⁴ Aslan. *Zealot*, p: 99.

باللص من قبل يوسابيوس¹، ومع ذلك يفترض سيوارد أن بركوبا هو أحد أحفاد يهوذا الجليلي².

من الواضح تأثير الثقافة الحشمونية على ثورة بركوبا حيث إن كلاهما استخدم الليمون وجريد النخل رموزا لعودة الاعتكاف بالهيكل بعد نصرهم، وهذه الرموز تزخرف عملة بركوبا النقدية. كما نقشت صورة جريد النخل مع عنقود تمر يرمز لأرض إسرائيل على عملة الحشمونيين وعملة بركوبا. إضافة إلى أن شجرة الكرمة ترمز لشعب إسرائيل وحكمائهم والسندرين وأورشليم والتوراة، وقد زينت هي الأخرى عملة كل من الحشمونيين وبركوبا، ويعد الإبريق الزيت رمزا لمعجزة الحنوكة، ويظهر هذا الشعار على عملات الثورة الأولى والثورة الثانية. كما أضاف بركوبا صورة للهيكل وبواباته، وكذلك أضاف صور قيثار وبوقين، وكل هذه ترمز للأمل في إعادة بناء الهيكل. وهذه النقوش ترسم صورة حول هوية الحراك الثوري الثاني لبركوبا، بينما نقش الحشمونيون على عملاتهم عبارة "الخلاص لصهيون"؛ والخلاص يمثل الحرية وصهيون تمثل الهيكل وأورشليم، وبنفس الطريقة نقشت عملات بركوبا حيث وجد بها عبارة أورشليم المقدسة وعبارة الحرية لصهيون التي وجدوا مثيلتها في أنقاض ثورة ألعازر بن جابر. وهذه المفاهيم هي نفس مبادئ الغيوريين حسب يوسيفوس³. ومع ذلك فإن آخر الحفريات ببيت زور (Beth-Zur) بجبال الخليل كشفت أنه لا وجود لعملة تؤرخ لفترة حكم هركانوس، مما دل أن العملات التي تنسب لسمعان المكابي

¹ القيصري. تاريخ الكنيسة، الكتاب الرابع، الفصل السادس، الفقرة 2، ص: 154.

² Seward. *Jerusalem's Traitor*, p: 258.

³ Mantel. «The Causes of the Bar Kokba Revolt (Continued). » Ibid, p: 279-280.

غالباً ما تعود لفترة الحرب اليهودية 66-77م¹، ويرى البعض أن رفع سعوف النخل في الهواء يعتبر تخليداً لذكرى البطولات المكابية في تحرير إسرائيل من الحكم الأجنبي². وهذا يؤكد أن ثورة بركوبا لا علاقة لها بثورة المكابيين، ومن ثم تضعف الأدلة التي تشير إلى أنها امتداد لثورة الغيورين.

خلاصة

لا يستبعد أن ثورة المكابيين ضد السلوقيين ألهمت كل من الغيورين والبركوبيين للقيام بالثورة اليهودية الأولى والثانية، وهذا هو القسم المشترك بين الثورتين، ولعل سعوف النخل تلك من الأدلة التي جعلت بعض الباحثين يؤولون دخول عيسى الانتصاري لإثبات علاقة عيسى بالغيورين، لأنه حال دخوله الملكي لأورشليم استقبل بسعوف النخل (يوحنا 12:13)، فليس من المستبعد وجود خيط ناظم بين ثورة المكابيين وثورة الغيورين وثورة بركوبا، ومع ذلك فهذا لا يؤكد أن للسيد المسيح ﷺ أي علاقة بالأمر وهو موضوع الباب الموالي.

¹ Ibid. «[The Causes of the Bar Kokba Revolt]: Postscript. » *The Jewish Quarterly Review*, Vol. 59, No. 4 April 1969, pp. 341-342, p: 341.

² Aslan. *Zealot*, p. 84.

الباب الثالث:

علاقة عيسى عليه السلام بحراك الغيورين

قد يبدو من الواضح للوهلة الأولى أن عيسى ﷺ وفقا للأناجيل رجل مسالم، ولا علاقة له بأي فكر يدعو للتمرد ضد النظام القائم. لكن النصوص نفسها تحتوي عبارات قد تفيد العكس؛ ولهذا توفرت بحوث عديدة تدافع عن عيسى بوصفه متمردا حمل السيف في وجه الأعداء، أو على الأقل دعا إلى ذلك، وكان سبيل الباحثين ليس الاعتماد على الأناجيل فقط، ولكن كذلك على السياق التاريخي الذي عاش فيه، والذي صادف وجود جماعة الغيورين. يناقش هذا الباب فهم عيسى المنقح للغيرة اليهودية، كما يعرض رسالته بوصفها دعوة للتعقل الذي أسئ فهمه، فاهتدى قوم وضل آخرون.

الفصل الأول:

غيرة عيسى عليه السلام وعلاقتها بحراك الغيورين

لنفترض أن عيسى ﷺ كان قائدا للغيورين، وشارك معهم في الحرب اليهودية ضد الرومان، وبعد ذلك انتصر الرومان وفر عيسى ﷺ أو صلب! هل كان أتباعه النصرانيون، بعد أن وعدهم بالنصر -ورأى الحرب الوسيلة الوحيدة لنصرة الدين وحفظه- ليثقوا به بعدها؟ بل أكثر من ذلك، كان المؤرخون ليصفوه بالخارجي والإرهابي وعديم الضمير.

لعل الحق كان مع الغيورين، وغاية عيسى ﷺ وإياهم كانت حفظ الدين والدفاع عنه وفق المذهب اليهودي الذي يشجع على الغيرة ويعتبرها فضيلة، لكن يبدو أن خطة عيسى ﷺ كانت أسلم وأحكم، لعله علم أن الحرب لن تجلب إلا الخراب ووصمة العار لأتباعه، ولهذا السبب ورغم تمسكه بدين قومه، فإنه عارض ملامح التطرف التي لم يعد يقبلها سواء أهل عصره أو العصور التي أتت بعده.

المبحث الأول: الغيورية من الاعتقاد الديني إلى الوصم الاجتماعي.

يدرس المبحث ظاهرة المسميات وتغير نظرة المجتمع إليها عبر التاريخ منذ العهد العتيق المتأخر (Late antiquities) إلى زمن المعاصر. ويتمحور السؤال الإشكالي حول اعتبار الغيرة فضيلة في سياق تاريخ اليهودية المسيحية، وعدم تأثير ذلك على نظرة التاريخ لحياة عيسى ﷺ باعتباره غيوريا. ومن ثم يكون تبني عيسى لمبدأ الغيرة غير قادح في رسالته الوسطية والسلمية. يعد الوصم الاجتماعي نظرية تفيد أن المجتمع ينشئ الانحراف بوضع قواعد اجتماعية ضد الأفراد، فيوصفون بالخوارج عن النظام الذي أسس له نفس المجتمع، وبناء عليه فإن أي جماعة -اقتربت ما يعارض القواعد الاجتماعية معيار الانحراف- توصم

بالإجرام، بغض البصر عن كون فعلها إجراماً بحد ذاته¹. ومن هنا اعتبرت الغيرة في العصر الروماني أمر خارج عن قواعد المجتمع الجديد الذي أسسته الثقافة الهلنسية. وبعد أن كانت الغيرة في اليهودية أمر يدعو إلى الفخر، صارت في النهاية "قطع طريق"، وهذا الأمر ينطبق على كثير من المصطلحات عبر التاريخ، فبعد أن كانت عبارة "ما أخذ بالقوة فلا ينتزع إلا بها" أمراً مقبولاً في عصر الربيع الأوروبي (1848م)، صارت تعتبر فاشية بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد أن كان الدفاع عن المقدسات أمراً مبرراً في الحرب الباردة ضد الإلحاد الشيوعي، صار يسمى إرهاباً ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

تعتبر الغيوروية حركة عنيفة تعبر عن رفض لوضع معين والسعي نحو تغييره بالعنف، وقد عرف العالم حركات مشابهة لا تقل تطرفاً عن حركة الغيوريين في القرنين الميلاديين الأولين. فإن الغيوروية التي تعبر عن رفض ازدياد الدين في مقابل إرضاء الحاكم الأجنبي جزء لا يتجزأ حتى من اليهودية الربية التي نقضت مبادئ عصيان السلطات الأجنبية، بل أكثر من ذلك، فإن الغيرة المعتبرة عند الربيين هي الغيرة التي تلجأ للعنف عند الضرورة. ومع ذلك فإن التراث الربى يتناقض فى موقفه تجاه الغيرة.

يرد فى التلمود: "إذا سرق أحدهم سكيفه (مزهريه مقدسه)، أو لعن جاره أو دعا الله بالنحات، أو جامع وثنية، حق للغيورين من الناس (مثل فنحاس) إنزال العقاب به ما إذا

¹ الدراوشة، عبد الله سالم. "المعرفة والوصم الاجتماعى واتجاهات طلبة الجامعات الأردنية نحو المصابين بمرض الإيدز". رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة مؤتة: مؤتة، 2010، ص: 15-16.

ضبط متلبسا بقله"¹. وأورد الربى صمويل² تعليقه على هذا النص بقوله إن فنحاس رأى أنه ليس هناك داع لاستشارة موسى في عقاب من انتهك أوامره (الأمثال 21:30)، فقام بقتلها دون العودة إليه³.

كما أن نصا في التلمود -يعود تأريخه للفترة الإغريقية الرومانية وخاصة في عهد المكابيين- يشير إلى فنحاس باعتباره قاطع طريق، ويبدو من خلال ذلك أنهم لم يكونوا متعاطفين مع فعل الغيرة الذي اعتبر نموذجا اقتاد به المكابيون والزيلوت⁴. والسبب يعود في ذلك إلى أنهم يرون أن قاطع الطريق هو الشخص الذي يقوم بأسلوب حرب العصابات أو يقوم بتنفيذ حكم الشريعة بيده لإيقاف ممارسات الخارجين عن الشريعة والموالين للكفر⁵. على العموم فالنصوص تشير إلى الغيورين بصفة عامة، أي أن أولئك الذين نفذوا أحكام الشريعة بأنفسهم دون استشارة، لا يقع عليهم ذنب في أربع حالات: سرقة ما هو مقدس وإيذاء الجار ونطق الكفر والزنا أو الزواج من غير اليهودية. ولم يكونوا بذلك يشيرون

¹ *Babylonian Talmud*. Trans. Michael L. Rodkinson. Boston : The Talmud Society, 2018, Section Jurisprudence (Damages): Tact Sanhedrin, Vol. 15-16, chapter IX, Mischna IX (9), p: 239-240.

² **صمويل يارهينأت**: (نهاية القرن الثاني بداية القرن الثالث): من الربيين الأمورائيم الذين عاشوا في القرن الثالث الميلادي. لا يعرف إن كان من تلامذة يهوذا الناسي. كان مدير مدرسة ربية بنهارديا بالعراق بابل القديمة. وكان يرى أن قانون الدولة هو قانون اليهود كذلك، وحرّم أن يخدم اليهود غير اليهودي، وهو مبدأ عاش عليه يهود الشتات، وكان له أثر على الفكر اليهودي في المستقبل. واعتقد أن المسيح سيأتي فقط حينما يعاني اليهود من اضطهاد عنيف وستكون الحرية هي الفصل بين الزمن الحاضر وأيام المسيح. Beer, Moshe. "Samuel". *Encyclopaedia Judaica*. Ibid, Vol. 17, p: 757-758.

³ *Babylonian Talmud*. Section Jurisprudence (Damages): Tact Sanhedrin, Vol. 15-16, chapter IX, Mischna IX (9), p: 241.

⁴ ليس بالضرورة، فلعل اللفظة كان لها دلالة إيجابية في اليهودية قبل ظهور الزيلوت. فنحن نجد مثلاً في تراثنا الإسلامي أن أصل كلمة إرهاب تحمل دلالة طيبة في القرآن الكريم. حيث يعتبر الإرهاب وسيلة لحفظ السلام. يقول الله عز وجل: {وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} (سورة الأنفال، الآية: 60). وهو موضوع يطول شرحه، لكن من المحتمل أن اليهود رأوا في حرب العصابات وسيلة لتجنب حرب ضروس عن طريق إخافة المحتل كي لا يقترب من الأراضي المقدسة وهو نفس النهج الذي صار عليه المكابيون الذين يعتبرون أبطالاً في الفكر الربى. غير أن الرومان أو على الأصح اليهود الهلنسيون والذين لم يكونوا يرحبون بمقاومة الرومان التقطوا هذا المصطلح وشوهوا به سمعتهم، وجعلوا منه وسيلة ليخدم برنامج الاحتلال الروماني كما يحدث في عصرنا الحالي بالضبط مما يزعم أنها حرب على الإرهاب.

⁵ Buchanan, George Wesley. «An Additional Note to "Mark 11.15—19: Brigands in the Temple. » *Hebrew Union College Annual*, Vol. 31, 1960, pp. 103-105, p: 104-105.

إلى الزيلوت أو السكارين الذين حاربوا الرومان¹. ولكن التناثيم بعد الحربين اليهوديتين ضد الرومان لم يستسيغوا هذه النصوص. ولذلك حولوا نقدهم تجاه جذور الفعل المتمثل في فنحاس؛ فنجد في التلمود وصفا لفعل فنحاس على أنه غير حكيم وأن موسى كان ينوي عزله لولا تدخل الوحي وكلمات التوراة²، ومن ثم يكون أي عمل شبيه بما قام به فنحاس، عمل متهور مرفوض في الفكر اليهودي لما بعد الحرب اليهودية الرومانية.

يمكن القول إن اليهود كان من الممكن أن يتجنبوا الحرب مع روما لولا تصرفات الكاهن ألعازر بن حنانيا الذي أضحى المسؤول الأول عن الهيكل؛ أي أنه كان يتمتع بصلاحيات الشرطة أثناء حدوث أي اضطرابات في محيط الهيكل، فقام بدعم مجموعة من الكهنة الصغار بالاستيلاء على المعبد وأمر بإيقاف التقدّمات باسم الإمبراطور، فاعتبرت روما ذلك إعلاناً عن استقلالية أورشليم عن السلطة الرومانية³.

يمكن اعتبار اليهودية نفسها ديانة غيورية، أو على الأقل مدرسة مؤسسة فيها، قدمت فهماً للديانة في ضوء عدم الخنوع للمحتل، وهي مدرسة شمائي التي انتهى إليها ألعازر. لكن حاخامات القرن الثاني أُجبروا -بسبب الظروف والخوف من الانتقام الروماني- على تطوير فهم لليهودية يتجنب النزوع القومي؛ ولهذا نظروا إلى الأرض المقدسة بمصطلحات أكثر تعالياً، مما عزز لاهوتا مسيحانيا يرفض الطموحات السياسية العلنية، حيث إن تقدّمات الهيكل

¹ Borg. « The Currency of the Term 'Zealot' ». Ibid, p: 507.

² Hengel. *The Zealots*, p: 169-168.

³ Aslan, *Zealot*, p: 70.

استبدلت بالعمل الصالح وطلب العلم الشرعي في حياة اليهودي الملتزم بدينه، ومن ثم يمكن الاستنتاج أن اليهودية الحالية هي نسخة غيوروية منقحة.

استعملت كلمة زيلوت في جذورها اليونانية لتدل على رجل كرس نفسه لقضية واشتد حماسه لها، وقد ظهر استعمالها في القرن الرابع قبل الميلاد، فقد تحدث أفلاطون عنها واصفا طريقة تعليم الأسبارطين، وفي هذا السياق عن أفلاطون بها: تلامذة (أي حواريين) وفضلاء أو المهتمين بصلاح المدينة، وحتى في عهد يوسيفوس نجد لها معنى إيجابيا، حيث رفض أن يطلق "هؤلاء اللصوص" على أنفسهم مسمى "زيلوت"¹، كما أعطاهم العهد الجديد بعدا إيجابيا، وقد عنت بعد ذلك وخاصة في العصر المسيحي: محب وحواري وتابع². وبناء على ذلك لا يفترض أن لفظة غيور في عصر عيسى اعتبرت ذما ولو أطلقت عليه ﷺ.

رأى نيكولاس توماس رايت³ (Nicholas Thomas Wright) في تحليل آخر أن بولس كان يحمل من خصال الغيوريين الكثير، وإن كان ذلك من الناحية العملية وليس من الناحية التنظيمية، ورغم أنه كان يضطهد المسيحيين الأوائل مدفوعا بغيرته للرب والتوراة، إلا أنه تبين له في الأخير أنه يخوض حربا قد انتصر أهلها سلفا، فلم يبق له إلا الانضمام إلى صفوف الفائزين⁴.

¹ Flavius. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre IV, Chapitre XII, p: 693.

² Hengel. *The Zealots*, p: 60.

³ نيكولاس توماس رايت (1948م): عالم متخصص في العهد الجديد. عمل مسبقا أسقفا في الكنيسة الأنجليكانية في مدينة يورك. وهو عضو مجلس اللوردات بالبرلمان البريطاني. كتب *Evil and the Justice of God* و *Judas and the Gospel of Jesus: Have We Missed the Truth about Christianity?*

⁴ Wright, Nicholas T. Paul. "Arabia, and Elijah (Galatians 1:17)." *Journal of Biblical Literature*, Vol. 115, No. 4, Winter, 1996, pp. 683-692 p : 684-691.

ليس من المعقول أن يضطهد بولس أتباع المسيح الذين افترض أنهم "زيلوت"، لأنه بناء على ما سبق قد اعتبر منهم، ولما تبني بولس المسيحية أضحى صديقا لفريق منهم، وإذا افترض أنه تأمر مع الرومان ضد اليهود المسيحيين "الثوريين"، فلماذا قطع الرومان رأسه بعد أن اشتبهوا في كونه الساحر المصري (أعمال الرسل 21: 38)؟ ألا يدل ذلك على أن الرومان لم يروا في اليهود المسيحيين سوى مجموعة من المشبوهين، ولهذا أعدموا بطرس كما أعدموا بولس، وسكتوا عن إعدام يعقوب، وقد حدث ذلك في نفس السنة التي انطلقت فيها الثورة، حيث قام نيرون بالأمر بالقبض على بطرس وبولس وأعدمهم متهما إياهم بتبني نفس الإيمان¹.

كان المسيح يشترك مع الأسينيين في انتقاد كهنوت الهيكل، ويبقى الطريق لإثبات ارتباط عيسى بالحراك الثوري والغيرة - باعتبارها طابعا يهوديا غيوريا يشجع على العنف - هو ربطه بالفكر الأسيني الذي كان له دور حيوي في الثورة اليهودية، خاصة أن أحد الأسماء البارزة الذين قادت المتمردين في مناطق اللدة ويافا وتمنة كان اسمه يوحنا الأسيني². كما أن هادريان أحرق سنة 132م مكتبة الأسينيين في الكرمل³، لأن كتبهم "خاصة كتبهم تنظيم الحرب" حملت دعوة صريحة لقتال الرومان الذين أطلق عليهم اسم "الكيتيم"⁴، فتكون الطريقة الوحيدة التي يمكن للباحث من خلالها إثبات تبني عيسى لمفهوم الغيرة على نفس نهج الزيلوت

¹ Ibid.

² Flavius. *Histoire des Juifs*. Ibid. Tome Cinquième, Livre II, Chapitre XLII, p : 342.

³ العيسة، أسامة. *مخطوطات البحر الميت: قصة الاكتشاف*، الطبعة الأولى. دمشق: دار قدس، 2003 م، ص: 94.

⁴ **كيتيم**: في اللغة الأصل هي مدينة كتيون في جزيرة قبرص، ثم أطلقت على الجزيرة كلها (تكوين 10 : 4 / أخبار الأيام 1 : 7 / إشعيا 23 : 1) ويتم ذكر أشور تبادليا مع كيتيم، والراجح أن المقصود هم الرومان وعلى العموم بتلك الاصطلاحات تمثل أعداء إسرائيل. والدليل على أن الكيتيم في فكر الجماعة القمرانية هم الرومان ما ورد في شرح سفر ناحوم 2 : 3 - 4 "... لأن الله يسلمها ليد ملك ياون منذ أنطيوخس حتى قيام قادة الكيتيم، لكنها بعد ذلك ستداس بالأقدام بواسطة الكيتيم". **التوراة، كتابات بين العهدين: الكتب الأسينية**، الطبعة الأولى. حقق بإشراف: أندري دويون وسومر، مارك فيلونكو. ترجمة وتقديم: موسى ديب الخوري، دمشق: دار الطليعة الجديد، 1998، الجزء 1، ص: 272 ؛ 302.

Brandon, Samuel George Frederick. *Jésus et les Zélotes: Recherche sur le facteur politique dans le Christianisme primitif*. Ibid, p : 399.

والسكاريين هو ربطه بالأسينيين، فمن دون ذلك تكون الأدلة المنظمة ضعيفة، ولكن آخر المكتشفات الحفرية الأركيولوجية والأدلة التاريخية قد أثبتت فيما لا يدع مجالاً للشك أن الزيلوت لا علاقة تجمعهم بالأسينيين¹. وعلى فرض أن ما وجد عند المسعدين من مخطوطات قد أرخت باعتبارها أسينية²، فإن هذا دليل على أن الأسينيين لم يؤمنوا بعبسى على الأقل باعتباره مسيحا وكانوا دائما ينتظرون مجيء مسيح آخر.

يشير تخطيط الأعمال الأدبية القديمة في نظرتهم للغيورية إلى أثر كتابة التاريخ من طرف الفريق المنتصر، فمن المحتمل أن الغيورين كانت قضيتهم الأساس الدفاع عن المقدسات الدينية التي أهانها الرومان، ومن ثم تم وصفهم بأبشع الصفات، وهذا الأمر يتكرر عبر التاريخ؛ فبعد ألفي سنة من ميلاد عيسى ﷺ، وصفت مقاومة الاحتلال بالإرهاب³، ووصف السعي لإقامة دولة مدنية ديموقراطية بعد الربيع العربي⁴ بالإرهاب أو العمالة للخارج، وسمح بإزالة اسم بعض الدول من قائمة رعاية الإرهاب فقط لقبولهم التطبيع مع إسرائيل⁵. فإن المصطلح وإن تغير عبر التاريخ فإنه لا طالما عبر عن رأي المنتصر الذي يكتب التاريخ، وعادة ما يكون عبارة عن قوى عظمى تحكم أجزاء كبيرة من المعمورة بيد من حدي، وهذه القوى

¹ Hengel. *The Zealots*, 1989, p: 3.

² Campbell, Edward F., Jr. « A New Book on Masada ». *The Biblical Archaeologist*, Vol. 29, No. 4, December 1966, pp. 125-128, p : 127-128.

³ Bureau of Coordinator for Counterterrorism. "Foreign Terrorist Organizations." *U.S. Department of State*, 13 May 2009. Retrieved 27 December 2020, from <https://www.state.gov/foreign-terrorist-organizations/>

⁴ "بيان هيئة كبار العلماء السعودية: جدل بعد وصمه 'الإخوان المسلمين' بالإرهاب والجماعة ترد." *BBC News عربي*. مسترجع بتاريخ 28 أكتوبر 2020 من العنوان: www.bbc.com/arabic/trending-54936598

⁵ ما هي المنظمات الإرهابية في الشرق الأوسط حسب التصنيف الأمريكي؟" *BBC News عربي*. 3 يونيو 2020، مسترجع بتاريخ 28 أكتوبر 2020 من العنوان: www.bbc.com/arabic/middleeast-54694904

تسم تلك الأقلية المارقة بالأوصاف التي تتناسب مع الرأي الجمعي لتلك الحقبة، مما يجعل معارضتهم لسياسات تلك الدول العظمى سواء بالرأي أو بالسلاح عنفا غير مقبول.

مع حلول النصف الأخير من سنة 2020 وقعت أحداث عنف مسلحة بين مواطنين من أصول أفريقية والشرطة الأمريكية جراء أحداث عنصرية، سبقت الاحتجاجات التي عمت الولايات الكبرى مثل واشنطن ونيويورك وفيلادلفيا، فاعتبر الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب (Donald Trump) جماعة أنتيفا¹ (Antifa) -التي شاركت في الاحتجاجات ضد مقتل المواطن الأمريكي من أصول أفريقية جورج فلويد (George Floyd) خنقا على يد شرطي أمريكي يوم 25 ماي 2020 في ولاية مينيسوتا- جماعة إرهابية، وقد تعاطف العالم مع ذلك الحادث، لكن الرأي العام في مواقع التواصل الاجتماعي أظهر كثيرا من ردود الفعل المعارضة للطريقة التي وصفت بالهمجية في تعامل المحتجين مع الحادث؛ حيث اشتبك كثير من المواطنين مع الشرطة وتبادلوا إطلاق النار، وتم تحطيم كثير من سيارات الشرطة والسطو والهجوم وتخريب الممتلكات العامة لمدينين، هنا يقف المنطق حائرا أمام التسمية الدقيقة لما يحدث في حقبة تاريخية معينة، لكن من المؤكد أن كتب التاريخ ستشير إلى الحدث وستسميه وفق آراء الجمهور، وهي نفس الطريق التي سار عليها يوسفوس أثناء كتابته للحرب اليهودية².

¹ أنتيفا: هي اختصار للعبارة الإنجليزية Anti Fascist وتعني مناهضة الفاشية. ويستخدم هذا المصطلح لتعريف مجموعة من الأشخاص الذين تميل معتقداتهم السياسية نحو اليسار، غالبا أقصى اليسار، لكنهم لا يتوافقون مع جبهة الحزب الديمقراطي. لا يوجد لدى المجموعة زعيم رسمي أو مقر، ومع ذلك تعقد مجموعات تحمل نفس التوجهات في دول معينة اجتماعات منتظمة. لا تعرف بالضبط ما هي أصولهم ولكن يعرف انتماؤهم إلى جماعة مسلحة تأسست في الثمانينات في المملكة المتحدة. ويرتدي بعض الأفراد من المجموعة لباسا أسودا ويطلق عليهم اسم " الكتلة السوداء". كما أنهم يرتدون الأقنعة لإخفاء هوياتهم عن الشرطة والمحتجين الآخرين. ومن غير الواضح تحديد موقف أنتيفا من القضايا المختلفة، ولكن العديد من الأعضاء يؤيدون السكان المضطهدين ويحتجون على الثروة المكسدة من قبل الشركات والنخب حيث يلجأ البعض إلى استخدام التكتيكات المتشددة والعنف لإيصال رسالتهم، مما جعلهم عرضة لإثارة الجدل. ينظر: "ما هي جماعة "ANTIFA" التي تحملها إدارة ترامب مسؤولية العنف بالمظاهرات." *CNN بالعربية*. مسترجع بتاريخ 27 دجنبر 2020 من العنوان: <https://arabic.cnn.com/world/video/2020/06/03/v89883-who-antifa>

² Klapper, Daniel. "Trump: US Will Designate Antifa As Terrorist Organization". *Jurist*, 2 June 2020.

Retrieved 27 December 2020, from <https://www.jurist.org/news/2020/06/trump-us-will-designate-antifa-as-terrorist-organization>.

إذن فعبر التاريخ تم استخدام العنف وسيلة للمقاومة ضد القوى القمعية سواء الداخلية أو الخارجية، وخلال الحرب اليهودية الرومانية حمل الإرهاب شكل حرب عصابات، فكان نموذجا لصراع غير متكافئ.

استخدم مصطلح الإرهاب لأول مرة إبان الثورة الفرنسية حيث اعتبر فترة حكم الجمهورية الأولى بعهد الإرهاب (The Terreur)، حيث عرفت فترة اغتالات ومذابح في حق فلول النظام الملكي السابق، ومنذ ذلك الحين وهو يطلق على المعارضة الوطنية المناهضة للحكم الديكتاتوري في إيطاليا مثلاً؛ منظمة نارودنايا فوليا (Narodnaya Wola)¹، ومنهم الشيوعيين أثناء الحرب الباردة التي اعتبرت على الأقل من وجهة نظر الاتحاد السوفياتي نصالاً. ومع ذلك باتت صورة الإرهاب تفقد رونقها شيئاً فشيئاً منذ ظهور الفاشيين في فترة ما بين الحربين العالميتين، باستثناء الحركات الانفصالية التي لاقت دعماً دولياً أو بالأصح رأساليا، مما أدى إلى استقلالها قبيل وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي. وفي نفس الوقت استفادت حركات الاستقلال عبر العالم -والتي سميت بالمقاومة من وجهة نظر الاستقلاليين على الأقل- من القبول الشعبي للإرهاب في استخدام وسائل حرب العصابات مع مراعاة عدم إلحاق الضرر بسكان المنطقة التي يتم تحريرها، وذلك رغم نعتها من طرف القوى الاستعمارية بالإرهاب في ذلك الوقت. وعلى خطى شبيهة بخطى تلك الحركات التحريرية سارت المقاومة الفلسطينية التي لا طاماً اعتبرتها القوى العظمى حركة إرهابية، خاصة بعد عمليات منظمة

¹ نارودنايا فوليا: منظمة شعبية في روسيا تأسست في أواخر القرن التاسع عشر. تحمل أفكار ثورية، وقد قام أعضاؤها باغتيال القيصر ألكسندر الثاني.

Offord, D. "Narodnaya Volya After 1 March 1881 (Chapter 2)." *The Russian Revolutionary Movement in the 1880s*. n.d. Retrieved 15 December 2020, from shorturl.at/jkvT7

التحرير الفلسطينية ضد الإسرائيليين خارج الأراضي الفلسطينية التي أضفت على الإرهاب بعدا دوليا. وبعد أن صارت بعض الدول كليبيا مثلا، تدعم عمليات ضد الأمريكيين كالهجوم الذي تم ضد طائرة أمريكية بسكوتلاند سنة 1988م، اعتبر الإرهاب خطرا دوليا¹.

ومما زاد من تشويه سمعة الإرهاب كذلك ما سمي بإرهاب المخدرات، حيث نظمت هجمات مسلحة ضد شرطة مكافحة المخدرات من أجل الضغط على الحكومات لإعاقه القوانين المتعلقة بهذه التجارة، وذلك علما أن المخابرات الأمريكية كانت تدعم تلك الهجمات باعتبار أولئك التجار حلفاء لتوسيع نفوذ أمريكا خلال الحرب الباردة، ولأن المجاهدين الأفغان كانوا متورطين في تجارة المخدرات فإن أمريكا دعمتهم بالسلاح في حربهم ضد السوفييات. ومع انهيار الاتحاد السوفييتي وتشكل الإرهاب في صيغته الدينية، تغيرت نظرة المجتمع الدولي جذريا، نظرا لوعي جمعي يتأصل في مقت الثيوقراطية جراء ما لاقته كثير من الشعوب من اضطهاد خلال فترة حكم الكنيسة، ولا يمكن إنكار أن فترة الخلافة الإسلامية كذلك عرفت نوع من الاستغلال الديني لتحقيق أهداف استراتيجية أو لاضطهاد فئة معينة. كما استخدم الإرهاب لحل أزمات سياسية منذ الثورة الفرنسية، كذلك استعمل المصطلح منذ مطلع القرن الواحد والعشرين للسماح بالتدخل الأجنبي للقوى العظمى في سياسات الدول من أجل تحقيق أهداف اقتصادية. وبالتأمل في نهج أي إرهابي عبر التاريخ يتبين أن ممارسته تميل شيئا ما إلى أوصاف انطبقت على فرقة إسلامية سميت بـ"الحشاشين" (القرن الثاني عشر الميلادي). وقد اعتمدت الاغتيال أو الغيلة أسلوبا لتصفية فرقاء ينتمون لنفس الوطن أو الدين، وقد تحول اسم هذه الفرقة الشيعية الإسماعيلية إلى مصطلح لاتيني:

¹ ينظر: السقاط، حنان. بين الاستشهاد والإرهاب، الطبعة الثانية. الرباط: منشورات الزمن، 2018.

"أساسينوس" (Assasinos). ومن ثم فإن السكاريين هم أقرب الناس لهذا الوصف، في حين تركّز هجومات الزيلوت على الرومان. وعلى العموم فإن الإرهاب وإن أخذ شكلا دينيا فإنه كان ولا يزال يهدف لتحقيق أهداف سياسية. ورغم أنه أمر مرفوض ومقيت بالنسبة لأي عاقل فهذا لا يعني حتما أن كل من سموا "إرهابيين" قد أقسطهم التاريخ¹.

لقد كان المسيح غيوريا مختلفا بوصفه يحمل حس المسؤولية تجاه الفكر الكهنوتي الذي شارك في معاناة الشعب، وأضفى الشرعية على الاضطهاد الأجنبي، فكان تغييره للمنكر باللسان والقلب وباليد في بعض الأحيان، لكن لم يصل الأمر إلى دعوة صريحة لفعل مشابه لما قام به الزيلوت أو السكاريون في القرنين الميلاديين الأولين، ولا بلغ الأمر مبلغ قتل فنحاس للزناة. ولهذا السبب فقد نأى عيسى الحكيم بنفسه عن صراعات لا تسمن ولا تغني من جوع. ولعل تهمة التطرف قد التصقت به بسبب أعدائه من اليهود، ولكن هذا لم يمنع رسالته السمحاء من بلوغ قلوب كثير من الناس.

المبحث الثاني: المعتقد اليهودي لعيسى ﷺ وعلاقته بالحراك الغيوري.

حسب الكتب المقدس فإن عيسى² ﷺ ينتسب لبني إسرائيل ويتبع شريعة موسى ﷺ، ومع ذلك فإنه خالف الشريعة بالشريعة، وذلك لأنه جاء بنظرة إصلاحية ناسخة للشرائع

¹ بدور، جمال. "الإرهاب". الموسوعة السياسية. 1 دجنبر 2020. مسترجع بتاريخ 28 يناير 2021 من العنوان: shorturl.at/prvE8

² قد يعترض البعض أن عيسى كان نبيا يهوديا، من باب إنكارهم وجود الديانات السماوية قبل الإسلام، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 10]، وكذلك لقوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية 52]، لكن هذا لا يتعارض مع كون اليهودية ديانة منزلة أو كانت على الأقل، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 62]، فأثبت أن المؤمنين من الذين هادوا في الجنة وهم من عينة الذين قال الله أنهم حرفوا التوراة [سورة النساء، الآية 46]. فليس القول إن المسيح كان يهوديا اصطلاحا يمنع من كونه مسلما لغة، لأنه أسلم وجهه لله ووحده. وقد ورد في الإنجيل كذلك قول السامرية لعيسى [كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية] (يوحنا 4: 9).

السابقة، فخرج بها من ظلمات التشدد إلى نور الاعتدال والوسطية، ولعل نظرتة الإصلاحية لليهودية هي أكبر دليل على عدم ارتباطه بالحراك الغيوري العنيف.

حرصت أسرة عيسى ﷺ منذ ولادته على تنشئته تنشئة يهودية، ولذلك تم القيام بطقس الختان لعيسى ﷺ في اليوم الثامن حسب الشريعة الموسوية (لاويين 12: 3 / لوقا 2: 21)، وكذلك تم تقديم ذبيحة من أجله (لاويين 12: 6-8 / خروج 13: 2 / لوقا 2: 23-24)، ونجده منذ السنة الثانية عشرة من عمره يزور الهيكل ليسأل في أمور دينه من دون أن يستأذن أسرته (لوقا 2: 44-48)، ثم يواجه توبيخ أسرته بقوله: «لِمَ أَذًا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي؟» (لوقا 2: 49)، ويؤكد هذا النص سعيه فيما لله. واستمر عيسى ﷺ يزور الهيكل ويعلم ويبشر فيه إلى أن انتهى أمره مع قومه (لوقا 19: 47 / يوحنا 8: 2).

وأما عن تعليمه، فلم يكن يخالف ما كان عليه اليهود، فحينما سأله الفريسيون والصدوقيون مجربين إياه، عن أي وصية هي أعظم، قال: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بَهِائَتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ» (متى 22: 34-40). ولما أحضروا له المرأة الزانية قال لهم: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» (يوحنا 8: 2-6)، فأعمل بذلك روح النص. كما كان عيسى يأمر مريديه بالعمل وفق الشريعة، فحينما قام بمعالجة الأبرص قال له: «امْضِ وَارْ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ كَمَا أَمَرَ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ» (لوقا 5: 13-14).

لعل أشهر نص في الإنجيل يؤكد تمسك عيسى ﷺ بالتوراة هو ما ورد في إنجيل متى (5: 17-19) على لسانه: [«لَا تَطْنُونَا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ النَامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ»].

لا يوجد مثيل لهذا النص في باقي الأناجيل، وهو يمثل حيرة ودهشة عند الكثير من المسيحيين، وتناقضه كثير من النصوص في نفس الإنجيل، حتى ظن البعض أن هذا النص هو من افتعال متى. ويرى المفسرون المسيحيون أن المقصود بعبارة [«مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ»] (متى 5: 17) أي أوضح وأظهر المعنى الحقيقي للناموس¹؛ بمعنى أنه جاء ليفسر المعاني الروحية الكامنة وراء الناموس والتي لم يسع اليهود فهمها؛ بل وتشددوا فيها ووقفوا عند المعاني الحرفية لها. ويقول محمود سامي العقاد: "هذه الشريعة (يقصد ما رُود في متى 5) تهدم كل عرف قائم وتعصف بكل شكل ظاهر. ولكنها لا تهدم الناموس ولا تعصف بركن من أركانه، وقد تزيد فرائضه ولا تنقص حرفاً منها حيث تنقلها من الأوراق ومناظر العيان إلى الضمائر والقلوب، لأن الإنسان يحاسب نفسه إذا أحب حساباً لا تدركه الشرائع ولا يطلع عليه القضاء"².

¹ باركلي، ولیم. تفسير العهد الجديد: إنجيل متى، الطبعة الأولى. ترجمة: فايز فارس. القاهرة: دار الثقافة، 1993م، المجلد 1، ص: 82. فرانس، ريتشارد توماس. التفسير الحديث للكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الطبعة الأولى. ترجمة: أديب شكري. القاهرة: دار الثقافة، 1990م، ص: 117.

² العقاد. حياة المسيح في التاريخ، م.س، ص: 110.

لذلك فقد خالف عيسى الشريعة في نظر اليهود فأنكروا عليه، فكانت موعظة الجبل تخفيفاً على بني إسرائيل من القيود التي فرضت عليهم، وكان يهدف من وراء مخالفته إلى إعمال روح الشريعة ليضفي عليها البعدين الروحاني والإنساني؛ فمثلاً نجد المسيح وتلاميذه يقطعون من السنابل لياكلوا يوم السبت، فيقول "[لَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ: «لِمَاذَا تَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبُوتِ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ وَلَا هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدَ، حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ؟ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللَّهِ وَأَخَذَ خُبْزَ التَّقْدِيمَةِ وَأَكَلَ، وَأَعْطَى الَّذِينَ مَعَهُ أَيْضًا، الَّذِي لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلَّا لِلْكَهَنَةِ فَقَطُّ» وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا»]

(لوقا 6: 1-5)، فنبههم إلى أن السبت وجد لخدمة اليهود لا ليكون عبئاً عليهم، ويستشف مما ورد أنه إن اضطر اليهودي مخالفة السبت في بعض التفاصيل الصغيرة فله ذلك؛ بل من الواجب عليه ذلك، حيث يظهر ذلك في قوله ﷺ في لوقا (6: 9): «أَسْأَلُكُمْ شَيْئًا: هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ إِهْلَاكُهَا؟»، فيقع بذلك الفريسيون والكتبة في موقف محرج؛ فإنهم لو قالوا لا يحل تخليص نفس بالسبت لخالفوا مبادئ الشريعة زعماً منهم أنهم يقيمون الوصايا. ويقول وليام باركلي (William Barclay)¹ في هذا الصدد: "وقد أخذ عليه اليهود تحرره من بعض أحكام الشريعة، واتهموه بانتهاك شريعة السبت والصوم وقواعد الطهارة. والحقيقة أنه كان يؤكد احترام روح الشريعة التي تحرر الإنسان من الداخل، وتدفعه في طريق المحبة، بيد أنه كان يندد بميل الناس إلى التطبيق

¹ وليام باركلي (1907-1978م): لاهوتي وأستاذ جامعي سكوتلاندي بجامعة غلاسكو كما قدم برامج إذاعية وتلفزيونية وهو يعتبر من اللاهوتيين العصرانيين. من كتاباته Discovering Jesus و The Ten Commandments. Jackson, Wayne. "The Enigmatic William Barclay". *Christian Courier*. n.d. Retrieved 12 December 2020, from <https://www.christiancourier.com/articles/681-the-enigmatic-william-barclay>

الحرفي للأحكام الشرعية، وكان يقول إن إلهه هو إله بني إسرائيل، ويتردد على الكنس، ويتحاور مع علماء الشريعة، ويذهب مرة في السنة، على الأقل، للحج في الهيكل...¹، ومن ثم يتضح أن عيسى لم يكن يحمل نفس التعصب الذي حمله الغيورون على الشريعة، فكان فهمه رحبا يسع الجميع.

إضافة إلى ذلك، فقد كان عيسى ﷺ يخاطب اليهود بلغة فلسفية سامية لم يفقهوها، وهذا كان سبب اختلاف تلاميذه في فهمه حتى بعد ظهوره الثاني (لوقا 6: 25)، ومن ثم اختلف المسيحيون حوله وانقسموا إلى دعاة ختان ودعاة غرلة (أعمال الرسل 15)، وحتى الرومان لم يستوعبوا أسلوب عيسى الذي ارتبط بما هو سماوي، وذلك يظهر في حوار عيسى مع بيلاطس (يوحنا 18: 36-38/ يوحنا 19: 11)، وكذلك رده على بطرس -الذي حمل الخنجر دفاعا عنه- بأنه لو أراد الدفاع عن نفسه لطلب من الله ﷻ جيشا من الملائكة (متى 26: 53)، فكأنه يقول: لو كان الأمر يتعلق بالجيوش والنصر المبين والمكين فلا خوف علي، ولكن الأمر متعلق بما هو أكثر من ذلك، وهو ثورة الإنسان ضد نفسه ومواجهة أمراضه القلبية.

حسب متى (5: 38-42) ولوقا (6: 29-30/ 23: 34)، فإن الآخر يصبح أهم من الأنا، وهذا يخالف القاعدة الذهبية الموجودة بإنجيلي متى (7: 12) ولوقا (6: 31)، وهي قول المسيح: [وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ هَكَذَا]، وهي نفسها قاعدة هليل الذي يرى أن معاملة الآخرين ينبغي أن تكون عادلة بنفس المقدار الذي يحب المرء أن يعامله وفقه الآخرون لا أكثر ولا أقل (لاويين 19: 18)، وليس لأحد أن يضر الآخر من أجل مصلحته،

¹ لئونوار، فريدريك. المصنف الوجيز في تاريخ الأديان. ترجمة: محمد الحداد. تونس: دار سيناترا، 2012م، ص: 244.

وليس لأحد أن يضر نفسه من أجل مصلحة الآخر. لكن عيسى الإنجيلي يرى أنه يجب الإضرار
بالأنا في سبيل الغير، وهذا مخالف للتعليم الفريسي والربي اليهودي، ولذلك يدعو عيسى ﷺ
أتباعه أن يزيد برهم عن بر الفريسيين (متى 5: 20)¹.

كما تم الاستشهاد بطول شعر عيسى -إن ثبت ذلك تاريخيا- باعتباره دليلا على تمسك
عيسى بعقيدة النذيرين، فالكلمة المفردة نذير والفعل «نذر» (נָזַר) في اللغة العبرية يفيدان
معنى النذر في العربية، وأصله من نَذَرَ (נָזַר) أي كَرَسَ، وكلمة نذير (נָזַר) تعني ناسك
ومتقشف وزاهد، والنذيريون جماعة حظيت بمباركة النبي عاموس، وكانت لا تشرب خمرا
وتفضل عيشة البراري، وقد ورد ذكرهم عند يوسفوس حينما ذكر أن الملك هيرود أغريبا
الأول قام بإجبار النذيرين على حلق رؤوسهم والامتثال للقانون الروماني، وهم يهود وهبوا
أنفسهم أو وهبهم أهلهم لحياة القداسة وخدمة الرب والتبشير بيوم مجيء المسيح، وهو يوم
الخلاص من الظلم والتطهر من الذنوب، ولم يكونوا طائفة واحدة بل كانوا أحيادا متفرقين
ينذر الواحد منهم فلا ينتسبون لأي فرقة، ولا يشترط في النذيري العزلة، لكنه زاهد يتجنب
الخمر ولا يلمس ميتا ولا جسما محرما، ولا يحلق رأسه إلا إذا استوفى نذرا مؤقتا²، وقد تكاثر
عدد النذيرين في عهد المسيح عيسى ﷺ لأن حسابات اليهود آنذاك دلت على اقتراب بعثة
المسيح المنتظر، وقيل إن يوحنا (يحيى) وعيسى عليهما السلام كانا من النذيرين، فأما يوحنا
فالظاهر من إنجيل متى (3: 4) أنه كان متقشفا، وأما عيسى فلكونه نذيريا وليس ناصريا من

¹ Garber, Zev. «The Jewish Jesus: Conversation, Not Conversion. » *Hebrew Studies*, Vol. 56 (2015), pp. 385-392, p: 387-389.

² ينظر: الحمومي، بدر. المسيح ثائرا: نزعة المقاومة عند الزيلوت والأسينيين. القاهرة: دار رؤية، 2019، ص: 128-135.

الناصرة، لأن الناصرة كما ذكر بعض المؤرخين لم تكن موجودة في عهده، وتصادف أن تم وصف أتباع عيسى في سفر أعمال الرسل (24: 5) بالناصريين (Nazarenos = Nazoraios)، وهذا ما دفع البعض إلى اعتبارهم فرقة مستقلة¹، وقد كان النذيريون يطيلون شعر رؤوسهم إلى أن أجبرهم أغريبا على حلقها والامتثال للقانون الروماني فيما دون ذلك من الشعائر²، ويعتقد أن المسيح قد أطل شعره كما جسد ذلك التقليد المسيحي في الأيقونوغرافيا، وقد ورد وصف عيسى في الأبوكريفا المسيحية فيما يلي: "يملك شعرا لونه هو اللون المتدرج للبندق غير الناضج بني وهو شعر ناعم ممتد تقريبا حتى أذنيه، ومن الأذنين تبدو خصله المجددة أغمق وأكثر إشعاعا، وهي تتطاير فوق شفتيه، وقد فرقته عند منتصف الرأس، وفقا لطريقة الناصريين"³، وقد كان بولس يعيب إطالة الشعر على الرجل (كورونثوس الأولى 11: 145) مع أن هذا الأمر يعتبر تقربا إلى الله ﷻ عند المكرسين لخدمته⁴.

تبرز أهمية انتماء عيسى لهؤلاء النذيرين في كون كلمة نذير في اللغة العربية تفيد معنى التجنيد، واستعيرت للجهاد في سبيل الدين، يقال: "نذر الجيش الرجل أي جعله نذيره أي طليعه"، ولعل من عمله إنذار قومه بالعدو، ومع ذلك فإن اكتفاء أغريبا بمنع خصلة الشعر يدل على نزوع هؤلاء النذيرين إلى السلم وإلى الزهد لا إلى السياسية والحرب، كما أن الأدلة

¹ قوجمان، يحزقييل/קוֹגְמָן, יחזקאל. قاموس عبري-عربي/מילון עברי-ערבי، م.س. ص: 533-540؛ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 234؛ العقاد، حياة المسيح في التاريخ، ص: 39-40.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XIX, Chapitre V, p: 518

³ زكار، سهيل (ترجمة). الأنجيل النصوص الكاملة، الطبعة الأولى. دمشق: دار قتيبة، 1428هـ/ 2008م، ص: 639.

⁴ مجموعة من الكهنة وخدام الكنيسة. الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، الطبعة الثانية. القاهرة: كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، 2007م، الجزء 4، ص: 81-82.

على شكل المسيح الخَلقي لا تعتبر أدلة تاريخية، وإنما هي جزء من مخيال الكنيسة الأوروبية التي لا تتصور المسيح إلا في سياق اعتبار الجمال حسب المقاييس الغربية.

كما استدل آخرون بقضية التعميد¹ باعتبارها عادة يهودية حسب التلمود، ويسمى هذا الطقس بـ"التافيل"، ولكن الهدف منه ليس العبور إلى المسيحية، وإنما الطهور الطقوسي²، ولعله مرتبط كذلك بالتوبة لكن ذلك غير مؤكد. وقد عمّد عيسى وقبله يوحنا تلاميذه بهدف التوبة (متى 3: 11/ يوحنا 3: 22)، وأما هم فعَمّدوا بهدف تنصير الناس (أعمال الرسل 18: 8)، والواقع أنه لم يثبت صراحة في الإنجيل أن عيسى عمّد سواء معمودية التوبة أو غيرها، بل هو نفسه قد تم تعميده (لوقا 3: 21)، وهو أمر طبيعي إذ تبث بالنسبة لعيسى لكونه مؤمن بالشرعة اليهودية، ولا أحد ينكر ذلك، لكنه لم يكن من المتعصبين لها والمتزمطين، بل شرح روحها وأشار إلى بعدها الروحاني (متى 5)، ثم إنه لم يثبت تعميده ﷺ بالتافيل باعتباره طهورا طقوسيا، ولم يهتم به، فعلمه أتباعه، فمن الثابت أنه لم يكن يعلم تلاميذه حتى غسل اليدين قبل الأكل حسب الإنجيل (متى 15: 2؛ 11).

وكما كافح إيليا لاقتلاع جذور العبادة الوثنية في عهد الملوك، ناضل عيسى كذلك لانتزاع عبادة النفس من قلوب اليهود. وكان يقوم بعمله التبشيري مراعيًا الظروف والحيثيات التي تعيشها بلاده، وبخلاف إيليا فإن عيسى لم يأمر أتباعه بنحر كهنة الهيكل الذين يدعون

¹ Homolka, Walter. *Jesus Reclaimed: Jewish Perspectives on the Nazarene*. Trans. Ingrid Shafer. New York: Berghahn, 2015, p: 4.

² التلمود البابلي. المجلد الرابع عشر القسم الخامس قوداشيم (المقدسات) الباب الأول زباحيم (الذبايح)، الفصل 2، ص: 55-56.

لمساومة إيمانهم¹. ومن ثم يتبين أن معتقد عيسى اليهودي ليس دليلا على ارتباطه بالحراك الغيوري.

المبحث الثالث: الغيرة وعلاقة الفريسيين بالسيد المسيح.

إن العلاقة بين الفريسيين والغيوريين أمر بيّن، خاصة أن المشارك في تأسيس الفلسفة الرابعة هو صادوق الفريسي. ورغم ذلك فإن يوسفوس -ونظرا لارتباطه بفرقة الفريسيين، ونظرا لأنها في عهد كتابة كتابه "الحرب اليهودية" صارت ممثلة لليهودية الرسمية²- رأى ضرورة تبرئتها ونفسه من مسؤولية تلك الحرب. كما أنه يؤكد في بداية كتابه أن أحد أهداف كتابته هو الدفاع عن اليهود. وفي المقابل فإن يوسفوس لم يطلق على بعض الكهنة المشاركين في الحرب ضد الرومان اسم الزيلوت أو السكاريين، ولم يعرف حقيقة انتماءهم، والتفسير المعقول المتاح هو أن أولئك الكهنة هم فريسيون لم يهتموا بلقب الزيلوت أو السكاريين. كما يقول يوسفوس إن أتباع يهوذا الجليلي "يتفقون تماما في كل شيء مع الفريسيين، باستثناء أنهم جعلوا مهمتهم مناصرة وحدانية الله وأنه يجب عليهم ألا يتخذوا سيذا وملكا غيره، وأنهم يحملون حبا جما للحرية مما يجعلهم مستعدين وأحباءهم لاحتمال أشد ألوان العذاب على أن يطلقوا على إنسان أيا كان لقب رب وسيد"³.

¹ Aslan. *Zealot*, p. 131.

² Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVIII, Chapitre I, p: 473-474 ; « Autobiographie de Flavius Joseph. » Ibid, p : 3 ; Mézange. *Les Sicaires et les Zélotes*, p: 50.

³ Flavius. « Histoire Ancienne des Juifs. » Livre XVIII, Chapitre II, p : 475. "la quatrième sect. Elle s'accorde en toutes choses avec celle des pharisiens, excepté que ceux qui en font profession soutiennent qu'il n'y a que Dieu seul que l'on doit reconnaître pour seigneur et pour roi, et ils ont un si ardent amour pour la liberté qu'il n'y a point de tourmens qu'ils ne souffrent et ne laissent souffrir aux personnes qui leur sont les plus chères, plutôt que de donner à quelque homme que ce soit le nom de seigneur et de maître. »

يقول الربى شوبرت سبيرو: "إذا كان هناك من تمييز معتبر بين الفريسيين والزيلوت، فإنه في سلوكهم وليس في سياستهم، كما هو الشأن في مسألة مقاومة روما. ومن دون شك فإن الفريسيين توصلوا في نقطة معينة إلى عدم جدوى مواصلة المقاومة، وسعوا لإنقاذ البناء الروحي للأمة والاطمئنان على بقاء التوراة (...). وهذا يدل على أن الربيين لم يعارضوا اللجوء للحرب أو استعمال العنف لطرد الحكام الغرباء من وطنهم (...). إن الخلاف بين الزيلوت والربيين كان عمليا وتجريبيا؛ أي هل يمكن أن يكون شن الحرب أمرا ناجحا وإلا فهل الهزيمة تعني الهلاك؟"¹. لقد تم إقحام جدال لاهوتي حين نوقشت قضية تدخل الإله في هذه الحرب واحتمال إنقاذه للهيكل من الدمار، فإن الفريسيين كانوا عقلانيين في هذا الباب بينما اندفع السكاريون بإيمانهم وثقتهم في الرب المبالغ فيها، ولقد كان السؤال العملي حول مخرجات الثورة هو الخلاف الوحيد بين الفريسيين والغيورين².

من الأدلة على موافقة آراء عيسى ﷺ للفريسيين موقفه العدائي تجاه العشارين، ذلك أن عيسى يقارن العصاة والوثنيين بالعشارين (متى 18: 17 / 5: 46-47)، وذلك رأي الفريسيين فيهم (متى 9: 11)، وقد تم تعديل موقفه هذا في لوقا (6: 32-33 / 17: 3)، ولعله رأى من غير اللائق التهجم على مهنة العشار لأنه لم يكن للخلفية التي ينتمي إليها أي عداوة تذكر تجاههم، أو أنه تعمد إخفاء تلك العداوة لأن لها دلالة ثورية، بينما نظر كاتب إنجيل متى الذي يفترض

¹ Spero, Shubert. « In Defense of the Defenders of Masada ». Ibid, p: 33. "If there were a significant distinction between the Zealots and the Pharisees, it was in their behavior and not in policy as in the question of resisting Rome. There is no doubt that at a certain point in the rebellion against Rome the Rabbis concluded that further resistance was hopeless and sought, instead, to salvage the spiritual structure of the nation insuring the survival of the Torah (...) This indicates that the Rabbis did not oppose in principle the recourse to war or the use of violence to remove alien rulers from their land. (...) The dispute between the Rabbis and the Zealots was a practical and empirical one: can war be waged successfully and, if not, does defeat mean decimation?"

² Ibid, p: 37.

أنه ينتمي لبيئة المسيح (أي فلسطين)، إلى المسألة باعتبارها أمراً طبيعياً. إن متى يحمل آراء كنيسة فلسطين، ولعله نقل ذلك من مصدر فلسطيني، خاصة أن مرقس الذي يعتبره البعض مصدراً متى لم يذكر على لسان عيسى أي موقف ضد العشارين. وتعتبر نصوص متى ثابتة في ربط العشارين بالوثنيين، بخلاف الإحياءات غير الواضحة في بقية الأناجيل، ومع ذلك فإن عيسى يراهم أقرب إلى ملكوت الله (متى 21: 31-32)، وهنا وإن كان يربطهم بالزناة، إلا أنه يراهم قد ارتقوا إلى منزلة عليا بسبب إيمانهم به¹.

إن المقارنة بين الفريسيين والعشارين في مرقس (2: 16) التي تشير إلى أن الفريسيين أبرار وأصحاء، بينما العشارون مرضى وخطاة، لا تندرج ضمن أسلوب التهكم، لعدم وجود قرينة، وقراءة النص الظاهرية تبين أن الفريسيين الذين يفترض أنهم أعداء المسيح أفضل حالاً من العشارين، ومن ثم فإنه يفترض حسب هذا التحليل أن عيسى ﷺ له موقف عدائي تجاه العشارين بوصفهم ممثلي السلطة الرومانية في مقابل تعاطفه مع الفريسيين الذين يتبنون آراء ثورية تدعو للعنف ضد الرومان، فلقد كان المسيح على علاقة طيبة مع ثلة من الفريسيين²، وقد حذره فريسيون من هيرود أنتيباس الذي كان يحاول قتله (لوقا 13: 31)، ودعي عيسى في مأدبة عشاء عند فريسي (7: 36)، وكان يجتمع بهم في مناسبات كثيرة ويناقشهم، وكانوا يكونون له الاحترام وينادونه بالمعلم (متى 12: 38).

¹ Walker, William. O. Jr. « Jesus and the Tax Collectors. » *Journal of Biblical Literature*, Vol. 97, No. 2, January 1978, pp. 221-238, p: 224-227.

² Aslan, *Zealot*, p. 106.

شكل الفريسيون مدرستين: واحدة تابعة للرب هليل، وأخرى تابعة للرب شمائي. وقد كانت مدرسة هليل تتقاطع في كثير من الأفكار مع المسيحية، خاصة في باب الروحانيات والفهم غير الحرفي للنصوص، بخلاف أتباع شمائي الذين عرفوا بالحرفية والراديكالية. ومن المعلوم أن الهيمنة بعد الثورة اليهودية الأولى صارت لمدرسة هليل بيمنية، وهذا بفضل نزوعها السلمي والعقلاني وعدم كونها مصدر قلقا للرومان. فمن المحتمل أن الغيورين كانوا طائفة فريسية منشقة تطورت من كونها مدرسة فقهية إلى كونها جماعة عنيفة، خاصة أن أتباع شمائي كانوا ميالين لاستخدام العنف¹، ولعلمهم هم من حكي لوقا في أعمال الرسل توعدهم بقتل بولس (12:13).

يظهر مما سبق هذا تناقض موقف عيسى ﷺ من الفريسيين؛ فقد عرف بمنظوره النقدي الصارم تجاه الفريسيين، ولكن يبدو أن هذا المنظور كان موجها فقط للمتشددين منهم، ومن ثم فلا يستبعد أنه كان يعادي الغيورين لكونهم جزءا من المدرسة الفريسية المتطرفة. فإذا كان الخلاف بين الفريسيين والغيورين تكتيكيا، فإنه لا سبيل إلى أن يكونوا هم ألد أعداء المسيح، باستثناء أن تكون تلك العداوة بين عيسى والفريسيين قد افتعلتها الأناجيل. ولكن الأفكار المتشددة قد استمر صداها عند اليهودية الربية، حيث من الواضح معاداة اليهود للرومان، وتعاطفهم مع معارضهم السياسيين من اليهود، وانتقادهم الشديد لجامعي الضرائب، حيث ورد في كتاب موعيد ما يلي:

¹ Hengel. *The Zealots*, p: 334; Mézange. *Les Sicares et les Zélotes*. Ibid, p: 198.

"تمنى الملك أكربيا (أغريبا الأول) مرة أن يلقي عينيه على جموع إسرائيل، كي يقوم بإحصاء عدد اليهود. لقد كان هذا إجراء غير معروف، لأنه كان يعتبر نذير سوء (...) بالإضافة إلى ذلك لقد كان يُنظر لتعداد السكان بريبة كونه نذير لفرض الضرائب والتكليف، وقرار (قوبرينوس) (كيرينيوس)، حاكم سوريا، بالقيام بتعداد السكان في جوديا (يهوذا) (حوالي عام 6 – 7 بعد الميلاد) كاد يسبب ثورة، إن التعداد ينفذ من قبل (أكربيا) في عام 6 – 7 بعد الميلاد كتلميح للسلطات الرومانية كي يستخفوا بقوة اليهود، ولذلك تجنب إبعاده بعيدا بسبب قسوة وطمع النائب، وكان في ذلك الوقت، يفترض أن أعداد كبيرة إضافية هاجروا إلى القدس في تلك المناسبة"¹.

يستشف من هذا النص رفض واضح لعملية الإحصاء التي قام بها كيرينيوس، ومن المعلوم أن يهوذا الجليلي قام بثورته بسبب هذا الإحصاء الذي اعتبره باب من أبواب الكفر. وورد في نفس الكتاب كذلك أن معارضي الدولة الرومانية الذين قتلوا يعتبرون من الشهداء، وهي إشارة غير مباشرة للحراك الثوري الروماني الأول الذي قاده الفلسفة الرابعة والثاني الذي قاده بركوبا.

ورد في نص آخر من نفس الكتاب: "سئل الحاخام يوسف ابن الحاخام يشوع بن ليفي من قبل والده: "ماذا رأيت؟" لقد رأيت عالما معكوسا". أجاب: "الطبقة العليا في الأسفل والطبقة السفلى في الأعلى"، أجاب: "يا بني"، لقد لاحظ، "لقد رأيت عالما واضحا. وكيف تم وضعنا هناك؟" مثلما نحن هنا، نحن هناك. ولقد سمعهم يقولون "السعيد هو الذي يأتي

¹ التلمود البابلي. م.س، المجلد الخامس القسم الثاني موعيد (الأعياد)، الباب الثالث فسحيم (عيد الفصح)، الفصل 5، ص: 246.

إلى هنا وعلمه في يده". وقد سمعهم أيضا يقولون، "أولئك الشهداء بواسطة الدولة، لا يستطيع أي رجل أن يقف ضمن حدودهم". من هم هؤلاء الشهداء؟ هل نقول الحاخام عقيبا ورفقاءه؟ - والذين تم إعدامهم أو استشهداهم على يد الدولة الرومانية في أوقات مختلفة بسبب إصرارهم على تدريس العهد القديم بالرغم من تحذير الرومان¹.

كما ورد في ملحقات التلمود أن عذابا شديدا في الآخرة ينتظر جباة الضرائب، ومن ثم تعلن اليهودية الربية صراحة عداوتها للرومان، خاصة حينما تنتقد الجنود أيضا، والنص يرد كما يلي: "يعلن الكتاب المقدس بخصوص جامع الضرائب، المصادرين، المبتزين وجامعي الرسوم؛ "ثرواتكم، بضائعكم، سلعكم، البحارون خاصتكم، والطيارين خاصتكم، الجلادين خاصتكم، مبادلي سلعكم، وجميع رجال الحرب، الذين فيكم، وجميع الجمع الذي في وسطكم، سيقعون في قلب البحار يوم الدمار"².

إن هؤلاء الفريسيين -الذين يرى كثير من الباحثين مدى ارتباطهم بجماعة الغيورين- لم يكن أحد منهم يحب المسيح، بل ناصبوه العداوة واتهموه بادعاء الألوهية (يوحنا 19: 7)، فأسلموه للرومان ليعدموه³، وكان رفضهم له نابع من غيرتهم على الشريعة، ولم تكن غيرة عيسى ﷺ لتغير قيد أنملة من رأيهم فيه، فإنهم كانوا ينتظرون مخلصا بشريا مؤيدا من الله ﷻ لا كائننا يزعم امتلاكه لقوى خارقة.

¹ التلمود البابلي. المجلد الخامس، القسم الثاني موعيد (الأعياد)، الباب الثالث فسحيم (عيد الفصح)، الفصل 3، ص: 187.

² نفسه. المجلد العشرون ملحقات التلمود الجزء الأول، الباب الخامس ديرخ إيرص (السلوك في الدنيا)، الفصل 2، ص: 246.

³ Scott, Hamish M. "The Times of Christ". *The Biblical World*, Vol. 6, No. 6, December 1895, pp. 413-423, p: 418.

لقد كان الشعب الإسرائيلي كله متشوقا لمجيء ذلك المسيح الإلهي الذي سيسود العالم، ومن خلال ذلك انصدم البعض لرؤية مسيح يدعوهم إلى مملكة سماوية وعالم غير أرضي¹، ولهذا صاح جميعهم في حضرة بيلاطس "إِصْلِبْهُ" (مرقس 15: 12-14 / لوقا 23: 21 / يوحنا 19: 14: 15)، ويبدو أن التقليد الإنجيلي الذي توصلنا به يقترح أن كارثة سنة 70م وعواقبها هي نتيجة لعمل رؤساء اليهود والغوغاء والمتعصبين لرأيهم الذين تأمروا لصلب عيسى².

كما أنه ليس من المستبعد أن الغيورين آمنوا بعيسى باعتباره نبيا، لكنهم لم يؤمنوا به باعتباره مسيا، خاصة أنه لم يكن يقدم نفسه إلا باعتباره ابن إنسان، واسم عيسى لم يذكر إلا على لسان أتباعه أو معارضيه، وحسب مقال "المعنى الكريستولوجي لإنجيل يوحنا 20: 31" ("The Christological meaning of John 20 : 31") فإنه من المحتمل أن عيسى رغب في مناوأة الطموح القومي السائد المرتبط بعنوان من قبيل "المسيا"، حيث يختلف معتقد مسيحي اليوم المرتبط بهذا العنوان، ولعله السبب نفسه الذي جعل المسيح يمنع الناس من وصفه بملك، فقد كان بعض تلامذته غيورين مثل: سمعان الغيور ويهوذا الاسخريوطي، وكان اعتقادهم فيه يختلف عن مفاهيم عيسى الروحانية. لقد ارتبط مفهوم المسيح حسب الأنجيل بالخلاص العالمي وليس بالخلاص السياسي القومي، وقد برز ذلك من خلال محادثة المسيح مع المرأة السامرية، حيث تطرق للحديث عن أمور روحانية من قبيل أنه نبي وتحدث عن ماء الحياة والحياة الأبدية والسجود بالروح، ولهذا السبب اعتبره السامريون بعد أن استضافوه وسمعوا كلامه مسيحا ومخلصا للعالم (يوحنا 4: 42) لا مخلص إسرائيل

¹ Scott, Hamish M. "The Times of Christ." Ibid, p: 418.

² Garber, Zev. « The Jewish Jesus: A Partisan's Imagination. » *Shofar*, Vol. 23, No. 3, Spring 2005, pp. 137-143, p: 140-141.

المنتظر، فإن كلمة عالم هنا هي "كوسموس" (Cosmos) أي كون، ولها علاقة بمفهوم المخلص السماوي الذي يعد مألوفاً عند السامريين أكثر من بقية اليهود¹، وهو خلاص يخص الذين يؤمنون به، ومن خلال ذلك يكون لهم قيامة وحياة أبدية، ولا علاقة له بنصرهم الدنيوي وتمكنهم في الأرض.

لعل نظرة عيسى لقضية المسيحية هي من غدى العداوة بينه وبين الغيورين الفريسيين، ولهذا السبب ورغم اتفاقه وإياهم في العديد من النقاط، اختلفت بينهما السبل لأن أحدهما كانت خطته لا تتجاوز أنفه، بينما الآخر كان يحسب الحساب لما وراء الطبيعة، ومن ثم كانت الخلافات بين عيسى والفريسيين دليلاً قوياً على عدم ارتباطه بالثورات اليهودية ضد روما. ورغم أن عيسى ﷺ لم ينتم إلى أي من فرقتي الغيورين أو الفريسيين، إلا أنه لم يناصبهما العداوة، وشاركهما في حب إسرائيل وشعبها وبغض الاحتلال والغيرة للتوراة².

¹ Groenewald, E. P. « The Christological meaning of John 20: 31. » *Neotestamentica*, Vol. 2, 1968, pp. 131-140, p: 133-135.

² Farmer. *Maccabees, Zealots and Josephus*. Ibid, p: 190.

الفصل الثاني:

حدود العلاقة بين عيسى والغيورين من خلال رسالته

عرف كل عصر مصالحة اجتماعيا أو مفكرا إنسانيا يقدم صورة معتدلة تخفف من ضغط الأعراف الاجتماعية عن الأفراد، حيث تحافظ تلك النسخة على نفس مبادئ ومفاهيم المجتمع، شرط أن يتوافق وشروط العصر المعيش، ولهذا كانت رسالة السيد المسيح ﷺ تنقيحا لمفهوم الغيرة، بعيدا عن تعصب الفريسيين أو الغيورين الذين لم يختلف معهم في الغاية، ولكنه اختلف معهم في الوسيلة. كانت غيرة عيسى ﷺ أحفظ لدين اليهود من أنفسهم، ولكنهم أساءوا فهمه لأنهم نظروا إليه وفق تصورهم عن المسيح المخلص، فأنكروا رسالته، فضلوا سواء السبيل.

المبحث الأول: المسيح وإشكالية الملك ودفع الجزية.

ينبغي الاعتقاد بانتفاء عيسى إلى الغيورين على عدة أدلة أهمها؛ تهمة صلبه، وهي بمثابة عقوبة على تحريض الشعب ضد الرومان، والدعوة إلى عدم دفع الجزية، وهي نفس القضية التي ارتبطت بمؤسس الفلسفة الرابعة أي يهوذا الجليلي. إضافة إلى ذلك، يدعم الباحثون أدلتهم بحدث دخول عيسى الملوكي إلى أورشليم، واستقباله من قبل أهلها ملوحين بسعوف النخل قائلين [«أَوْصَنَّا! مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيل!»] (يوحنا 12: 13). علاوة على ذلك، فقد تكرر استخدام لقب ملك إسرائيل في الإنجيل في صيغة "ملك اليهود" التي تم تعليقها على لافتة الصليب الخاص بعيسى ﷺ (متى 27: 37)، ولعل هذه الجملة بنيت على اعتقاد اليهود فيه أو على الأقل على التهمة التي وجهت إليه (مرقس 15: 12)، فادعاء الملوكية يعني تحدي سلطان روما والدعوة للتمرد. وقد ادعى مناخم وقبله حزقيا وغيره من السكاريين أنهم ملوك، أو على الأقل طالبوا بهذا المنصب.

يذكر فراس السواح¹ -المعارض للرأي القائل بغيورية عيسى- أنه لم يدع الملوكية ولا النسبة إلى داود ﷺ، وذكر أن تجمعاته بأتباعه كانت تجمعات روحية ذات طابع صوفي، وحتى دخوله لأورشليم كان من حيث هو معلم روحي "يريد إسماع صوته في عاصمة الجبل والغطرسة، برفقة مجموعة من أتباعه البسطاء الذين ينتمون إلى شرائح فقيرة في المجتمع"²، كما بين أن دعوته كانت موجهة لغير أهل بيته، خاصة أن عشيرته رفضته (متى 13: 57).

ويضيف السواح أن: "في البحث عن يسوع التاريخي تتخذ أقوال يسوع نفسه مصداقية أعلى من الأقوال المنسوبة إلى معاصريه، لأن أقوال يسوع التي وضعت في مجموعة أو أكثر (...) هي أقدم سجل مكتوب عن يسوع، وقد كانت متداولة قبل تدوين وتداول الأناجيل بعد عقود، وصارت بعد ذلك مصدرا رئيسا لمؤلفي الأناجيل عندما كتبوا سيرة مطردة ليسوع تحتوي على أكثر من الأقوال"³. وطبقا لهذه القاعدة فإن عيسى ﷺ لم يدع أنه ملك ولا أنه ابن لداود (إنجيل متى 22؛ 44).

كما استدل السواح بأقوال أخرى وردت على لسان عيسى ﷺ، ومنها ذكره أن ملكوت الله ليس أرضيا ولكنه روحاني (متى 12؛ 26)⁴، وذكر أن مواعظه لم تتضمن أي "تحريض سياسي علي" وانصبت مقاومته للسلطات الروحية المتمثلة في القوى الشيطانية (يوحنا 12؛ 31).

¹ فراس سواح (1941): كاتب سوري، من مواليد مدينة حمص. باحث في الميثولوجيا وتاريخ الأديان. يشغل منصب أستاذ في جامعة بكين للدراسات الأجنبية بالصين. ويدرس الحضارة العربية وتاريخ أديان الشرق الأوسط. وأهم أعماله: مغامرة العقل الأولى وموسوعة تاريخ الأديان.

n.d. Retrieved 17 December 2020, from

<https://web.archive.org/web/20160814231547/http://arab.bfsu.edu.cn/index.php/Index/article/id/266>

² السواح. أَلغاز الإنجيل، م.س، ص: 271.

³ نفسه، ص: 264-265.

⁴ السواح. أَلغاز الإنجيل، ص: 266.

وكذلك التزم عيسى بأداء الضريبة الرومانية (متى 17؛ 24-27)، ولم تر السلطة الرومانية في حركة عيسى ما يريها مدة طويلة؛ أقلها سنة من التبشير حسب الأناجيل الإزائية¹، وثلاث سنوات حسب إنجيل يوحنا². كما أن بيلاطس الذي عرف بقساوته وعدم تهاونه مع مثيري الشغب لم ير عيسى مذنباً³.

اعتمد السواح علاوة على ذلك على بعض الأحداث ليثبت ما ذهب إليه، فأورد رواية هرب عيسى من أتباعه الذين كانوا ينوون اختطافه لجعله ملكا (يوحنا 6؛ 14-15). كما شك بيلاطس أن تهمة ادعاء الملكية التي اتهم اليهود عيسى بها ليست صحيحة، ولا تستحق عقوبة إعدام. إن عيسى ليس أحد قطاع الطرق أو الإرهابيين الثوار (الزيلوت والسكاريين) الذين اعتيد مطاردتهم من قبيل باراباس وإلا لتحمس هو نفسه لصلبه. وإنه من المثير للاهتمام أن يناديه بيلاطس بالمسيح (متى 27: 17) وملك اليهود (مرقس 15: 9/ يوحنا 18: 39)، وهذا يدل على أن بيلاطس علم أن المسألة تركز على أصل ديني، ولا علاقة لها بجريمة تنتهك الحقوق العامة كإثارة الشغب أو التحريض، ولهذا سعى لتحريره باقتراحه إطلاق صراحه أو إعدام باراباس بدلا عنه (متى 26: 16-26)، ويبدو أن هذه القصة مفتعلة⁴، فقد تكون مجرد محاولة

¹ **الأناجيل الإزائية**: يطلق على الأناجيل الثلاثة الأولى "الأناجيل الإزائية" (Synoptic) وهي كلمة مشتقة من فعل يوناني مركب يعني "يمكن الإحاطة به"، وسميت كذلك لما فيها من تشابه كبير يجعل من السهل دراستها معا. فهي متقاربة في طريقة كتابتها. "كانت على الدوام، ثمة مشكلة بخصوص الأناجيل الثلاثة الأولى، ناشئة عن طبيعتها الفريدة، منذ ظهور الأناجيل الثلاثة معا في الأسفار القانونية للعهد الجديد، فلا يستطيع أحد أن يقرأ بعناية هذه الأناجيل بالتتابع، دون أن يدرك وجوه التشابه ووجوه الاختلاف في محتوياتها". وهناك خلاف بين النقاد حول المصدر الذي اعتمدت الأناجيل عليه، هل هو التراث الشفوي أي ما تناقله الناس من أقوال عيسى فصار ثابتاً، أم أن كل من الأناجيل تشكل مصدرا للإنجيل الآخر وهذا الرأي دافع عنه أوغسطينوس، أم أنهم اعتمدوا على إنجيل شبيه مصدرا أصليا "إن لم يكن هو إنجيل مرقس"، وهذه النظرية هي التي تكتسح الميدان في الوقت الحاضر. باركلي، وليم. **تفسير العهد الجديد: إنجيل مرقس**، الطبعة الأولى. ترجمة: فهم عزيز، القاهرة: دار الثقافة، 1993، المجلد الأول، ص: 464؛ بباوي وآخرون. **دائرة المعارف الكتابية**. م.س، المجلد الأول، ص: 442-443.

² السواح. **ألغاز الإنجيل**، ص: 266-267.

³ نفسه، ص: 268.

⁴ Foyer, Dominique. « Les récits du procès de Jésus. » *Histoire de la justice*, Vol. 1, No 23, 2013, pp. 17-41, p : 37.

من إنجيل يوحنا لإصلاح العلاقة بين المسيحيين والرومان، لذلك افتعل القصة ليبين أن الجموع هي من فضلت الإبقاء على عيسى وإطلاق صراح مجرم كي يسقط اللوم كله على اليهود دون الرومان. إن التهمة التي ألصقها اليهود بعيسى ﷺ للحكم عليه بالموت ليست تهمة سياسية، بل دينية، وهي ادعاءه بزعمهم أنه ابن الله، والتي تعني من جهتهم أنه أعلى من التوراة والهيكل¹.

وبخصوص دخول عيسى ﷺ الانتصاري لأورشليم، شكك السواح في الهتافات التي رآها غير منطقية، وبين أن الأناجيل ضخمت الحدث الذي بدا أقل أهمية في مرقس (11: 1-11)، والواقع أن الذين استقبلوه في أورشليم ما هم إلا تلاميذه مع وجوب حذف تلك العبارات غير المنطقية²، فإن دخول عيسى الانتصاري لأورشليم يخدم اللاهوت المسيحي، لأن المؤلفين كانوا يحكيون القصص حول عيسى ليس وفقا لما هو تاريخي دائما، ولكن وفقا لما يخدم تحقيق النبوات بمجيء ابن الله المخلص الذي يعتبرونه ملك الملوك لا ملك إسرائيل وحدها (زكريا 9: 9)، ولعلها كذلك محاكاة لقصة سليمان (ملوك الأول 1: 32-40)، وإذا كان هذا التبختر بالملوكية ديدن الغيورين، فإن ذلك يتم بعد انتصار معين قد حققوه مثل ما فعل مناحم، وأي انتصار حققه عيسى وهو نفسه يدفع الجزية لروما؟

أعلن عيسى ﷺ في "باحة الهيكل أمام الجميع أنه ليس خصما للسلطة الرومانية عندما أفتى بدفع الجزية لها" (مرقس 12؛ 14). كما يرى مجموعة من الباحثين أن عيسى لم يوص فقط بدفع جزية الإمبراطور، بل قام بتنمية موقف الخضوع للدولة الرومانية، وهو نفس

¹ Ibid, p : 41.

² السواح. ألغاز الإنجيل، ص: 269.

الموقع الذي تبناه بولس فيما بعد (رومية 13-1-10)، والذي يتلخص في كون مقاومة الحكام تعادل مقاومة الله، وهذا يرتبط ارتباطاً قوياً بعدم إثارة عيسى لثورة ضد السلطات السياسية.

يرى كذلك آخرون أن عيسى ﷺ يوجه -بمقالاته بخصوص الجزية (متى 22: 21)- رسالة مضادة للفكر الغيوري الذي يربط بين دفع الجزية والخضوع لغير الله، كأن عيسى يقول لهم: "يا من تستخدمون العملة التي تحمل صورة قيصر أولى لكم أن تعطوها لصاحبها"، فإنه لا يعقل أن يستخدموا عملة يزعمون أن دفعها كفر، بينما هم أنفسهم يتداولونها، كما أنه يضيف بقوله: [أَعْطُوا ... مَا لِلَّهِ لِلَّهِ] معنى ثانياً؛ ألا وهو أن على من يعطون قيمة كبيرة لموضوع الجزية -التي تعد مسألة ثانوية- أن يعيروا الأهمية للتوبة والخضوع لله، خاصة أنهم قد خلقوا حسب التوراة على صورة الله، فهم بصفاتهم بشراً حاملين لصورة الله مدينون أولاً لله بالإجلال والخدمة. يقول جاستين يوكبونج¹ (Justin S Ukpong): "إن أخذ جواب عيسى بمعنى أن الجزية ينبغي دفعها، مثلما ورد في هذا التفسير، يجعل من الصعوبة تبرير سبب تعجب محاوريه (...) والتعجب عامة يرتبط بما لا يفهمه المرء أو لا يتوقعه"². يبدو حسب يوكبونج أن لوقا ومرقس لم يفهما جواب عيسى باعتباره توجيهاً عملياً لتابعه، بل اعتبراه من جهة مبدأ، ومن جهة أخرى تجنباً منه لمحاولة المحاورين له من فريسيين وهيروديين اصطياده

¹ جاستين يوكبونج (1940-2011): ولد بإتينان - نيجيريا. عالم متخصص في العهد الجديد. شغل منصب أستاذ بجامعة كوازولو-ناتال.

من أعماله: *Reading the Bible in the Global Village* و *African Interpretation of the Bible: A Reader*.

² Ukpong Justin S. «Tribute to Caesar, Mark 12:13-17 (Mt 22:15-22; Lk 20:20-26).» *Neotestamentica*, Vol. 33, No. 2, 1999, pp. 433-444. p: 435. "Taking Jesus' answer to mean that the tax should be paid, as this interpretation, makes it difficult to explain why the interlocutors would be 'amazed' (...) and amazement is generally connected with what one does not understand or expect ..."

بكلمة من أجل اغتيال سمعته، سواء أمام اليهود الذي يكرهون دفع الجزية أو أمام الرومان الذين قد يعتبرونه مثيرا للقلق، ولكنه لم يقبل أو يرفض دفع الجزية بوضوح¹. إضافة إلى ذلك، فإن يوكبونج يرى أن التوصية بدفع الجزية لا تعزز الخضوع للنظام الاستعماري، لأنها تختلف عن الضريبة بصفة عامة والتي تعد برأيه أكثر دلالة على الخضوع للدولة. كما أنه يرى أن عدم إثارة عيسى لثورة بفلسطين ضد النظام لا يمكن أن يكون استخدامه صحيحا لدعم تأويل نص دفع الجزية لقيصر، لأن عدم إثارتها لا يعني تأييد الظلم الذي تجسده الجزية². وهذا يعني أنه ليس من المستبعد أن عيسى كان معارضا لدفع الجزية ووجود المحتل، لكن ذلك لا يعني أنه دعا للثورة ضده.

يرى صمويل براندون في المقابل أن عيسى وإن لم يكن غيوريا فإنه وأتباعه تعاطف بقوة مع مبادئ الغيوريين، وبما أنهم يرفضون دفع الجزية، فإن جواب عيسى ﷺ [أَعْطُوا ... مَا لِلَّهِ لِلَّهِ] لا يبطل المعنى السطحي لقوله [أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ]، ذلك أن الأشياء التي تعتبر لله تتضمن أرض إسرائيل وسيادته عليها، وقد تم التنازل عنها بدفع الجزية للوثنيين المسيطرين عليها، وبهذا يكون معنى جواب عيسى عدم جواز دفع الجزية لقيصر³.

بما أن الجزية تعتبر ظلما لليهود، بينما مهمة عيسى ﷺ هو تحرير المظلومين (لوقا 4: 18)⁴، فإنه يراها غير شرعية، ولكنه لا يمنع دفعها ليجنب الناس الصدام مع الرومان، ولذلك اتهم فيما بعد بالتحريض على عدم دفع الجزية لقيصر، لأن ذلك ما استوعبه

¹ Ukpong Justin S. «Tribute to Caesar, Mark 12:13-17 (Mt 22:15-22; Lk 20:20-26). » p: 438.

² Ibid, p: 434.

³ Brandon. *Jésus et les Zélotes*. Ibid, p: 86-89.

⁴ ينظر كذلك: الرهبة اليسوعية. الكتاب المقدس: العهد الجديد.

محاوروه فيما بعد (لوقا 23:2). كما أن التفسير الذي يعزز ميول عيسى للفكر الثوري يبدو وثيق الصلة بالموضوع، لكن القول إن عيسى يدعم استخدام العنف عند الغيورين لا يصمد أمام الأدلة الواضحة التي نجدها منتشرة في الأناجيل حول تبشير عيسى ﷺ المستمر ضد استخدام القوة¹.

إن موقف عيسى من الجزية لا يفسر ارتباطه بالغيورين، فهو كأبي يهودي يؤمن أن الأرض لله ويحق استردادها، وهذا إيمان كل شخص حر غيور على ما يملكه من حقوق. إن الفعل "أبوديدومي" (apodidomi = ἀποδίδωμι) في اللغة اليونانية والذي يعني "أعدل" هو كلمة مركبة: فالجزء (apo = ἀπο) هو حرف جر يعني "عاد مرة ثانية"، بينما "ديدومي" (didomi = δίδωμι) هو فعل الإعطاء، فهذا التعبير (apodidomi = ἀποδίδωμι) يستخدم خاصة في سياق الحديث عن إرجاع ما يملكه شخص ما مرة ثانية، وهذا يعني أن هذا الشخص كان صاحب ذلك الشيء من منذ البداية، ومن ثم فإن قيصر يستحق قطعة الدينار النقدية مجدداً لأنه يستحق الإتاوة، ولكن لأنه صاحبها منذ البداية، فهي تحمل صورته واسمه: ولا علاقة لله بهذا الأمر، ولكن الله ﷻ هو صاحب الأرض وهي ملك له منذ البداية، وإن احتلها الرومان أو تملكها بنو إسرائيل، وقيصر لا علاقة له بالأمر². يقول الرب: [وَالْأَرْضُ لَا تُبَاعُ بَتَّةً، لَأَنَّ لِي الْأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عِنْدِي. بَلْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مُلْكُكُمْ تَجْعَلُونَ فِكَائًا لِلْأَرْضِ] (اللاويين 25:23). ولا يعيب عيسى ﷺ غيرته على أرض الله المقدسة، ورفضه لظلم أهلها، ولا يعيبه رفض الجزية باعتبارها رمزا لهذا الاحتلال، لكن ذلك لا يضعه مع

¹ Ukpong. «Tribute to Caesar, Mark 12:13-17 (Mt 22:15-22; Lk 20:20-26). » p: 435; 441-442.

² Aslan. *Zealot*, p: 88.

المتهورين من اليهود في خندق واحد، ولهذا كان جوابه حكيما وليس عنيفا أو حماسيا، فهو يعلم أن زمن الحماية قد ولى، ومن ثم يتبين أن قبول عيسى لدفع الجزية من رفضه لا يغير من موقفه تجاه العنف من شيء.

إضافة إلى ذلك، -فإن المسيح حسب رضا أصلان- كان أكثر اهتماما بتجار الدين من كهنة المعبد الذين يسيطرون على هيكل الرب من اهتمامه بالمحتل الروماني الوثني لفلسطين، ومع أن الفريقين اعتبرا عيسى مصدر إزعاج إلا أنه حسب الأنجيل اعتبر الكاهن الأكبر قيافا عدوه اللدود الذي كان المخطط الأول لإنهاء حياته¹. إن أعداء عيسى ﷺ الرئيسيون كانوا كهنة المعبد الذي يخدعون الناس باسم الدين، وأما علاقته بغيرهم -سواء تعلق الأمر بالفريسيين أو السلطة الرومانية- فقد كانت متفاوتة، فنجدته مثلا يشفي ابن قائد المئة ويعتبر إيمانه أفضل من إيمان اليهود (متى 8: 5-13)، وحدث تلامذته عن السامري الذي تفوق في أخلاقه على الكهنة واللاويين (لوقا 10: 30 – 37).

إن علاقة عيسى بالسلطة الرومانية لم تكن مضطربة، وإلا لتم القبض عليه مباشرة من قبل السلطات الرومانية دون الحاجة لتوسط من اليهود، وإلا فلماذا يمثل عيسى أمام السنهدرين قبل الوالي الروماني (متى 26: 58-66 / 27: 2)، إن هذا للدليل على أن تهمة عيسى كانت دينية في الأساس (يوحنا 18: 31 / 19: 6).

¹ Aslan. *Zealot*, p: 106.

المبحث الثاني: دعوة عيسى ﷺ للسلام بخلاف الغيورين.

استطاعت النصوص الإنجيلية إقناع بعض الباحثين بنزوع عيسى ﷺ نحو العنف؛ مثل اقتحامه الهيكل، وحمله سوطا وقلبه مناضد التجار وطردهم في حضور شرطة الهيكل (يوحنا 2: 15)، إضافة إلى أمره أتباعه بشراء أسلحة قبل القبض عليه (لوقا 22: 36 - 38)، وإعلانه عدم مجيئه ليلقي سلاما بل سيفاً على الأرض (متى 10: 34)، ورغم أنه حسب الأنجيل لم يخض معركة حقيقية ضد الجنود الرومان، ولم يتسبب في فتنة واضطراب حقيقيين، إلا أنه في الأخير اتهم بذلك وحكم عليه بالصلب بناء على قول رؤساء الكهنة والجموع: «إِنَّهُ يَهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا» (إنجيل لوقا 23: 5).

يقول عالم اللاهوت أوسكار كولمان (Oscar Cullmann)¹ في كتابه "عيسى وثوار عصره" (*Jésus et les révolutionnaires de son temps*): "إن الأنجيل تحتوي على نوعين من الشهادة بخصوص علاقة دعوة يسوع للعنف ضد الرومان، فإذا حاولنا جمع كل الشواهد الكتابية التي تتكلم عن موقف يسوع الإيجابي من الغيورين لرأينا فيه غيوراً، ولكن لو حاولنا جمع الشواهد التي تتكلم عن موقف يسوع السلبي إزاء الغيورين لوجدنا أنه لا يتفق وتعاليمهم. وإن علم التفسير وأبسط قواعده لا تسمح لنا بأي حال من الأحوال الاستناد على

¹ أوسكار كولمان (1902-1999م) عالم لاهوت وناقد كتابي لوثري فرنسي، ومتخصص في نقد العهد الجديد، والكنيسة الأولى، وتاريخ الخلاص، ومن أعماله: *Le Salut dans l'Histoire*.

بعض الآيات التي تؤيد وجهة نظر معينة دون الأخذ في الاعتبار للآيات الأخرى التي تؤيد وجهة النظر المعارضة وليس من حقنا فصل هذه الآيات عن قرينتها¹.

حسب كولمان فإن من يعتقدون أن عيسى مسيح سياسي، يرجعون إلى عظاته الخاصة بملكوت الله، وكيف أنه بشر بأن ملكوت الله قد اقترب، وأنه مرسل من قبل الله ﷻ لكي يتمم رسالة إلهية قد كلف بها، وكان الغيوريون أيضا يبشرون بأن المسيا سيأتي حاملا رسالة دينية وسياسية، ومن ثم يظهر عيسى ﷺ بمظهر المؤيد لموقف الغيورين، كما أنه كان كارها لهيرود أنتيباس حيث لقبه بالثعلب: [«امضوا وقولوا لهذا الثعلب: ها أنا أخرج شياطين، وأشفي اليوم وغدا، وفي اليوم الثالث أكمل...»] (لوقا 13؛ 31-35)، وهيرود أنتيباس يمثل السلطة الرومانية الحاكمة التي يقاومها الغيوريون بكل ما أتوا من قوة ووسيلة. إن هذا التصريح يعتبر إذن ضد هيرود وضد السلطة الرومانية التي تسيطر على البلاد.

بناء عليه يمكن القول بأن السيد المسيح ﷺ كان مؤيدا ومساندا للغيورين، بل كانت له ميول واتجاهات وتصرفات غيورية، والذين يظنون بأن عيسى كانت تسيطر عليه نفس الميول التي كانت تسيطر على الغيورين يقتبسون هذه الكلمات: [فَقَالَ لَهُمْ: «لَكِنَّ الْآنَ، مَنْ لَهُ كَيْسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمَزُودٌ كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِيعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا...»] (لوقا 22؛ 36)، واستنبط الذين ظنوا أن عيسى كان غيوريا ومسيا سياسيا من هذا النص أنه في تلك اللحظة سلح تلاميذه من أجل الدفاع عنه ليحصلوا على النصر ضد العدو، فظن البعض أن موقفه تجاه

¹ نقلا عن الخضري، حنا جرجس. تاريخ الفكر المسيحي: يسوع المسيح عبر الأجيال، م.س، ص: 254.

الثوار الغيورين كان إيجابيا وأنه كان منهم، وذلك جراء إخراج النصوص من سياقها التي وردت فيه حسب كولمان¹.

ويشير هينجل إلى أن حمل السيف في ذلك الزمن كان أمرا ضروريا لأي شخص يتنقل بين المدن أو الأمصار، فمهما بلغت الجماعات من سلمية، إلا أنها كانت تسافر وهي تحمل معها أسلحة حفاظا على حياتها من الوحوش وقطاع الطرق²، فالمسيح هنا لا يحض تلاميذه على حمل السيف والحرب لتخليصه من أعدائه وإنقاذه من الموت، بل إنه كان فقط ينفذ النبوة إشعياء [وَأُخْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ] (إشعياء 53؛ 11-12 / لوقا 22؛ 37)، وهو يقصد من غير تصريح أن هذا النص هو عبارة عن محاكاة لما ورد في العهد القديم من قبل لوقا ليؤيد مسيحانية عيسى باعتباره المخلص الذي سيحمل آثام البشرية.

يرى كولمان إضافة إلى ذلك أن المسيح حسب تعاليمه يشدد على عدم اللجوء إلى العنف واستخدام السيف، من خلال قوله لا تقاوموا الشر والتطويات التي تحت على محبة الأعداء (متى 5؛ 38-44) وأمره بطرس بإرجاع سيفه إلى مكانه [لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ] (متى 26؛ 52)، والسؤال المطروح يبقى: أين ذهبت كل نصوص المحبة التي حث عليها عيسى؟ (يوحنا 13؛ 34-35 / 12-17)³، تلك المحبة التي أكدها بولس (رومية 5؛ 8)، إنها تنفي كونه غيوريا، لأن سفك الدماء يتعارض مع رسالته التي تقدس الحياة (يوحنا 10؛ 10 و 45 / 3؛ 16).

¹ الخضري، حنا جرجس. تاريخ الفكر المسيحي: يسوع المسيح عبر الأجيال، م.س، ص: 254-255.

² Hengel, Martin. *Was Jesus Revolutionär?* Ibid, p: 17.

³ الخضري. تاريخ الفكر المسيحي، ص: 237؛ 256.

استدل كثيرون لإثبات ميول عيسى نحو العنف بنص: ["لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِي سَلَامًا بَلْ سَيْفًا"] (متى 10: 34)، والواقع أن هذا النص يَضْعُف الاستدلال به لأن الذي يليه يشرحه ويبين أن المقصود هنا هو سيف الفرقة، فيقول عيسى: ["فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ"] (متى 10: 35)، وقد استخدم الإنجيل الكلمة اليونانية "مخaira" (Μάχαιρα = Máchaira) للتعبير على السيف، والتي قد تفيد السيف القصير أو السلاح عامة أو أداة للقطع، وهو نفسه الذي استخدمه بطرس لقطع أذن خادم الكاهن (متى 26: 51). كما استخدمت الكلمة في سفر المكابيين (3: 12)، ونفس هذه الكلمة في كل هذه المواقع عبر عنها في نسخة الفولكاتا بكلمة "جلاديوم" (gladium) والتي تفيد السيف الذي كان يستخدمه الرومان¹ سواء في الدفاع أو الهجوم، كما يمكن أن يطلق على نفس الأداة التي يستخدمها الجزار، ويبدو أن تعبير عيسى ﷺ كان مجازيا خاصة أنه لم يظهر وفي يده سيف حرفيا، وحسب التقليد المسيحي فالكلمة تعني الحرب وهي ضد الكلمة اليونانية "إيريني" (εἰρήνη = eiríni) التي تفيد السلام، وذلك ما تؤكدته تنمة الكلام، فالأمر متعلق بصراع وفتنة داخلية تحدث داخل الأسرة الواحدة. كما أن لوقا (12: 51) استخدم كلمة "دياميرسموس" (διαμερισμός = diamerismós) والتي تعني الشقاق. بالإضافة إلى ذلك، أشار أيلاري أسقف بوتيه (315-368م)² (Hilary of Poitiers) إلى أن المسيح وعد

¹ The Holy Bible: Latin Vulgate Translation. Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library, 2002, p: 1349.

² أيلاري أسقف بوتيه (320-368م): ولد بمدينة بوتيه أو بالقرب منها لأبوين وثنيين. تنصر في شبابه. ثم سار أسقفا وكان يعتبر مطرقة الأريوسيين في بلاد الغال. نفي إلى فريجيا. كتب كتاب حول الثالوث وكتب في التاريخ.

أتباعه بسلام يلحق هذا الشقاق في يوحنا (14: 27)¹. علاوة على ذلك، يقترح كلايطن كروي (N. Clayton Croy)² أن المسيحيين قد اضطهدوا من قبل الرومان، ولم يروا السيف حلاً لمشاكلهم رغم سجنهم وتقتيلهم³.

لكن النص بحد ذاته إن لم يكن يدعو إلى أي حرب أو عنف، فإنه لا يدعو للمسلم كذلك⁴. لذلك يقول عيسى: ["مَنْ أَحَبَّ أَبَا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ لَا يَأْخُذُ صَلَيبَهُ وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي"] (متى 10: 36)، فهو لا يتسامح مع من يضحى بدينه في سبيل إرضاء الآخر، ويأمر أتباعه بالتضحية بأنفسهم من أجل رسالته، وذلك ما يقصده بحمل الصليب، أي ليتوقع مريدو رسالته الاضطهاد والفتنة، ولذلك يقول: ["وَسَيُسَلِّمُ الْأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الْأَوْلَادُ عَلَى وَالِدَيْهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ."] (متى 10: 21-22). فهي حرب لا سلم فيها، إلا أن العنف فيها ليس باختيار، بل الأصلح حسب إرشاده هو الفرار بالدين، ولذلك يقول لهم: ["وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الْأُخْرَى"] (متى 10: 23).

Cazenove, John Gibson. *St. Hilary of Poitiers and St. Martin of Tours*. London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1883, p: 14.

¹ Hilary of Poitiers. *Commentary on Matthew*, trans. D. H. Williams. Washington, DC: Catholic University of America Press, 2012, p: 123-124.

² كلايطن كروي (1955م): أستاذ مشارك للعهد الجديد في معهد لوثر للثالوث بمدينة كلومبوس. وهو متخصص في اللغة اليونانية والعهد الجديد. مما ألفه نجد: *A primer of Biblical Greek* و *The Mutilation of Mark's Gospel*.

³ Croy, N. Clayton. «Sword Handling: The Early Christian Reception of Matthew 10:34.» *Journal of the Bible and its Reception*, 2019; Vol. 6, No. 1, pp. 135-162, p: 137-138; 155-156.

⁴ Aslan, *Zealot*, p. 124.

كما تشكل حدثا تطهير الهيكل ودخول عيسى الانتصاري لأورشليم مصدر إزعاج عند الباحثين، خاصة أن فيها مظنة دعوة صريحة من عيسى للعنف، فقد أكد كروي أن الكلمة اليونانية "فرانجيليون" (φραγγέλιον = frangélion) المستعملة في وصف السوط الذي ضرب به عيسى ﷺ الصيارفة كان من النوع الذي يستخدم في التعذيب، وهو نفسه الصوت الذي عذب به قبل صلبه، وقد استدل لاهوتيون معاصرون بهذا النص باعتباره الوحيد العملي المجيز للجوء للوسائل العنيفة، فقد اعترف العالم اللاهوتي جون هوارد يودر (John Howard Yoder)¹ أن الجلد بالهيكل هو العمل الوحيد في حياة عيسى الذي يمكن اعتباره سابقة في العنف المسيحي، وقال اللاهوتي دونالد سينيور (Donald Senior)² أن هذا النص يعتبر مصادقا لوسائل العنف أو "عائقا أمام الالتزام الإنجيلي لإحلال السلام". كما تم اعتباره -خاصة النسخة اليوحانية منه (2: 15)- أكبر دليل استند عليه براندون لإثبات ارتباط عيسى بالزبلوت والحراك الثوري آنذاك³.

¹ جون هوارد يودر (1927-1997): فيلسوف أمريكي وأستاذ علم اللاهوت بجامعة ساوث بند بإنديانا الولايات المتحدة. كتب عدة مؤلفات وترجمات باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية ومنها كتاب *Taufertum und Reformation im Gespräch* وكتاب *Jésus et le politique*.

"John Howard Yoder". *Bibliothèque nationale de France*. (n.d.). Retrieved 19 December 2020, from https://data.bnf.fr/en/12174168/john_howard_yoder/

² دونالد سينيور (1940): أستاذ أمريكي متخصص في العهد الجديد بجامعة لوفين ببلجيكا. وهو رئيس فخري للاتحاد اللاهوتي الكاثوليكي. ألف كتاب *Why the Cross? The Passion Series*.

"Donald Senior". *Catholic Theological Union*. 27 February 2020. Retrieved 19 December 2020, from <https://ctu.edu/faculty/donald-senior/>

³ Croy, N. Clayton. «The Messianic Whippersnapper: Did Jesus Use a Whip on People in the Temple (John 2:15)? » *Journal of Biblical Literature*, Vol. 128, No. 3, Fall 2009, pp. 555-568, p: 558. "an endorsement of the means of violence or as a hedge on the biblical commitment to peace making."

لكن كروي توصل بعد مقارنات لغوية في اللغة اليونانية إلى أن العمل العنيف الذي قام به عيسى ﷺ كان موجهاً فقط للغنم والبقر، وهذا يدل عليه النص نفسه في الجملة الاعتراضية [(الْغَنَمُ وَالْبَقَرُ)] (يوحنا 2: 15)، وذكر أن عيسى انتقل إلى قلب الأشياء الجامدة بيديه، وواجه الناس (الكائنات العاقلة) بالكلام قائلاً: [«ارْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا! لَا تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ!»] (لوقا 2: 16)، وهذا مطابق لشرح الرحالة المصري كوسماس إنديكوبليوتس (Cosmas Indicopleus)¹ في كتابه "الطوبوغرافيا المسيحية" (*Christian Topogra*) الذي ورد فيه رد على متسائل استفسر كيف لعيسى أن يقوم بكل هذا دون مقاومة من كهنة الهيكل أو الرومان؟ فرد عليه قائلاً: "ما زعم خطأ، لأنه لم يضرب أي إنسان (...) بل ضرب البهائم فقط"².

استخدم المسيح ﷺ لفظة لصوص حينما هاجم الباعة قائلاً: [«أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الْأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةً لُّصُوصٍ»] (مرقس 11: 17)، وبعد مراجعة لغوية دقيقة قام بها جورج ويزلي بوكنانان (George Wesley Buchanan)³ تبين له أن كلمة لصوص (Lestai) المستعملة في مرقس ليست سوى تأويلاً لنص إرميا (7: 11) وإشعيا (56: 7)، واستحضاراً للحرب اليهودية التي تعتبر قريبة الحدوث زمنياً من كتابة إنجيل مرقس.

¹ كوسماس إنديكوبليوتس (القرن السادس الميلادي): رحلة وراهب أرثوذكسي وتاجر يوناني ولد بالإسكندرية. يعتبر عمله الطبوغرافي من أقدم وأكثر الخرائط العالمية شهرة.

² Croy, N. Clayton. «The Messianic Whippersnapper: Did Jesus Use a Whip on People in the Temple (John 2:15)? » Ibid, p: 561-567. "What is alleged is false, for he did not in any way strike a human being, (...) for he struck brute beasts only."

³ جورج ويزلي بوكنانان (1921-2019): عالم في الكتاب المقدس. شغل منصب أستاذ العهد الجديد بجامعة دي سي. أهم أعماله هو عمله التحريري لمجلة *Biblical Archaeology Review*.

"George Wesley Buchanan". *Bas Library*. 23 September 2015. Retrieved 19 December 2020, from <https://www.baslibrary.org/authors/george-wesley-buchanan>

كما أن المسيحيين المعاصرين لتلك الأحداث لم يكونوا ليعتقدوا أن الهيكل هو بيت صلاة للأمم، خاصة أنهم شهدوا خرابه، ومن ثم تكون الحادثة عملية إعادة صياغة تاريخية لحدث تحويل الهيكل لمغارة لصوص حين استولى عليه الغيوريون وشنوا حربا ضد كبار الكهنة إلى أن حوصروا من قبل الرومان¹، ومن ثم فالنص يفيد عداوة للزيلوت وليس العكس.

يميل كذلك سيسيل روث (Cecil Roth)² إلى إنكار أي دلالة قومية غيوروية سواء أثناء دخول عيسى الإنتصاري لأورشليم أو تطهيره للهيكل، وقام بتأويل الدخول بناء على أسس روحية وغير سياسية، وادعى أن عيسى كان يهدف بالأساس إلى إجهاض أي محاولة ربحية في مكان مقدس، ولكن باحثين آخرين وصل بهم الأمر لإنكار تاريخية الحادثة كليا أو على الأقل ليس بالطريقة التي دونت بها في الأناجيل الأربعة، لأنها تتعارض مع رسالة عيسى المسالمة حسب الأناجيل نفسها³.

لعل النزوع نحو السلم هو الذي دفع المسيحيين للهروب وترك أورشليم في أواخر القرن الميلادي الأول. كما تذكر النصوص أن بركوبا قائد الثورة الثانية قد اضطهد المسيحيين، إذ يقول يوسابيوس نقلًا عن يوستينوس الشهيد: "لأنه في الحرب الأخيرة أمر بركوبا، قائد الثورة

¹ Buchanan, George Wesley. «Mark 11.15—19: Brigands in the Temple. » *Hebrew Union College Annual*, Vol. 30 (1959), pp. 169-177, p: 171-176.

² سيسيل روث (1899-1970): عالم بريطاني ومؤرخ التاريخ اليهودي ومحرر الموسوعة اليهودية. درس بجامعة بار إلان. وترك مؤلفات متنوعة منها *Jewish Art* و *The Dead Sea Scrolls*. *Provisional handlist of manuscripts in the Roth Collection*. Handlist 164. Leeds University Library, p: 1-2.

³ Aslan, *Zealot*, 2013, p. 234.

اليهودية، أن يُفتقد المسيحيون وحدهم بأشد أنواع القصاص، إلا إذا أنكروا يسوع المسيح ولعنوه¹.

إنه من الواضح أن بركوبا كان يضطهد أتباع عيسى لأنهم لم ينخرطوا في حراكه ضد الرومان، ومن جهتهم فإنهم رفضوا الانصياع وراءه لأنه فهموا من رسالة عيسى مخالفة للفكر الذي يرى العنف سبيلا للانتصار، ولهذا فر المسيحيون الأوائل إلى بيلا لأن عيسى توقع سقوط أورشليم. كما أن براندون حاول إثبات أن الهروب نحو بيلا غير تاريخي، وأن المسيحيين الأوائل شاركوا في الحرب اليهودية الثانية، وهذا أمر لا يمكن إثباته، خاصة أن مسيحيي الختان الذين يفترض ارتباطهم بالغيوريين لم يعد لهم وجود في تلك الفترة حسب يوسابيوس².

كما ادعى كثير من قادة الحراك الثوري سواء الأول أو الثاني أنه المسيح، وهذا يخالف مسيحانية عيسى، ويؤكد تنبؤ عيسى ﷺ بمسحاء دجالين وأنبياء كذبة بعده، ولقد رأى عيسى أن الذي سيرثون الأرض ويحكمون هم الودعاء (مزمور 37: 11 / متى 5: 5)³، وهذا يخالف النهج الغيوري العنيف، ولذلك يحتمل أن بركوبا رأى في فكرهم المسالم خطرا على الثورة، فهددهم بالعقاب، ولهذا السبب عينه حاول الغيوريون الأولون التخلص من عيسى ﷺ عن طريق يهوذا الإسخريوطي، فسلمه للرومان، وذلك كان بالنسبة إليهم أسلم من أن يقتلوه بأيديهم فيتسببوا في غضب الناس، فيفقدون ذلك شعبيتهم، خاصة أن عيسى ﷺ لم يكن متعاوناً مع الرومان.

¹ القيصري. تاريخ الكنيسة، الكتاب الرابع، الفصل الثامن، الفقرة 4، ص: 158.

² نفسه، ص: 153.

³ Hengel. *The Zealots*, p: 301-302; 309.

يلخص رضا أصلان الموقف فيقول: "لنكن واضحين، لم يكن عيسى عضوًا في حزب الزيلوت الذي شن الحرب مع روما، لأنه لم يزعم أحد أن مثل هذا الحزب كان موجودا حتى بعد ثلاثين عامًا بعد وفاته. كما لم يكن عيسى ثوريًا عنيفًا عازما على التمرد المسلح، على الرغم من أن وجهات نظره بشأن استخدام العنف كانت أكثر تعقيدًا بكثير مما يُفترض في كثير من الأحيان"¹. ولعل عيسى قد حمل أفكارا معارضة للسلطة الرومانية، إلا أنه لم يلجأ للعنف لمواجهتهم، لأنه كان يعلم أن ذلك حماقة وعدم تعقل، خاصة أن الدنيا كلها كانت لتأتي لنجدتهم، فلا يجد سواء عيسى ﷺ ولا أتباعه ولا حتى اليهود من ينجدهم.

المبحث الثالث: حوار عيسى وعلاقتهم بالغيورين.

في إطار الحديث عن رسالة عيسى ﷺ التي من المؤكد أن أثرت في حواريه، فإن الباحثين لم يكتفوا بجمع الأدلة المتعلقة بشخصيته وفكره، بل نقبوا في مبحث التلاميذ أو الحواريين. فإن وجود سمعان الغيور (الزيلوت) ويهوذا الإسخريوطي (السيكاري) بين تلاميذ عيسى ﷺ أثار الشكوك حول انتمائهم للغيورين (لوقا 6: 15-16)، ومن ثم فإن ضمه ﷺ لأعضاء تلك الفرقة يضعه في نفس السلة. لكن عيسى لم يقبل بالغيورين فحسب بين تلاميذه بل إنه رحب بالعشارين كذلك مثل متى اللاوي (متى 9: 9/2؛ 14/ لوقا 5: 27)، إذ أن محبته شملت

¹ Aslan, *Zealot*, p. 89. "To be clear, Jesus was not a member of the Zealot Party that launched the war with Rome, because no such party could be said to exist for another thirty years after his death. Nor was Jesus a violent revolutionary bent on armed rebellion, though his views on the use of violence were far more complex than it is often assumed."

جميع الأحزاب، كما أنه طالبهم بإنكار ذواتهم؛ أي نسيان ماضيهم والبدء معه حياة جديدة (متى 16؛ 24؛ 26/ يوحنا 3؛ 3).

كان عيسى ﷺ يتجول رفقة اثنا عشر حواريا وهم: سمعان بطرس بن يونا وأندراوس (أخو بطرس)، وفيلبس وبرثولماوس أو نثنائيل ويعقوب ويوحنا ابني زبدي، متى العشار وتوما، ويعقوب بن حلفي وسمعان الذي يدعى الغيور، ويهوذا لباوس أو تداوس الرسول وهو أخو يعقوب بن حلفي، وأخيرا يهوذا الإسخريوطي الذي خان عيسى ﷺ وسلمه لليهود (لوقا 6: 13-16/ متى 10: 2-3). وفي المقابل فإن لعيسى إخوة ذكورا -من مريم عليها السلام التي يفترض أنها تزوجت مرتين بعد ولادته ﷺ- تشابهت أسماؤهم وأسماء الحواريين وهم: يعقوب ويوسي أو يوسف ويهوذا وسمعان (مرقس 6: 3). وهذا ما دفع عددا من الباحثين ومنهم جيمس طابور (James D. Tabor)¹ ودافيد دونيني إلى إثارة قضية أسرة عيسى ﷺ باعتبار أن أفرادها هم أنفسهم حواريوه، حيث يمثلون جزءا من فرقة الغيورين، ويكون بذلك ارتباط عيسى بالفرقة ارتباطا من جهة الدم.²

إن إخوة عيسى ليسوا أشقاءه فمريم عليها السلام أنجبتهم من شقيق زوجها السابق المتوفى يوسف النجار وهو قيلوفا، وحسب طابور³ قام قيلوفا بمهمة إحياء نسل أخيه يوسف حسب الشريعة التوراتية (التثنية 25؛ 5-10)، فأنجبت مريم منه يهوذا وسمعان

¹ جيمس طابور (1946م): أستاذ أمريكي للدراسات الدينية في جامعة شمال كارولينا بشارلوت. ومن أعماله:

Things Unutterable: Paul's Ascent to Paradise in Its Graeco-Roman, Judaic and Early Christian Contexts

² طابور، جيمس د. *سلالة يسوع*، م.س، ص: 101-105؛

Donnini. *Gamala*. Ibid, p :41.

³ طابور. *سلالة يسوع*، ص: 101-105.

ويعقوب ويوسي (مرقس 6؛ 3/متى 13؛ 55)، بحيث يعتبر دونيني يهوذا هذا هو نفسه يهوذا الإسخريوطي وبما أن كنيته دليل على انتمائه للسكاريين، فإن أحد إخوة عيسى على الأقل ينتمي إلى الغيورين. ولقد حاول بعض الباحثين ربط اسم يهوذا الإسخريوطي باسم "أبا ساكار" لاستنتاج معنى يفيد صاحب الشعر الأحمر وهو وصف خاص بالسكاريين، ولقد قام ألبيرت إهرمان (Albert Ehrman) بتحليل هذين الاسمين لسانيا؛ فتوصل إلى أنه لو اتفق أن كان الإسخريوطي وأبا ساكارا مترادفين، فإن المعنى المستفاد من لقبهما -سواء تعلق الأمر بهوذا وسمعان معا- هو أنهما كانا صباغين متخصصين في اللون الأحمر لا أكثر ولا أقل.¹ كما أن بطرس قد أنكر عيسى ثلاث مرات (متى 26؛ 75/مرقس 14:30)، وفعله هذا يشبه نسبيا ما قام به يهوذا من خيانة له²، ولعله تمت خيانة عيسى -إن افترضنا أن عيسى كان محاطا بأتباع من الغيورين- من قبل هذين التلميذين لكونهما من الغيورين بعد اكتشافهما أنه ليس المسيح الثائر الذي ينشدون.

أما بالنسبة لسمعان فهو بطرس، وهو نفسه سمعان الغيور، وقد تمت مضاعفة شخصيته كي يتم التغطية على ارتباطه بالغيورين، لأن كنيته بن يونا أو بارجون (Barjona)³

¹ Ehrman, Albert. «Judas Iscariot and Abba Saqqara. » *Journal of Biblical Literature*, Vol. 97, No. 4, December 1978, pp. 572-573, p: 572-573.

² Hirschberg. «Simon Bariona and the Ebionites. » p: 184.

³ تبدو عبارة بارجون (متى 16؛ 17)، وكأنها تعني ابن يوحنا، لكن حسب التلمود البابلي يمكن استنتاج أنها تعني خارج عن القانون، حيث يشار إلى شخص يدعى أبًا سيكارا (Abba Sikara)³ وتعني سيد السكاريين، حيث كان زعيم قسم من "هقنائيم" (الزيلوت) اسمه بريوني في أورشليم إبان الحرب اليهودية. إضافة إلى احتمال أن كلمة بريونا مشتقة من الكلمة السريانية "بارانا" والتي تعني "ذلك الذي بالخارج" (وهي شبيهة بكلمة "بَرَا" أي خارجا أو أخرج في اللغة العربية العامية)، أو تعني شخص خارج عن ثقافة الناس أي فاسق أو فاجر. كذلك اقترح أن المعنى له علاقة بالعنف اعتمادا على اللغة اليونانية ونص (متى 11-12): ["وَمَنْ أَيَّامَ يُوحَنَّا الْمُعَمِّدَانِ إِلَى الْآنَ وَمَلَكُوثُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتِطِفُونَهُ"]، بمعنى أن كلمة "بريونا" لها علاقة بكلمة الغضب التي تعني العنف والقوة، وفي اللغة اليونانية أصلها "بيا" (Bia = Bía)، ومن ثم تكون برياني الأرامية محاكاة يونانية لكلمة "بياستيس" (Bíastis = Bíasstis)، وقد كان يطلق على السكاري أيضا "العنيف" (بريوني) حسب يوسفوس، ويفيد هذا النص -حسب الفعل "أربازو" (ἀρπάζω = Arbazo) الذي يقابله في العربية "أخذ يستعجل" - أن العنيفين من الغيورين يستعجلون حدوث تعميم ملكوت الله، ولكن ليس في النص ما يفيد سواء الطعن في هذا السلوك أو التشجيع عليه³. وفي المقابل قد يعني هذا الاسم كذلك أبو الحمامة (أب يونا) وينطق "أبيونا"، وترمز للروح القدس، كما ترتبط بالسامريين الذين اعتبروا عبدة إله على شكل حمامة. إضافة إلى ذلك، فقد أشار مؤرخ الكنيسة إبيفانيوس السلامي (Epiphanius of Salamsi) إلى أن الأبيونيين³ ورثوا عن السامريين هذه العبادة، ولقد ورد في أعمال الرسل أن بطرس قد زار السامرة، والتقى بشخص يدعى سمعان الساحر، وعمد كثيرا من السامريين، فيحتمل أن أتباع أبيونا أو البيونيون هم السامريون الذين

كانت عبارة عبرية تشير في فلسطين في عهد المسيح إلى الغيورين، كما أن بطرس قام بعمل ملفت للانتباه وهو ضرب عبد رئيس الكهنة بالسيف (يوحنا 18؛ 10) بعد أن أوصاه عيسى بالتسلح (لوقا 22؛ 36)¹. إضافة إلى ذلك، فإن مشهد هجوم سمعان في جستيماني على خادم الكاهن في متى يختلف عن المشهد المروي في يوحنا؛ فمتى يحاول إخفاء هوية المهاجم وجعله شخصا عابرا لا علاقة له بتلامذة عيسى المقربين، فضلا عن أن يكون بطرس. والسبب هو تعظيمه له جاعلا منه صخرة الكنيسة، بينما يوحنا يظهر بكل وضوح أن المهاجم هو بطرس علما أن موقف عيسى منه في يوحنا يتميز بالشك في أهليته لقيادة أتباعه إلى الطريق الصحيح².

كما يعتقد بعض الباحثين مثل كيرسوب ليك (Kirsopp lake)³ أن الاعتقاد بوجود زيلوت قبل سنة 66م نابع من نص إنجيلي موجود في لوقا ومتى حول سمعان الذي سمي غيورا أو زيلوتا، بينما لم يسميهم يوسفوس زيلوتا إلا بعد سنة 66م، ويشير كيرسوب ليك إلى أن سمعان الزيلوت لا ينتمي لتلك الفرقة، ولكنه ببساطة وصف غيورا، ذلك أن سمعان من أتباع السيد المسيح، وهو أحد التلاميذ الاثنا عشر الذين لم يكن لهم أي ميل ثورية. ومع

اعتمدوا على يد سمعان بطرس ومثلوا الكنيسة الأولى التي بناها، ومن ثم لا وجود لشخص يدعى أبليون أو مجموعة تدعى المساكين. لقد أطلق اسم بريوني على فرقة يهودية مسيحية سميت كذلك ببني متاي أي أتباع متى لارتباطه بالأبيونيين الذين اتخذوا ما كتبه إنجيلا لهم. وقد يكون اسم "بريوني" أعطي لهم لأنهم ذوا ارتباط ببطرس الذي لم تكن مجموعته على وفاق تام مع مجموعة بولس. كما كان أتباع بطرس يوصفون في أنطاكية بأتباع القاتل أي السكاري³، ولكن الاسم يمكن أن يدل ببساطة على الفرقة اليهودية المسيحية التي اعتمدت الختان، ولم تكن بالضرورة مرتبطة بالغيوريين الذين حاربوا الرومان. ينظر: **تعاليم الرسل: الدسقولية**، الطبعة الثانية. إعداد: وليم سليمان قلادة. القاهرة: دار الثقافة، 1989، ص: 166؛

Hirschberg, «Simon Bariona and the Ebionites.» Ibid, p: 186-188; 191.

¹ Donnini. *Gamala*. Ibid, p: 41.

² Hirschberg, Harris. «Simon Bariona and the Ebionites.» *Journal of Biblical Literature*, Vol. 61, No. 3 September 1942, pp. 171-191, p: 176.

³ **كيرسوب ليك** (1872 - 1946): مؤرخ إنجليزي للكنيسة وعالم في العهد الجديد. شغل منصب أستاذ بجامعة هارفرد. له عدة مؤلفات منها: *The Religion of Yesterday and To-morrow*.

ذلك يفترض أن سمعان قد انضم إلى الزيلوت سنة 66م، وبذلك أطلق عليه سمعان الزيلوت خاصة أن الأناجيل كتبت بعد تلك الفترة. وهناك نظرية أخرى تفيد أن كتاب الأناجيل قد خلطوا بين كونه غيوراً وكونه زيلوتياً متأثرين بكتابات يوسفوس، وما سمعوه عن فرقة الزيلوت، ومن ثم يستنتج كيرسوب ليك أن الزيلوت لم يكن لهم نشاط إلا إبان الحرب اليهودية الرومانية وليس إبان الاضطرابات الأولى ومن ثم لا علاقة لهم بالمسيح وحواريه¹.

وأما يعقوب فهو نفسه يعقوب بن حلفي، وقد انتخب خلفاً لعيسى عليه السلام لقيادة المجتمع المسيحي الأول، وحاول على مدى ثلاثة عقود اتباع الخطوات التي رسمها أخوه عيسى للدفاع عن التفسير القديم للنبوءات المسيحانية، وكان يعقوب يوصف بالعدل والغيور على الشريعة²، وكان من أخلص التابعين لعيسى عليه السلام، ورسالته (رسالة يعقوب) تعبر عنه، وإن لم يكتبها، فمن المؤكد أنها كتبت عن طريق أتباعه المساكين (الأبيونيين)³ الذين حافظوا على تطبيق أحكام التوراة مع إيمانهم بالمسيح⁴. ويتبين لنا في المقابل حسب التلمود أن اليهودية الربية لا طالما اعتبرت أتباع عيسى ويعقوب خارجين عن الشريعة، حيث نجد سؤال الرب

¹ Lake, Kirsopp. "Simon Zelotes". *The Harvard Theological Review*, Vol. 10, No. 1 January 1917, pp. 57-63, p: 62-63.

² طابور. *سلالة يسوع*، م.س، ص: 302-303؛ Donnini. *Gamala*. Ibid, p: 109-112.

³ **الأبيونيين**: اسمهم مأخوذ من المفردة الكنعانية [إبيوني/إبيونيم] بمعنى «فقير أو مسكين أو فقراء أو مساكين»، ويرى البعض أن فقرهم ليس مادياً، ويقول يوسابيوس القيصري أنهم اعتبروا عيسى "إنساناً بسيطاً عادياً، قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية، وكان ثمة لاجتماع رجل معين مع مريم، وفي اعتقادهم أن الاحتفاظ بالناموس الطقسي ضروري جداً، على أساس أنهم لا يستطيعون أن يخلصوا بالإيمان بالمسيح فقط وب حياة مماثلة. وبخلافهم كان هناك قوم آخرون بنفس الاسم، ولكنهم تجنبوا الآراء الغربية السخيفة التي اعتقدها السابقون، ولم ينكروا أن الرب ولد من عذراء، ومن الروح القدس، ولكنهم مع ذلك إذ رفضوا الاعتراف أنه كان كائناً من قبل، لأنه هو الله، الكلمة، الحكمة، فقد انحرفوا إلى ضلالة السابقين، سيما عندما حاولوا مثلهم التمسك الشديد بعبادة الناموس الجسدية. وعلاوة على هذا فإن هؤلاء ظنوا من الضروري رفض رسائل الرسول بولس الذي قالوا عنه مرتد عن الناموس، ثم أنهم استعملوا فقط ما يدعى إنجيل العبرانيين، ولم يبالوا كثيراً بالأسفار الأخرى. وقد حافظوا مثلهم على السبت وسائر نظم اليهود، ولكنهم في نفس الوقت حافظوا على أيام الرب مثلنا كتذكارات لقيامته المخلص". ومن خلال كلام يوسابيوس يمكن استنتاج وجود طائفة من الأبيونيين آمنت بإنسانية عيسى مع اعتبار ولادته المعجزة، ولكنهم لم يختلفوا عن الطائفة الأخرى بتمسكهم بشريعة موسى. وقد كانت أول إشارة إلى الأبيونيين ترد في كتابات «إريثاينوس» حوالي سنة 180م، وليس هناك اتفاق حول أصولهم، ويُظن أنهم ظهرت بتأثير من تدمير الهيكل سنة 70م، لكن من المؤكد أنهم تعرضوا للاضطهاد من التيارات المسيحية الأخرى مما أجبرهم على الانتقال إلى شرق فلسطين حيث استقروا في البداية في مدينة بيللا، ومنها انتقلوا إلى مناطق أخرى من سورية، ومن هناك إلى آسيا الصغرى. الخصري. تاريخ الفكر المسيحي، ص: 405-406؛ القيصري، يوسابيوس. تاريخ الكنيسة، الكتاب 3، الفصل 27، ص: 130؛ منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ص: 235.

⁴ Aslan. *Zealot*, p: 188; 193-194.

عقبيا للربي العازر: "يا أستاذ، ربما بعض من تعاليم المهرطقين قد وصلت إليك وأنت أثبتتها، وكان هذا هو سبب إلقاء القبض عليك؟ فسأله: هل تذكرني يا عقبيا! كنت ذات مرة ماشيا في أعلى السوق في سبفورييس (صفورية) واقتربت [من أحد حواربي يسوع الناصري]، وهو يعقوب من كفر -سكانيا، الذي قال لي: إنه مكتوب في توراتكم "يجب أن لا تأتي بمؤجر للمومس في بيت الرب إلهك" فقد يكون هذا المبلغ مسخر لتشديد مكان مخصص كمأوى للكهنة الأعظم؟ ولم أجبه عن أي شيء، فقال لي "هذا ما تعلمته من يسوع الناصري فلقد جمعتم من أجرة المومس، وسيعودون لأجر المومس فلقد جاءوا من مكان قدر، فليعودوا إلى المكان القدر". وأن هذه الكلمات أسرتني كثيرا، ولذلك السبب سجت بسبب الارتداد عن العقيدة"¹. وبدل النص على أن كل من يسمع كلام الحواربين يعتبر مرتدا عن الشريعة، ومن ثم اختلفت غيرة الربيين الفريسيين عن غيرة عيسى وتلاميذه؛ ويستنتج من ذلك أن كون يعقوب غيورا على الشريعة لا يعتد به، فغيرته تخالف الفكر الربى الفريسي الذي تبين مما سبق أنه قرين الفكر الغيوري. وأما بخصوص اعتبار كل هؤلاء التلاميذ إخوة لعيسى، فعلى فرض صحة ذلك، فإن علاقة عيسى بإخوته من أمه لم تكن جيدة، فقد كانوا يعتبرونه مختلا (مرقس 3: 21)، ولم يؤمنوا به (يوحنا 5: 7)، كما أنه أنكرهم أمام الجموع باعتبارهم لا يرقون إلى منزلة مريديه (لوقا 8: 21/مرقس 3: 33-35).

لقد كانوا حسب صمويل دكاي (Samuel Dickey)² أتباعا ليوحنا المعمدان ﷺ الذي كان له برنامج عنيف، ولعل ذلك كان سبب إعدامه، حيث إن بعض نواحي تعاليمه لم تكن بعيدة

¹ التلمود البابلي. المجلد الثالث عشر، القسم الثاني موعيد (الأعياد)، الباب الثامن عفودا زاراه (الوثنية) فصل 1، ص: 300.

² صمويل دكاي (1859 - 1936): كاتب أمريكي غزير الإنتاج ومقدم برنامج على الراديو ديني: الحوار الهادئ. من مؤلفاته Quiet

.Talks on Following the Christ

عن الأفكار الغيوروية المعاصرة له؛ مثل تحقيق أمور للتحضير للتدخل الإلهي اللاحق، ولهذا السبب كان يوحنا وتلاميذه -على اعتبار أنهم إخوته- مترددين في تصديق مسيحانية عيسى بمعناها اليهودي (متى 11: 2-3)¹، ومن ثم فهذا ينفي ارتباط عيسى بالغيوريين حتى وإن كان محاطا بهم، ولعل ذلك هو ما دفع يهوذا في نهاية المطاف -بعد أن تأكد له أن عيسى لا يؤمن بأفكار الغيوريين، وأنه ليس هو المسيح الذين كانوا ينتظرونه- إلى تسلميه للرومان.

لقد كان عيسى ﷺ فعلا يريد قلب الأوضاع لكن ليس على طريقة الزيلوت، فإنه سعى لتغيير الإنسان من الداخل، فينصلح قلبه وهذا لا يتم بالسيف بل بتحسين العلاقة مع الرب. صحيح أن المسيح قَبِلَ الغيوريين تلاميذ له، ولم يتكلم عنهم -حسب ظاهر الأناجيل- بخلاف بقية الفرق، لكن البعض يرى أنه تكلم عنهم بطريقة غير مباشرة باستعمال الألغاز، والكلمات ذات المعاني المتعددة².

فقد تكلم عيسى ﷺ في إنجيل متى عن الغيوريين حين قال: [وَبَيْنَمَا ذَهَبَ هَذَا ابْنُ إِسْرَءِيلَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يوحنا: «مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لَتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ لَكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لَتَنْظُرُوا؟ أَلِإِنْسَانًا لَابِسًا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ هُمْ فِي بُيُوتِ الْمُلُوكِ. لَكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لَتَنْظُرُوا؟ أَنْبِيَاءُ؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ، وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيِّ»]. (متى 11: 7-9)

¹ Dickey, Samuel. "Jesus and His Brethren". *The Biblical World*, Vol. 35, No. 1 January 1910, pp. 33-38, p: 35-37.

² الخضري. تاريخ الفكر المسيحي، ص: 247؛ 258-259.

إن كلمة قصبة هنا في اللغة العبرية هي "قنه" 717 وقد يقصد بها "قنء" 817 أي غيور. وكأنه
ﷺ يقول إن يوحنا ﷺ ليس من الغيورين وأنه يختلف عنهم¹.

وعندما جاء نثنائيل وعلق على عيسى ﷺ قائلا: «أَمِنْ النَّاصِرَةِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟»، حينها قال عيسى أن نثنائيل [إسرائيلي حَقًّا لَا غِشٍّ فِيهِ]، فاستغرب منه نثنائيل
وسأله قائلا: «مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي؟» فقال له عيسى: «قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلُبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التِّينَةِ،
رَأَيْتُكَ» [يوحنا 1؛ 47-51]، وهو هنا يستخدم كلمة "سيكا" (Σικα = Sika) اليونانية للتعبير
عن التينة، والتي قد تعني كذلك خنجر أو حامل الخنجر، كأن عيسى يقول له: "إني أعرفك
منذ كنت تخدم جيش السكاري الإرهابي"، وكان عيسى قد لعن شجرة تينة لم تثمر لأنه لم
يحن وقتها وقال: «لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ!» [لوقا 13؛ 6-9 / مرقس 11؛ 13]،
فهذه الفصول (متى 21؛ 18-20 / مرقس 11؛ 11؛ 14) اعتبرت إنذارا للغيورين وخاصة يهوذا
الإسخريوطي².

يرى هينجل أن عيسى رد على نقد الغيورين، فإنهم والفريسيون قالوا: ["جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ
يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِيبٌ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ."] [متى
11؛ 19]³. ويظهر من خلال هذا النص أن وجه معارضتهم لعيسى يكمن في مرافقته لعملاء
الرومان من العشارين والعصاة. وإن لم يكن هناك دليل قدمه هينجل عن أن من انتقده هم
الغيوريون إلا أن علاقة الفرقتين ببعضهما، وافترض أن الغيورين جناح متطرف ضمن
الفريسيين قد يؤكد ذلك، ومن ثم فلم تكن علاقة عيسى ﷺ بالغيورين جيدة.

¹ الخصري. تاريخ الفكر المسيحي، ص: 248-249.

² نفسه، ص: 249-252.

³ Hengel. War Jesus Revolutionär? Ibid, p: 19.

كما أجرى نائب مدير هيئة تحرير مجلة لكسبريس الفرنسية L'express كريستيان ماكاريان (Christian Makarian) مقابلة مع أوليفر توماس فينارد (Olivier-Thomas Venard)¹، فقام عالم اللاهوت الفرنسي بتقديم مجموعة من الأدلة على تنزه عيسى عن السياسة والثورية وعن أي ارتباط بالزيلوت؛ ومن الأدلة التي أوردها في نفي ارتباط عيسى بالزيلوت، قضية إلقاء القبض عليه دون غيره بتهمة إثارة القلاقل ضد الإمبراطور، حيث يتساءل فينارد عن السبب وراء ترك تلامذته له مع العلم أن الأدلة التي تؤيد ارتباط عيسى بالزيلوت تركز على أسماء أتباعه، وانتماءاتهم وأفعالهم مثل يهوذا وسمعان أكثر من تركيزها على أقواله وأفعاله هو نفسه، ويرى أن عدم القبض عليهم يدل على عدم اعتباره قائدا ثوريا². ولكن ما قد يعتبر ردا على هذا الرأي هو نص ورد في الإنجيل يشرح فيه عيسى كيف أن القبض على القائد يؤدي إلى تدهور أي حراك أو تجمع، حيث يقول السيد المسيح: ["لأنَّه مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ الْخِرَافُ"] (مرقس 14: 27)، وهذا ما حدث فعلا، فإنه لما تم القبض على عيسى تشتت عصابته كلها (متى 26: 56)، وفي هربهم سبب ثاني لعدم القبض عليهم، وحتى لما اتضح أن بطرس هو أحد أتباعه أنكر ذلك (متى 26: 74) لأنه كان يعلم أنه سيكون التالي إذا ما افتضح أمر تبعيته لعيسى.

نكون بذلك أمام فرضيتين؛ أولهما أن عيسى كان رجلا ثائرا ضد روما لكن أتباعه تنكروا لرسالته الثورية ونزعوا لمسالمة الرومان، ثانيا أن عيسى لم يكن رجلا ثوريا وبدا لأتباعه

¹ أوليفر توماس فينارد (1967): أستاذ تفسير العهد الجديد ونائب مدير المدرسة الفرنسية التوراتية والأثرية الشهيرة في القدس . وذلك في إطار برنامج البحث الرقمي الدولي ومتعدد التخصصات "الكتاب المقدس في ثقاليده".

Makarian, Christian. « Jésus, Il n'était pas un révolutionnaire politique. » Propos recueillis avec Olivier-Thomas Venard. *L'express*, N° 3275, 9 Avril 2014, pp. 58-59. p : 59.

² Makarian, Christian. « Jésus, Il n'était pas un révolutionnaire politique. » Ibid, p : 59.

كذلك، فلما بدا لهم غير ذلك خانوه وتنكروا لرسالته السلمية، وبقوا على منهجهم الثوري المسلح الذي كانوا عليه من قبل اتباعه ﷺ، ولعل هذه الفرضية الثانية هي ما دفعت فارمر ليقول: "قام عيسى بإنهاء معاملاته مع النموذج الأبوكاليفسي الزيلوتي للتوقعات في اللحظة التي سمح لنفسه الوقوع رهن اعتقال القوات المساعدة، فهذا التصرف الطوعي فصل ارتباطه بشكل واضح عن الزيلوت"¹. وهذا هو السبب الذي دعاهم للموافقة على معاقبته بقولهم: ["إصْلِبْهُ"] (مرقس 15: 13)، خاصة أن قتل هذا المدعي للمسيحانية في نظرهم أفضل من بقاء باراباس رهن الاعتقال، وكلتا الفرضيتين تفتقران للأدلة الكافية، لكن الواضح في الأمر أن غيرة عيسى قد اختلفت عن مفهوم الغيرة عند الغيورين.

خلاصة

انقسمت الأدلة التي تنفي ارتباط عيسى بالغيورين إلى:

أدلة داخلية؛ وهي ما ورد في الأناجيل من إقرار عيسى لدفع الجزية خلافاً للثائر يهوذا الجليلي وتنزعه عن السلطة وانتقاده لبطرس بعد أن قطع أذن خادم الكاهن وغير ذلك من الأدلة. وأدلة خارجية؛ ومنها موقف اليهودية من عيسى وأتباعه باعتبارهم خارجين عن الشريعة، مع العلم أن اليهودية إلى اليوم لا تعتبر الغيورين مرتدين عن العقيدة، خاصة أن الغيرة هي جزء من العقيدة اليهودية وأن المسيح باعتباره مصلحاً قدم نسخة معتدلة حول هذا المفهوم بعيداً عن النهج العنيف.

¹ Farmer. *Maccabees, Zealots, and Josephus*. Ibid, p: 198; 201." Jesus made his final break with the Zealot-apocalyptic pattern of expectation at the moment he allowed himself to be taken into custody by the forces of collaboration. By this voluntary act he disassociated himself in an unmistakable way from the Zealots."

الباب الرابع:

من المسيحية إلى الهوس الإسقاطولوجي

تضمنت المصادر الإسلامية موضوع علامات الساعة الكبرى؛ والتي من بينها عودة المسيح وإقامته للعدل وتحقيقه للرخاء. ويقابل ذلك في المصادر اليهودية ما يسمى المسيحانية؛ حيث نجد نبوات أخروية تشير إلى نهاية العالم والحرب الكونية الأخيرة، وانتصار قوى الخير على قوى الشر وسواد العدل والسلام، وإقامة الشريعة الإلهية بقيادة المسيح الموعود. يتم معالجة هذا الموضوع باعتماد التحليل والمقارنة بين اليهودية والإسلام، ويتم التركيز على قضية الهوس الإسقاطولوجي وهي تحويل كل من المسيحانية وعلامات الساعة الكبرى من قبل معتنقيها من مجرد نبوات أخروية إلى تشريع يبتغى منه تحقيق أهداف استراتيجية.

الفصل الأول:

المسيحانية ومراحل تطورها منذ السبي إلى ما بعد خراب أورشليم

عرف الفكر المسيحاني جذورا لاحقة لبعثة النبي موسى ﷺ، فعلى اعتبار أن المسيحانية عقيدة، فإنها ظهرت في فترة لاحقة من التاريخ اليهودي، ولها أصول قريبة من تاريخ الثورة اليهودية. وينقسم تطور الفكر المسيحاني إلى مرحلتين: مرحلة بعد السبي، حيث لم يكن يهود المملكتين: إسرائيل ويهوذا يهتمون بالمسيح المنقذ قبل سبيهم، لأن وضعهم كان مستقرا، ولكنهم بعد استضعافهم صاروا يتغنون بالأمجاد القديمة. ويعتبر اليهود مجيء المسيح بمثابة إعادة إحياء لنموذج مملكة داود لأن الفترة التاريخية تعتبر مرحلة ازدهار للحضارة الإسرائيلية، وبعد أن خابت آمال اليهود في عودة مجدهم بعد الحرب اليهودية تغيرت نظرتهم للمسيحانية واعتبروها أمرا خارجا عن قدرتهم، وأنه من الضروري التوبة وعدم التدخل إلى حين مجيء المسيح على حين غرة.

المبحث الأول: جذور المسيحانية في الدين اليهودي.

المسيحانية مصطلح صناعي مشتق من أصل كلمة مسيح، وهو لقب ديني عبراني لم يكن حكرا على شخصية واحدة في بداية التاريخ اليهودي، إلا أنه بالنهاية صار علما على شخص معين وهو "المسيا"، وهو كائن بشري مقدس ليس له وجود واقعي في حياة اليهود إلى الآن، إلا أنهم ينتظرون قدومه، وهذا الاعتقاد يبعث في اليهود الأمل في مجيء هذا "المخلص"، ومن ثم فالمسيحانية فكرة جوهرية وقوة دافعة للإيمان والسلوك اليهودي¹.

¹ Neusner, Jacob, Avery-Peck, Alan j. and Green, William Scott. « Messiah. » *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition. Leiden-Boston: Brill, 2005, Vol. 3, p: 1678.

تعود جذور كلمة مسيح إلى عادة المسح بالزيت أو الدهن المقدس في العالم القديم التي تمثل رمزا لتقديس الآلهة، وقد مورست من قبل عدة شعوب مثل المصريين القدماء والبابليين، فقد ورد ذكر مسح الملوك في ألواح تل العمارنة (لوح 37)، كما ورد في نصوص رأس شمرا في إشارة لمسح تمثال لبعل¹، وأخيرا اقتبس الإسرائيليون هذه العادة، وكانت تستخدم لأغراض كثيرة أهمها الغرض التعبدية مثل "مسح أدوات العبادة وأماكنها بالزيت المقدس"؛ مثل خيمة الاجتماع وتابوت العهد (خروج 29؛ 36-37/30؛ 26-29)، ومسح الكهنة. نقرأ في التوراة أن الرب يأمر بمسح هارون وبنيه ليكونوا كهنة للرب (خروج 28؛ 41)، ومسح الملوك بالزيت المقدس، كمسح شاول وداود وسليمان وغيرهم (صمويل الأول 16؛ 13/ الملوك الأول 1: 39)²، ومسح الأنبياء، مثل اليشع (الملوك الأول 19؛ 16)، فكان هذا الطقس يمنح قيادة شرعية لهم.

يرى بعض الدارسين أن لفظ "مسيح" مرادف لملك (صمويل الأول 26؛ 16)³، كما يدل المسح على الاختيار والاصطفاء، وهذا يعني أن "هؤلاء الملوك المسوحين اختارهم الرب ليكونوا أداة في يده يحكم بهم الشعب..."⁴، ومن ثم فمصطلح مسيح يعني مختار، وهذا يوافق الثقافة الشرقية القديمة، والثقافة الإسرائيلية الوريثة بخاصة يهود السبي، فتكون كلمة مسيح -حسب التوراة العبرانية- ذات دلالة سماوية أرضية؛ فهي سماوية من حيث اختيار

¹ بباوي وآخرون. دائرة المعارف الكتابية، المجلد السابع، ص: 129.

² الشرقاوي، جمال الدين. المسيح والمسيا: مبحث جديد، الطبعة الأولى. الجيزة: مكتبة النافذة، 2006م، ص: 10.

³ بباوي وآخرون. دائرة المعارف الكتابية، المجلد السابع، ص: 130.

⁴ الشرقاوي، جمال الدين. المسيح والمسيا: مبحث جديد، م.س، ص: 11.

الرب لهؤلاء، وهي أرضية من حيث وظيفة هذا "المسيح" التي قد تكون دنيوية كما قد تكون أخروية، ووظيفته الأساسية -حسب التوراة- تخلص إسرائيل¹.

إن الإشارة الوحيدة لهذا النبي الموعود في الأسفار الخمسة وردت على استحياء في سفر التثنية (18؛ 15-19)، يقول الرب: «يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِكَ فِي حُورِيبَ يَوْمِ الْجَمْعِ قَائِلًا: لَا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِي وَلَا أَرَى هَذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِنَلَأَ أَمُوتَ. قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِبُهُ».

لم يكن للخلاص عن طريق المسيح أي أهمية في عصر اللاويين، ولم تكن له دلالة كبرى، لأن إقامة الوصايا التوراتية هو طريق الخلاص حسب تصور بني إسرائيل آنذاك، ذلك أن مصطلح مسيح برز في فترة السبي، واستمر الاعتقاد بالخلاص المسيحاني عند اليهود إلى حدود الساعة، إلا أنه من الملاحظ أن أبرز مدوني اليهود في القرن الميلادي الأول لم يشيروا إلى عقيدة المسيح المخلص، ومنهم يوسفوس فلافيوس، وفيلون السكندري²، مع أن العقيدة كانت

¹ Neusner, Jacob, Avery-Peck, Alan j. and Green, William Scott. « Messiah. » *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition. Ibid, p: 1680.

² **فيلون السكندري** (20 ق.م 50م): يهودي، ولد في الإسكندرية وهو كاتب يوناني، وفيلسوف تبني المذهب الأفلاطوني خاصة المذهب الانتقائي، لذلك حاول فيلون التوفيق بين الفكر اليوناني والفكر العبراني. ومن أهم ما قام به أنه تمكن من إقناع الإمبراطور كاليغولا الروماني بإعفاء اليهود من عبادة تماثيل الإمبراطور في كنسهم، وكان فيلون يميل إلى التأمل فوصف بالمتصوف، وقد ترك عدة كتب منها: "الشرح المجازي للشعائر المقدسة"، و"في عبودية الأحق، في حرية الحكيم". طرابشي، جورج. **معجم الفلاسفة**، الطبعة الثالثة. بيروت: دار الطليعة، 2006م، ص: 490-491.

بارزة في مخطوطات قمران¹، ومع ذلك فإن أيا من يوسفوس أو فيلون أثناء حديثهما عن عقائد الفرق اليهودية أشار إلى ذلك².

يعود الجواب على ذلك إلى تراجع هذه العقيدة في فترتهما بسبب الحروب اليهودية التي أنتجتها تلك الفترة، وأعيد تأسيس مفهوم المسيح المخلص مع اليهود الربيين ناقلي التلمود، ولم يكن هذا التأسيس سوى تعديلا لهذه العقيدة، حيث أخرج الربيون الخلاص من سياقه الديني الإسخاطولوجي (الأخروي) إلى سياق سياسي وديني³.

يعتبر هذا دليلا أن العقيدة كانت مجرد تأويل مرحلي لنصوص معينة، اعتقد أنها تشير إلى مجيء منقذ معين، فأصبحت أكثر بروزا بوصفها عقيدة في فترة الحرب اليهودية، وحديث يوسفوس عنها لم يكن باعتبارها عقيدة، بل فهما لنص مضاد كليا لمبادئها؛ حيث زعم أن الملك الذي يفترض أنه سيحكم العالم -والذي أشارت الكتابات أنه من أورشليم- هو الإمبراطور الروماني فسبازيانوس⁴، فلو كانت عقيدة مقدسة عند اليهود منذ غابر الأزمنة لما تجرأ يوسفوس على تقديم هذا التأويل.

وردت الإشارات المسيحانية في سفر دانيال في عدة مواضع منها قول دانيال: [«كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِيَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ

¹ التوراة (مخطوطات قمران - البحر الميت): كتابات بين العهدين، التوراة المنحولة، م. س، الجزء 3، ص: 669.

² Philo. *Philo*. Trans. F. H. Colson. Cambridge: Harvard University Press, 1985, Volume 8, p: 418-419.

³ Neusner, Jacob, Avery-Peck, Alan j. and Green, William Scott. « Messiah. » *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition, p: 1682-1683.

⁴ Josephus. *The Jewish War*. Ibid, Book V, Chapter 1, para. 4, p: 466-467.

سُلْطَانُ أَبَدِيٍّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ" (دانيال 7: 13-14)، ونستشف من هذا النص إشارة واضحة إلى بشرية المسيح ودوره الإسخاطولوجي، خاصة أنه لقب بابن الإنسان. وفي نص آخر ورد: ["فَاعْلَمْ وَأَفْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةَ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أَسْبُوعًا، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضَيْقِ الْأَزْمَنِ" (دانيال 9: 25)، ويمكن ملاحظة الغموض الذي يكتنف الزمن الذي يفترض أن يظهر فيه المسيح، لكن من الواضح أن ظهوره سيكون في أورشليم. كما ذكر في نص آخر قول الرب: [وَفِي أَيَّامٍ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لَا يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هَذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ.] (دانيال 2: 44)، ويتبين من خلال النص أن المملكة ذات طابع إلهي مما يدل على ارتباطها بما هو أخروي وليس سياسي ودنيوي. ويستشف مما سبق أن نصوص دانيال هي الأكثر تعبيراً عن العقيدة المسيحانية، وتليها نصوص المزمور التي ورد فيها: ["لِمَاذَا ارْتَجَبَتِ الْأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ قَامَ مُلُوكُ الْأَرْضِ، وَتَأَمَّرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: «لِنَقْطَعْ قِيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحَ عَنَّا رُبُطَهُمَا». أَلَسَاكُنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجِفُهُمْ بِغَيْظِهِ. «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيُونَ جَبَلٍ قُدْسِي». إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. اسْأَلْنِي فَأُعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ. تُحْطِمُهُمْ بِقَضِيْبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءٍ خَرَّافٍ تُكْسِرُهُمْ»] (المزمور 2: 1-8)، والظاهر أن هذه الإشارة هي تبشير بأن الله ﷻ هو من سيرث الأرض وما عليها مع وجود ممثل بشري يتزعم تلك المرحلة.

لقد كان تأويل هذه النصوص هو ما حول أورشليم إلى منطقة حرب، ومع أن اليهودية الربية أكدت على موقفها من المسيح باعتباره الكائن السماوي مخلص إسرائيل، إلا أنها اعتبرت السعي السلمي المسيحاني أسلم وأحفظ للدين اليهودي¹، ولكن ذلك تم في مرحلة متأخرة بعد الحرب اليهودية، حيث تبين لعلماء الدين اليهود أن المسيحانية مرتبطة بما هو أخروي إسقاطولوجي وديني لا سياسي وديني.

المبحث الثاني: المسيحانية عند يهود بعد السبي.

ترعرعت المسيحانية في سياق خارج الكتابات التاريخية للتوراة العبرانية، لأن الكتابات المسيحانية تشير إلى عمل الله المستقبلي غير المحدد زمنياً، وهي أحداث ملحمة تنتهي إلى عهد يسود فيه العدل والازدهار المادي والنصر والأمن (مزمور 72)، والسلام العالمي (إشعيا 11؛ 9-1)، وهي حالة شبيهة بعالم المثل "يوتوبيا"²، ومع ذلك فقد ورد نص في التوراة يعتقد أن فيه إشارة مسيحانية، خاصة أن اليهود لم يعرفوا أو على الأقل لم يؤمنوا بمجيء نبي مثل موسى ﷺ بعد زمنه. يقول النص: "وَأَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيَهُ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ." (التثنية 18: 18-19)، ولكن التفاصيل لم ترد إلا في نصوص الأنبياء الذين ظهرُوا في فترة السبي، ثم تم تأويل

¹ Neusner, Jacob. "Yohanan Ben Zakk'ai." *Encyclopedia of Religion*. Ibid, Vol. 14, p: 9904-9905.

² Walzer, Micheal. *In God's Shadow: Politics in the Hebrew Bible*, New Haven & London: Yale University Press, 2012, p: 172; 175; 177.

تلك النصوص في فترة ما بعد السبي سواء في بابل أو بعد عودة اليهود إلى فلسطين،
والمسيح الموعود، حسب مؤلفات أنبياء السبي، هو نبي آخر الزمان الذي سيعلم نهاية
الأزمة (دانيال 7؛ 13-14 / إرميا 31؛ 31-34)، ويفترض أن يكون محرراً يطلق اليهود من
العبودية (إشعيا 49؛ 1-7)، وسيكون مطالباً بالملك ومعيد تأسيس مملكة داود (ميخا
5؛ 1-5 / زكريا 9؛ 1-10)¹.

كما يتميز المسيح بتشبهه بالعدالة (zeal for justice)، وكونه ملهماً كاريزمياً وموهوباً
في حل القضايا والتفريق بين الحق والباطل وتنفيذ الحكم العادل (إشعيا 16؛ 4-5)²،
ومع ذلك فالمسيح في تصور أنبياء السبي ليس سوى كائن بشري (ابن إنسان) وإن قام
بمعجزات، وأهم عمل له هو حكم إسرائيل في الأيام الأخيرة بتأييد من الله (إشعيا 9؛
6-7)³، ومحاربة أعدائها، ولم يعرف للمسيح مفهوم أخروي (إسخاطولوجي) إلا عن
طريق سفر دانيال (25؛ 9)، فلعل اليهود اعتقدوا في البدء أن المسيح هو آخر نبي سيظهر
ويعيد مجد مملكة بني إسرائيل، ولكنهم بعد أن استضعفوا وعلموا أن تحقيق ذلك لن
يتم بمجرد ظهور إنسان عادي، صاروا يعتقدون أن هذا الكائن له قدرات غير بشرية،
وله سلطان على الأمم بحيث لا تقهره الإمبراطوريات العظمى.

¹ Aslan. *Zealot*, p: 136.

² Ginsberg, Harold Louis. «Messiah», *Encyclopaedia Judaica*, 1st ed. Jerusalem: Keter Publishing House, 1971, volume 11, p: 1408.

³ Flusser, David. «Second Temple Period. » *Encyclopaedia of Judaism*. 1st ed. Leiden-Boston: Brill, 1999, p: 1410.

يذكر جاكوب نويسنر (Jacob Neusner)¹ أن عقيدة المسيح الموعود ارتبطت بالحلم اليهودي في العودة إلى أرض كنعان وتحقيق الوعد الإلهي، ولهذا تميزت كتابات أنبياء السبي بالأدب القيامي، فكانت هذه الكتابات بمثابة ردة فعل جراء الصدمة التي أنتجها خضوعهم للأمم الأجنبية، فكانت تعبر عن آماني اليهود بحلول عصر ذهبي ومثالي وكامل².

كان للماكبيين أديهم القيامي الخاص بهم مثل رؤيا إشعياء (24-27) وجزء من سفر زكريا (12-14)، وكذلك ورد الأدب القيامي في معظم سفر دانيال، ويمكن إيراد بعض تلك النصوص مثل: [”لَأَنِّي هَآنَذَا خَالِقُ سَمَآوَاتٍ جَدِيدَةٍ وَأَرْضًا جَدِيدَةً، فَلَا تُذَكِّرُ الْأُولَى وَلَا تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ. بَلِ افْرَحُوا وَابْتَهِجُوا إِلَى الْأَبَدِ فِي مَا أَنَا خَالِقُ، لَأَنِّي هَآنَذَا خَالِقُ أُورُشَلِيمَ بِهَجَةٍ وَشَعْبٍ فَرَحًا. فَأَبْتَهِجُ بِأُورُشَلِيمَ وَأَفْرَحُ بِشَعْبِي، وَلَا يُسْمَعُ بَعْدُ فِيهَا صَوْتُ بُكَاءٍ وَلَا صَوْتُ صُرَاخٍ. لَا يَكُونُ بَعْدُ هُنَاكَ طِفْلٌ أَيَّامٍ، وَلَا شَيْخٌ لَمْ يُكْمِلْ أَيَّامَهُ. لَأَنَّ الصَّبِيَّ يَمُوتُ ابْنٌ مِئَةَ سَنَةٍ، وَالْخَاطِئُ يُلْعَنُ ابْنٌ مِئَةَ سَنَةٍ. وَيَبْنُونَ بُيُوتًا وَيَسْكُنُونَ فِيهَا، وَيَغْرِسُونَ كُرُومًا وَيَأْكُلُونَ أَثْمَارَهَا. لَا يَبْنُونَ وَآخِرُ يَسْكُنُ، وَلَا يَغْرِسُونَ وَآخِرُ يَأْكُلُ. لَأَنَّهُ كَأَيَّامِ شَجَرَةٍ أَيَّامُ شَعْبِي، وَيَسْتَعْمِلُ مُخْتَارِي عَمَلِ أَيَدِيهِمْ. لَا يَتَعَبُونَ بِاطِلَالٍ وَلَا يَلِدُونَ لِلرُّعْبِ، لَأَنَّهُمْ

¹ جاكوب نويسنر (1932 - 2016): باحث في اليهودية الحاخامية. شغل منصب أستاذ بجامعة جنوب فلوريدا وغيرها. كتب: *A Life of Yohanan ben Zakai*. *Symbol and Theology in Early Judaism*.

JNi. Media. “Scholar Jacob Neusner Dead at 84”. *Jewish Press*. 09, October 2016. Retrieved 21 December 2020, from <https://www.jewishpress.com/news/breaking-news/scholar-jacob-neusner-dead-at-84/2016/10/09>

² Neusner, Jacob et al. «Messiah.» *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition, p: 1680.

نَسْلُ مُبَارَكِي الرَّبِّ، وَذُرِّيَّتُهُمْ مَعَهُمْ. وَيَكُونُ أَنِّي قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أُجِيبُ، وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْدُ أَنَا أَسْمَعُ. الذَّبُّ وَالْحَمَلُ يَرْعِيَانِ مَعًا، وَالْأَسَدُ يَأْكُلُ التَّبْنَ كَالْبَقَرِ. أَمَّا الْحَيَّةُ فَالْتُّرَابُ طَعَامُهَا. لَا يُؤْذُونَ وَلَا يُهْلِكُونَ فِي كُلِّ جَبَلٍ قُدْسِي، قَالَ الرَّبُّ» [(اشعيا 65: 17: 25)، ويتبين من خلال النص أنه إضافة إلى سواد السلام في الزمن المسيحاني، فإن أمور غير متوقعة كسواد الخير المطلق، بحيث لا يعرف الناس طريقا إلى إيذاء غيرهم، ويعيش سكان المعمورة على الأرض كأنهم في الجنة. وهذا النص شبيه بنصوص ورد في الأحاديث الإسلامية وهذا موضوع فصل لاحق.

ورد في سفر زكريا أن ملكا عادلا سيأتي إلى اورشليم بعد أن ينصرهم الرب على أعدائهم، فيكون لهم التمكين، حيث يقول الرب: ["وَأَحْلُ حَوْلَ بَيْتِي بِسَبَبِ الْجَيْشِ الذَّاهِبِ وَالْآتِبِ، فَلَا يَعْبُرُ عَلَيْهِمْ بَعْدُ جَابِي الْجَزْيَةِ. فَإِنِّي الْآنَ رَأَيْتُ بَعْثِي. إِنْتَهِي جِدًّا يَا ابْنَةُ صِهْيُونَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِي إِلَيْكَ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. وَأَقْطَعُ الْمُرْكَبَةَ مِنْ أَفْرَايِمَ وَالْفَرَسَ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَتُقْطَعُ قَوْسُ الْحَرْبِ. وَيَتَكَلَّمُ بِالسَّلَامِ لِلْأُمَمِ، وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الْأَرْضِ"] (زكريا 9: 8: 12)، ولعل هذا النص هو الذي خضع لتأويل اليهود في فترة الحرب اليهودية، فاعتقدوا أن الملك المسيح سيكون من يهوذا، فيبدو من المنطقي وجوده في اورشليم، ولكننا لا نجد إشارة إلى أن الملك يهودي، ولهذا السبب اعتبر

يوسيفوس الإمبراطور فسبازيانوس هو الملك العادل المنصور الذي يحكم اليهود والعالم¹.

كما ظهرت في فترة دولة المكابيين مجموعة من الأسفار القيامية الأخرى؛ منها سفر حنوك الأول وتهاليل وعزرا الثالث والرابع ويهوديت ووصية الإثني عشر بطيركا، وهي على ما يبدو كتب أسينية²، وبها نصوص تتحدث في معظمها عن نهاية قوى الشر في العالم وبخاصة أعداء إسرائيل على يد الرب الذي سيخلص شعبه من نير العبودية، فشككت تلك النبوات أملا عند المكابيين وشجعتهم للقيام بثورتهم ضد السلوقيين، ورغم استفادة اليهود من الأدب القيامي الذي شجعهم على إقامة حكومة هيروقراتية في عهد المكابيين، إلا أنهم علموا أن المسيح لم يحن موعد مجيئه، ولذلك كانت ثورة المكابيين مبنية على تخطيط مسبق وتنسيق مع الرومان ضد سلالة المقدونيين التي عرفت ضعفا في تلك الفترة.

المبحث الثالث: المسيحانية لما بعد خراب أورشليم.

انتظر اليهود إلى حدود تاريخ الثورة اليهودية خروج "المسيح" أو "المسيا" من بين أظهرهم في الأزمنة الأخيرة ليخلصهم من أيدي أعدائهم، ويعيد إليهم مجدهم، وهم يطلقون عليه اسم ماشيح (משיח) ويعتبرونه مخلصا منتظرا لهم، بحيث سيبدأ معه عهد جديد يعرف باسم

¹ Josephus. *The Jewish War*. Ibid, Book V, Chapter 1, para. 4, p: 466-467.

² منى. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، م.س، ص: 135.

"أيام المسيح". وقتها "يعيش البشر حياة سعيدة صالحة قائمة على السلام والعدل"¹، وهو عبارة عن خلاص سياسي يقوم فيه "المسيح بن داود" بإنقاذ اليهود "من ضائقتهم"، فيجمع شتات اليهود ويقيم لهم دولتهم "اليهودية الكاملة المؤسسة على أحكام التوراة، وتتمركز فيها القدس المشيدة وفيها الهيكل"، ولكن يسبق يوم "مجيئه فترة من المظالم والاضطرابات الشديدة"².

سيرجع الفضل للمسيح المخلص في إعادة المنفيين من بني إسرائيل إلى أرض فلسطين، فيقيم حكم الله فيها، ويتنج عن ذلك نهاية الطبقيّة والعداء بين بني البشر، وقد اختلف اليهود في ديمومة هذا العهد السعيد؛ بين قائل إنه سيدون أربعين سنة وصولاً إلى القول بالألف سنة السعيدة³. كما يعتقد الربيون أن المسيح بشير ونذير مثله مثل إيليا، فهو بالكاد سيستمر فترة معينة ليؤدي دوره في الحرب الأخيرة ثم يموت، والله وحده هو الذي سيضع حداً لمعاناة شعب إسرائيل، حيث ستنتهي عبوديتهم للأمم، وهنا يكمن الفرق بين وضعيتهم وما سيكون عليه "أيام المسيح"⁴.

تقوم مملكة الرب التي يسود بها العدل والسلام بعد موت المسيح، ويرى هينجل أن مبدأ هذه المملكة يخالف التقليد اليهودي، على الأقل لأن اليهود خضعوا في الماضي لكلا المملكتين؛ أي مملكة إسرائيل ومملكة الأجانب، لكن هذه كانت على سبيل القهر، ولقد ظهر

¹ *The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash*. Ibid, Part III, Chapter V, 43, 57, p: 394-398.

² التلمود البابلي، المجلد الأول، م.س، ص: 167.

³ Neusner, Jacob et al. «Messiah.» *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition, p: 1702; 1706.

⁴ Neusner, Jacob et al. «Messiah.» *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition, p : 1686.

من خلال صمويل الأول (8: 11-18) أن الرب لم يكن راضيا على الملكية، بل اعتبرها عقوبة، وأن الأصل في التملك عند الرب للأنبياء، ولعل الرأي القائل ببطلان مملكة الرب يعود لفترة ما بعد دمار الهيكل، والتي تزعمها يوحنا بن زكاي الذي أحال نفي اليهود من إسرائيل بعد سنة 70م إلى جحد ملكوت السماء، وقيامهم بتنصيب ملك من لحم ودم. وحسب هينجل فإن إشكالية الحركات الثيوقراطية تعود للمعضلة المركزية حول من يمكنه تحقيق الإرادة الإلهية للرب على الأرض، وكان اقتراح يهوذا الجليلي هو أن من يملك الكاريزما القيادية والخاصية المسيحانية والطموح الملكي هو الأولي بهذا الأمر، وأغلب الفريسيين الذين من بينهم بن زكاي يقصدون بمملكة السماء قبول التوراة والهلاخا المفسرة من طرفهم بغض النظر عن النظام السياسي¹.

من الواضح حسب أبيلباوم أن هذا الفهم العقائدي لمملكة الرب يؤدي إلى الإشكال السياسي للسيطرة على المجتمع، إذ أن مبدأ يهوذا يرفض مفهوم التوراة المستقلة عن الطبيعة السياسية للنظام، ويطالب بالتدخل الشخصي للعمل على تحقيق الإرادة الإلهية². ومن هنا يتبين أن الاعتقاد بمجيء مسيا مخلص كان يزداد كلما زاد الطغيان، وهذا يضع أكثر من علامات استفهام حول علاقة الواقع المعاش بفهم النص التوراتي، ومن ثم فلا شك أن شخصية المسيا قد تشكلت وفقا لرؤى المفسرين الذين لا طالما تلهفوا إلى عودة مجد إسرائيل. ورد في المدراس تفسير لنص نشيد الأنشاد (2: 7) ["أُحْلِفُكُمْ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِالْظَّبَّاءِ وَبِأَيَّائِلِ الْحُقُولِ، أَلَّا تُبْقِظْنَ وَلَا تُنْهِنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ"]، وقد ورد في تفسير هذا النص ما

¹ Applebaum. « The Zealots: The Case for Revaluation. » p: 161.

² Applebaum. « The Zealots: The Case for Revaluation. » p: 161.

يلي: "استحلف الله اليهود أن لا ينهضوا ضد ممالك الله في الأرض، كما استحلف ممالك الله في الأرض ألا يجعلوا الحمل جد ثقيل على اليهود، لأنهم إن جعلوا الحمل ثقيلًا جدًا سيتسببون في نهاية الزمان قبل أوانها"¹، وقد يعتبر هذا النص سيفًا ذا حدين؛ فهو من جهة يدعو اليهود إلى اعتزال قتال الأمميين، لكن شريطة عدم مس حريتهم الدينية، ومن ثم يؤمن اليهود أن أي حمل ثقيل هو نذير حرب مقدسة نهائية ضد الأمميين.

ورد في نص آخر أن الله ﷻ استحلف اليهود أن لا ينهضوا ضد ممالك العالم لكيلا يسرعوا من نهاية العالم، فكأن هذا النص يدعو اليهود إلى تجنب هذه النتيجة، ورغم أن هذه العبارات تفهم على سبيل تحريم الأمرين: الثورة والهوس الإسخاطولوجي، إلا أنها قد تفهم باعتبارها دعوة مبطنة للثورة؛ بمعنى إذا أردتم أيها اليهود أن يحل عليكم ملكوت السماء ويأتي المسيح، فثوروا ضد ممالك العالم، خاصة إذا جعلوا الحمل عليكم ثقيلًا جدًا. ذلك إلى جانب ورود نصوص ربية أخرى تفيد أن عدم التوبة يؤخر مجيء المسيح²، ولكن مفسري الهكادا اعتبروا بركوبًا ضمن هؤلاء الذين حاولوا تسريع مجيء الخلاص فأخفقوا³.

رد مورتون سميث سبب اختلاف الفرق اليهودية إلى التناقضات الموجودة في نصوص الإسخاطولوجية والتي اختلفوا حولها، فاختلفت نظرتهم إلى العالم⁴؛ فمنهم من أنكر الإسخاطولوجيا كالصدوقيين، ومنهم من أقر بها كالفريسييين، ومنهم من أصابه الهوس

¹ *The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash*. Ibid, Part III, Chapter 4, 61-62, p: 384-385.

² Hengel. *The Zealots*, p: 124-126.

³ *The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash*. Ibid, Part III, Chapter 4, 62, p: 385.

⁴ Smith, Morton. "What Is Implied by the Variety of Messianic Figures?" *Journal of Biblical Literature*, vol. 78, no. 1, 1959, pp. 66-72, p: 71-72.

جاءها كالأسينيين والزيلوت، وصار يتصرف كأنه حان وقتها وفق التقويم السنوي الذي وضعه، وإذا كانت الإسخاطولوجيا هي مصدر الخلاف، فإن سبب وراءه هو وصول هذه النخب إلى النصوص المقدسة بعد أن كان انتشارها حكرا على عدد قليل من الكهنة¹، فإبان الحكم السلوقي بدأ اليهود يتساءلون عن سبب هذه النكسة بعد عودتهم من السبي، وقد أطلق اليهود على قورش -وهو من كان له الفضل في عودتهم- اسم المسيح، وكعادة الناس في الزمن القديم -حيث تخلف العلوم- حين حدوث الأزمات، فقد كانوا يبحثون عن الحلول لمشكلاتهم في الدين، وبفضل انتشار وسائل الكتابة والنسخ وقعت أعين الذين يجيدون القراءة على النصوص المقدسة التي غيرت من طريقة رؤيتهم للعالم، فأول كلٍّ وضعية اليهود حسب فهمه، فعُدَّ بعضهم التقويم ليحدد موعدا للنصر وظهور المسيا، ومن ثم ظهرت الفرق. كما أن هناك سببا آخر مرتبط بوضع العالم في تلك الفترة والذي اعتبر مرحلة مهمة لنظام عالمي جديد بقيادة رومانية. إضافة إلى ذلك فإن ما عرفته كثير من الجماعات اليهودية من اضطهاد ديني سواء في فترة السلوقيين أو في فترة الرومان من قبل ملوك الفترة أو الكهنة اليهود. كل هذا خلق نوع من التوق نحو تغيير جذري تنبأت به الكتب المقدسة، فظن هؤلاء أن تحقيق ذلك سيتم في المستقبل القريب².

لهذا السبب وقع تغيير جذري في مفهوم المسيحية عند اليهود بعد خراب أورشليم، فرغم أن التلمود يعتبر مجيء المسيح أمرا قطعيا، إلا أن هناك بعض المعلمين أنكروا ذلك مثل هليل

¹ Baumgarten. *The Flourishing of Jewish Sects in the Maccabean Era*, p: 135-136.

² Baumgarten. *The Flourishing of Jewish Sects in the Maccabean Era*, p: 153-163.

مثلاً¹، وقد ورد في المدرّاش أن "أزمة الخلاص قد ولت ويتوقف الأمر الآن فقط على التوبة وفعل الخير"².

إن مجيء المسيح حسب التراث الربّي متعلق بمجيء الله ﷻ، ولن يكون لليهود يد في ذلك، خاصة أنه سيكون على حين بغثة، وهذا الرأي -كما هو ملاحظ- يسعى للحد من محاولات اليهود المستمرة لدفع أيدي الرب لجلب الخلاص، ويقول الربّي هلبو³: "أخذ (الله) عهداً على إسرائيل ألا يثوروا ضد الأمم، ولا (يحاولوا) إجبار (مجيء اليوم) الأخير بالقوة...."⁴، فالإله في الاعتقاد اليهودي -كما نجد في نفس النص- أقسم على اليهود كي يصبروا ويسلموا وينتظروا قراره، فلا يقوموا بأي عمل يسعى لتسريع مجيء المسيح بل ينتظروه فحسب، لأنه سيأتي -حسب الفكر الربّي- حينما تبغي إسرائيل، وذلك بأن ترغب فيما يريده الرب، وهو يريد من اليهود التوبة، ويعلق ربّي آخر على النص فيقول إن "المسيح سيأتي حينما يحفظ كل اليهود سبتاً واحداً مجتمعين"⁵.

كما يعتقد الربّيون أن المسيح سيظهر حينما يتوقف اضطهاد الأمم لبني إسرائيل، ومن ثم يحرمون القيام بأي ثورة بغية تحقيق الآمال المسيحانية، وهذا الرأي يخالف الفكر

¹ The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash. Ibid, Part III, Chapter V, 34, p: 392;

التلمود البابلي، المجلد الأول، م.س، ص: 167.

² The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash. Part III, Chapter V, 12, p: 389.

³ هلبو: ربّي من الأموريين ولعله بابلي هاجر إلى فلسطين. ينقل عنه تلاميذه في التلمود والهاكادا. وكان له موقف متشدد من المرتدين تجاوزته اليهودية الربية.

Kaplan, Zvi. "Helbo". *Encyclopaedia Judaica*. Ibid, Vol. 8, p: 780.

⁴ Neusner et al. « Messiah. » *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition, p: 1685.

⁵ Neusner et al. « Messiah. » *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition, p: 1695-1696; 1698.

اليهودي قبل خراب الهيكل الذي يعتقد أن زيادة الاضطهاد هو المؤدي إلى ظهور المسيح، ومن هنا يتبين أن موقفهم لما بعد خراب أورشليم مناقض للموقف السابق لهذا الحدث، ولهذا السبب فإن عيسى ﷺ بوصفه المسيح الموعود لم يطابق الشروط التي ربطها الفكر الربّي التقليدي بالمسيا القادم، وأضاف زيف جاربير¹ (Zev Garber) أنه "لم يكن هناك انسجام وحرية وسلام ووحدة في أرض إسرائيل، (والتي تعد) من علامات أيام المسيح، بل كان المشهد زاخرا بالعداوة والصراع"².

لا يستبعد في المقابل أن الرأي المتأخر للربيين له أصل توراثي، فالأنبياء الذين بشروا بالنبوات المسيحانية لم يأتوا ببديل أو برنامج سياسي محكم لـ"أيام المسيح"، ومن ثم فهم لم يطالبوا بثورة سياسية أو نظام جديد، وبالأخير يتبين أن النبوات المسيحانية ليست سياسية، بل إنها مجرد تسلية أو مواساة للشعب الإسرائيلي فضلا عن كونها تحريضا³.

¹ زيف جاربير: أستاذ فخري ورئيس قسم الدراسات اليهودية بكلية فالي لوس أنجلس. من أعماله: كتاب *Methodology in the Academic Teaching of Judaism* ومقالة *What Kind of God? Essays in Honor of Richard L. Rubenstein*. "Los Angeles Valley College Philosophy / Economics / Jewish Studies." Zev Garber, retrieved 16 March 2020, from lavc.edu/Philosophy/Zev_Garber.html.

² Garber, Zev. « The Jewish Jesus: A Partisan's Imagination. » Ibid, p: 141.

³ Walzer, Micheal. *In God's Shadow: Politics in the Hebrew Bible*, p: 184.

الفصل الثاني:

الهوس الإسقاطولوجي وأثره على اليهود منذ عهد عيسى عليه السلام إلى العصر

الحالي (نماذج مختارة)

شكل الاعتقاد بضرورة تسريع نهاية الزمان انحرافا في الفكر المسيحاني أو لعله كان انعكاسا لجوهر المسيحانية التطبيقية، فتم تعديله فيما بعد ليخضع لمبدأ الواقعية، وقد نشطت الحركة المسيحانية في عهد عيسى عليه السلام، فأذنت هذه الفترة اليهود باقتراب زمن ظهور المسيح الملك الذي سيقود حربا كونية ضد الرومان، ويعيد لليهود مجدهم الغابر، ومن ثم تميزت هذه الفترة باستفحال ظاهرة الهوس الإسخاطولوجي والسعي نحو تسريع نهاية الزمان، وقد استطاعت الفرق اليهودية وخاصة جماعة الغيورين بلورة هذا المفهوم ليتحول إلى دافع من أجل تحقيق أحلام غيبية، مما أدى إلى انفجار ثورتين يهوديتين ضد الرومان، ولعل فرقة الغيورين -باعتبارها تلك الجماعة التي أسسها يهوذا والتي انتحر أتباعها عند المسعدة- لم يعد لها وجود بعد ذلك، لكن هذا لم يمنع من ظهور غيورين جدد في العصر الحديث والمعاصر على التوالي.

المبحث الأول: الهوس الإسخاطولوجي في عهد عيسى ﷺ وتلاميذه.

توقع الفريسيون والأسينيون في زمن عيسى ﷺ حدوث تغيير كبير انطلاقا من النبوات المسيحانية رغم رضوخ أغلب اليهود لواقع الاستضعاف، كما توقع عيسى ﷺ نفسه حسب الأنجيل بعض تلك الأحداث (مرقس 1؛ 15/متى 10؛ 23)، وفي هذا الصدد يقول جيمس طابور: "وما كان مهما ليس كثرة العناوين، بل رؤية ما حقيقية، هي الإيمان بأن الرب سوف يتدخل من أجل تحقيق هذه التوقعات المسائحية، وإن لم يكن يسوع هو الذي وضع أصول

هذه الحركة، فهي في الحقيقة كانت قد بدأت تأخذ (...) قبل مائتي عام حتى قبل ميلاده (...). شكلها المحدد الذي غير مسيرة التاريخ"¹.

في إطار الحديث عن الهوس الإسخاطولوجي الذي عرفته هذه المرحلة التاريخية، نذكر النبوات المسيحانية التي غدت تلك المرحلة، ففي سفر دانيال ورد أن نبيا سيأتي في الأيام الأخيرة ويعطى: [سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِيَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ] (دانيال 7؛ 13-14)، وهذا النبي سيحرر اليهود من الاستعباد لقول الرب: [«فَقَدْ جَعَلْتُكَ نُورًا لِلْأُمَمِ لِتَكُونَ خَلَاصِي إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ». هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ فَادِي إِسْرَائِيلَ، قُدُّوسُهُ، لِلْمَهَانِ النَّفْسِ، لِمَكْرُوهِ الْأُمَّةِ، لِعَبْدِ الْمُتَسَلِّطِينَ: «يَنْظُرُ مَلُوكٌ فَيَقُومُونَ. رُؤَسَاءُ فَيَسْجُدُونَ. لِأَجْلِ الرَّبِّ الَّذِي هُوَ أَمِينٌ، وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي قَدْ اخْتَارَكَ»] (إشعياء 49؛ 5-7)، وسيكون المعلن الملكي الذي سيعيد تأسيس مملكة داود (ميخا 5؛ 1-5/ زكريا 9؛ 1-10)².

تعتبر هذه الأسفار هي المؤسس لعقيدة المسيا المخلص في اليهودية، وقد ورث عيسى عن أنبياء مثل إشعياء وعمواس مبادئ البساطة والرحمة والتعاون بين الناس والإخاء، فجعلها أساسا لدينه، ولعلمهم لم يتوقعوا تحقق حرية حسب تصور الفرق اليهودية الذي طوره تأويل نصوصهم، لكنهم كانوا يتوقعون إلى تحقق عدالة تنبني على الأخلاق الفاضلة التي تخفف من تزمّت الفكر اليهودي الديني في تلك الفترة³.

¹ طابور. سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة، ص: 152.

² Aslan. Zealot, p: 136.

³ ديورانت، ويل وايريل. قصة الحضارة، الطبعة الأولى. ترجمة: محمد بدران، بيروت: دار الجيل، 1992م، الجزء 2، ص: 355.

يربط محمود سامي العقاد تطور الخلاف في فهم النصوص بزيادة استفعال طغيان بعض الكهنة اليهود والوالاة المحتلين، حيث يقول: "وقد كان الارتقاء في فهم الرسالة المسيحية يصاحب أطوار الشعب الإسرائيلي في تاريخه المتعاقب، فيقوى الرجاء في المسيح الملك كلما ضعفت الدول المسيطرة على فلسطين، وهان خطب الثورة عليها، وتعاضم الأمل في استقلال رعاياها، ويعود الرجاء إلى "المسيح الهادي" كلما استحكم سلطان الغالبين وبدأ أن الأمل في الخروج عليهم بقوة السلاح بعيد عسير"¹. فقد ظهر في تلك الفترة طوائف يهودية تنزع نحو الروحانية، فأضفت على المسيحانية بعداً أخروياً، فكانت ترفض العنف والتدخل في تحقيق النبوات.

يضيف العقاد: "وهكذا تراوح تفسير الرسالة المنتظرة بين رجعة الدولة وبعثة الهداية على حسب أطوار التاريخ. فلما دخلت فلسطين في حوزة الدولة الرومانية سنة خمس وستين قبل الميلاد، وأخذ الأمل في قيام الدولة يتضاءل ويخلفه الأمل المتتابع في انتظار الرسول المخلص والبعثة الروحانية، اقترن هذا التحول بظاهرتين تصطحبان حيناً وتفترقان بل تتناقضان جملة أحيان، فعظم سلطان الهيكل وكهانه حين تحول السلطان القومي كله إليهم، وأصبح هذا السلطان ملاذ المتطلعين إلى كل رئاسة قومية تصمد للدول الأجنبية، ومن الناحية الأخرى جنحت الضمائر المتعطشة إلى اليقظة الروحية جنوحاً متمرداً على القديم مؤمناً بانتظار البعث من غير جانب "الهيكل" وبقاياه وما جمد عليه مع الزمن من الموروثات. فلما بلغ الكتاب أجله وحانت البعثة المرقوبة كان المعسكران متقابلين متحفزين على

¹ العقاد، عباس محمود. حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث. م.س، ص: 25.

استعداد¹. ومن ثم يتبين أن اليهود كانوا فريقين؛ فريق لا يؤمن إلا بالثورة بالسلاح، وفريق يتجاوز حدود المسيحانية الدنيوية إلى مسيحانية روحية أخروية تتنزه عن الملك الأرضي.

يظهر اعتقاد فريق من اليهود بالمسيحانية الأرضية في عهد عيسى ﷺ في قول رؤساء الكهنة والكتبة مستهزئين بتعليقه ﷺ على الصليب قائلين: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَتُؤْمِنَ بِهِ!» [متى 27؛ 41-42]. كل هذا يدل على اعتقاد راسخ عند فئات من الشعب اليهودي في عهد عيسى ﷺ بأن المسيح سيأتي ليخلص الشعب من نير الاحتلال. وفيما يخص تلاميذ عيسى ﷺ فإنهم لم يختلفوا كثيرا مع اليهود في إيمانهم بـ"مسيح مخلص"، فنجد سفر أعمال الرسل (الذي دونه لوقا) يتحدث عن لقاء أخير بين عيسى ﷺ وتلاميذه، حيث أكدوا أنهم كانوا يتوقعون منه إعادة الملك لإسرائيل (أعمال الرسل 1؛ 6)، وبالعودة لإنجيل لوقا نفسه يمكن ملاحظة اعتناق التلاميذ للاعتقاد اليهودي السائد حول شخصية "المسيح المخلص"، إذ ورد أثناء محادثة بين عيسى وتلاميذه بعد أن ظنوا أنه قد مات قولهم: [...] "يَسُوعَ النَّاصِرِيُّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللَّهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ. وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمَعُ أَنْ يَفْدِيَ (أَي يَحْرِّرَ) إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذَلِكَ" [لوقا 24؛ 13-21]، إن تخلص المسيا لإسرائيل باعتباره أملا يهوديا كان حاضرا في معتقد تلاميذ عيسى إلى آخر لحظة وجد فيها معهم، فإنه ﷺ لم يغير من تلك العقيدة شيئا، ولعل خلطهم بين عيسى والمسيح المخلص كان خطأ، ولهذا قام ﷺ بتوبيخهم لاعتقادهم أنه سيخلص إسرائيل من بطش الأمم، فقال لهم: ["ما أغباكُمَا

¹ العقاد، عباس محمود. حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث. م.س، ص: 25.

وأبطلًا كَمَا عَنِ الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا قَالَهُ الْأَنْبِيَاءُ! أَمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَى الْمَسِيحِ أَنْ يُعَانِيَ هَذِهِ الْأَلَامَ،
فَيَدْخُلَ فِي مَجْدِهِ؟" وَشَرَحَ لَهُمَا مَا جَاءَ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، مِنْ مُوسَى إِلَى سَائِرِ
الْأَنْبِيَاءِ" [لوقا 24؛ 25-27].

يبين أصلان سبب حيرة الفرق اليهودية التي أدت إلى الهوس الإسقاطولوجي، فيقول:
"مهما يكن، فإنه يبدو أن كل تلك النبوات تتفق حول أمر واحد؛ وهو أن المسيا، (إلى حدود
زمن عيسى) إنسان وليس إله، لأن الإيمان بمسيا مؤله سيكون لعنة (anathema) لكل ما
تمثله اليهودية، ولهذا -ومن دون استثناء أي نص في التوراة العبرانية له علاقة بالمسيا- يظهر
بصفته منفذا لوظائفه المسيحانية في الأرض لا في السماء"¹.

اختلف الاعتقاد المسيحي عن اليهودي في تصوره لشخصية المسيح المخلص، حيث أضاف
الفكر المسيحي لهذه الشخصية بعدا آخر تجلى في الموت والقيامة من الموت ثم العودة
المرتقبة المتوجة والمكملة لتراث إسرائيل القديم، ويتمثل هذا البعد في تحقيق الوعد الإلهي
بحكم الله على الأرض في اليوم الأخير². حدث هذا التحول بسبب الاعتقاد أن عيسى ﷺ هو
نفسه المسيح "المخلص"، إلا أنه مخلص أخروي وليس دنيوي، حيث إنه يخلص الإنسان من
خطايه ويخلصه يوم الدينونة ببعثه من الموت ومكافأته بالملكوت (رومية 6: 22-23/
تيموثاوس الثانية 4: 18)، فهو بالنتيجة خلاص سماوي أكثر منه أرضي.

¹ Aslan. *Zealot*, p: 50. «There is, however, one thing about which all the prophecies seem to agree: the messiah is a human being, not divine. Belief in a divine messiah would have been anathema to everything Judaism represents, which is why, without exception, every text in the Hebrew Bible dealing with the messiah presents him as performing his messianic functions on earth, not in heaven».

² Neusner et al. « Messiah. » *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition, p: 1684

تشكل رؤيا يوحنا -والتي تعتبر زبدة الإسخاطولوجيا المسيحية- نظرة معادية للفكر القومي اليهودي، خاصة أنها ليست ضد روما، وتتنبأ بسقوط المركز العالمي لليهود في ذلك الوقت ألا وهو: أورشليم. إن الرؤيا هي نبوات تؤكد أن المسيح عيسى ﷺ هو المخلص، وأن طريق الخلاص هي التوبة بالإيمان به لا بالعمل على تحقيق نبواته¹. وهي تؤكد نفس الفكرة التي روج لها بولس في سفر رومية (11) حيث أكد أن الرب لم يرفض شعبه اليهودي (مزمور 94: 14)، لكنهم هم من نبذوا عهده (إرميا 22: 8-9)، فأحل رحمته على جميع المؤمنين به، سواء كانوا يهودا أو غير يهود. واعتبر سفر الرؤيا الكنييس اليهودي مجلسا شيطانيا (رؤيا 3: 9)². ونستشف من هذه النصوص أن الأبوكاليس المسيحي يتعارض على طول الطريق مع الأبوكاليس اليهودي، فبينما يرى الأول التوبة بالإيمان طريقا للخلاص الروحي في يوم الدينونة، يرى الثاني الشريعة والسيادة الأرضية للرب طريقا لخلاص اليهود الأرضي، أما الأخروي فلا يلتفت إليه لاعتقاد اليهود بأن الله لا يرفض شعبه ويفضله عن باقي الأمم، ومن ثم يمكن اعتبار الاعتقاد المسيحاني المبكر مناقضا للفكر الغيوري من حيث المبدأ.

المبحث الثاني: الهوس الإسخاطولوجي والحراك الثوري اليهودي.

أهي مصادفة أن تقع الثورة الثانية بعد الثورة الأولى بـ 66 سنة؛ أي ما يناهز 70 سنة وفقا للنسبة؟ لقد توقع الأسينيون أن الحساب ينبغي أن يبدأ منذ نهاية النبي، وبما أنه استمر 70 سنة، فإنهم توقعوا مجيء المسيح ما بين سنة 133 م و 140 م، وهي تقريبا الفترة التي تمت

¹ Van der Waal, C. « The Last Book of the Bible and the Jewish Apocalypses. » *Neotestamentica*, Vol. 12, 1978, pp. 111-132. p: 113-114.

² Ibid, p: 123.

فيها ثورة بركوبا، ولعل فشلها أدى إلى تحول فكري في المجتمع اليهودي، بحيث تأكد له أن هناك خطأ في الحسابات، فلم تكن أي حركة مسيحية لتستمر لأنها لم تلق شعبيتها بين اليهود¹.

يبدو أنه لم تكن هناك أي نبوات في الكتب المقدسة، لكن القراءة الفرقانية للنصوص أعطتها أبعادا واقعية في المستقبل، مع أن قراءتها تمت في ظروف عرف فيها اليهودية ضعفا وتسلطا للأعداء، فحسب حسابات القمرايين²، فإن النبوة بالخلاص الوشيك تأخرت كثيرا، مما دفع أصحاب مخطوطات البحر الميت للاعتقاد بأن ذلك اختبار، ولهذا السبب ورد في النسخة القمرانية لسفر حبقوق³ أن النبوة قد تأخذ لتتحقق أكثر من الوقت الذي حدده الأنبياء، وأن وراء ذلك حكمة تفوق فهم البشر وهو الأمر الذي يدعو للفخر⁴.

يتوقع الكتاب المقدس حسب سفر دانيال (9: 24-27) بناء الهيكل الثاني، ويتنبأ بسبعين أسبوعا يأتي فيها المسيح، ويكون خراب في أورشليم. واعتمادا على هذا السفر، توقع الأسينيون أن مسيحا لاويا سيأتي بين السنة العاشرة قبل الميلاد والثانية بعد الميلاد، ولعل الثورات التي حدثت آنذاك بعد موت هيرودس الكبير وبروز الفلسفة الرابعة في نفس الفترة يعود للتأثر بتلك النبوات، ومع ذلك فالفريسيون رأوا أن التاريخ المقصود -حسب تقويمهم الذي يختلف عن التقويم السنوي للأسينيين- سيكون بين 63-70م، ولهذا لم يكونوا على

¹ Beckwith, Roger T. «Daniel 9 and the Date of Messiah's Coming in Essene, Hellenistic, Pharisaic, Zealot and Early Christian Computation. » *Revue de Qumrân*, Vol. 10, No. 4 (40), Décembre 1981, pp. 521-542, p: 539.

² يقصد هنا كتبة مخطوطات البحر الميت ويفترض أنهم الأسينيون. ينظر: تعريف الأسينيين.

³ التوراة، كتابات بين العهدين: الكتب الأسينية. م.س، الجزء الأول، ص: 286.

⁴ Baumgarten. *The Flourishing of Jewish Sects in the Maccabean Era*, p: 180-178.

وفاق منذ البداية مع حراك الغيورين -خاصة أتباع يهوذا الجليلي- ولم ينخرطوا في الحراك إلا خلال الثورة اليهودية الأولى¹.

يتحدث متى (24: 7/11: 23-15) عن أنبياء كذبة يضلون كثيرا من الناس، وهذا يدل على أن هؤلاء الأنبياء ليسوا من أتباع عيسى ﷺ الأصليين، لكنهم التحقوا بالكنيسة الأولى وحرصوا بعض أتباعه على الثورة ضد الرومان، وذلك بواسطة ادعاءات كاذبة واعتمادا على نصوص كتابية أساءوا تأويلها، وكونهم أنبياء كذبة ينبع من أنهم أخطأوا في فهم تلك النصوص وأساءوا استخدامها، فإنهم ليسوا أنبياء مدعين، ومع ذلك فإنهم أضلوا الناس بتوقعاتهم الإسقاطولوجية الخاطئة، ولعل هؤلاء القوم هم الفريسيون الذين تنصروا². ومن خلال العهد الجديد يمكن التوصل إلى أن هؤلاء المحرضين استدلوأ أثناء تبشيرهم أو وعظهم للناس برؤى مكتوبة كانت حافزا للغيورين في ثورتهم ضد الرومان، ومثالا على ذلك ما قام به الساحر المصري (أعمال 21: 38)³، وقد ورد في سفر دانيال أن قوما من إسرائيل سيثورون بسبب النبوات المسيحانية فيخفقون، [وَبَنُو الْعُتَاةِ مِنْ شَعْبِكَ يَقُومُونَ لِإِثْبَاتِ الرُّؤْيَا وَيَعْتُزُّونَ] (دانيال 11: 14).

إن الإيمان بالخلاص الوشيك يؤدي إلى تشكك مجموعة ترفض كل أشكال أخلاقيات المجتمع، إذ يعتبر بالنسبة إليهم عالما لم يعرف الخلاص بعد، وتلجأ تلك المجموعة إلى

¹ Beckwith, Roger T. «Daniel 9 and the Date of Messiah's Coming in Essene, Hellenistic, Pharisaic, Zealot and Early Christian Computation. » Ibid, p: 530.

² Hill, David. «False Prophets and Charismatics: Structure and Interpretation in Matthew 7,15-23. » *Biblica*, Vol. 57, No. 3, 1976, pp. 327-348, p: 338-348.

³ Van der Waal, C. « The Last Book of the Bible and the Jewish Apocalypses. » Ibid, p: 113-115.

الانعزال عن المجتمع باعتباره تعدديا، كما تلجأ لأكثر التفاسير تشددا للكتب المقدسة¹، ولذلك فقد ظهر مدعي نبوة أثناء اقتحام الرومان لأورشليم، وأعلن عن نبوات مؤذنة بخلاص اليهود، وتسبب ذلك في مقتل 6000 شخص. وذكر يوسيفوس أن المتمردين يستعينون بمدعي النبوة ليخدعوا بهم الشعب، فيمنعوهم من الالتحاق بالرومان، ويستغلون اسم الرب لكي يصموا آذانهم ويغلقوا أعينهم عن الأمارات الواضحة المؤذنة بانتصار الرومان، ويقصد يوسيفوس بها النبوات التي يعتقد أنها كانت مؤذنة بالمآسي التي ستحصل لليهود².

في الواقع فإن النبوات نفسها محيرة، فهي تفيد معنيين متناقضين؛ ويرجع ذلك إلى أن نبوات مثل تلك التي في ميخا وعموس وارميا ما هي إلا انتقاد غير صريح للنظام القائم، باعتبار المسيح الملك كائنا مثاليا يناقض موقف ملوك آل داود الذين عصوا الرب وحادوا عن طريقه³. ولهذا السبب حاروا في حقيقة هوية هذا المسيا الذي سيقود ويعيد إنشاء مملكة داودية، خاصة أن أغلب من أعلنوا أنفسهم ملوكا في القرن الميلادي الأول قد طابقوا ولو شكلا من أشكال النموذج المسيحاني حسب ظاهر النصوص⁴، فالمسيح الملك يفترض أنه سيقود حربا ضد الطغاة في زمن مآسي اليهود.

في المقابل فإن التشدد في تفسير النصوص قد طال حتى اليهود المناوئين للحراك اليهودي ضد الرومان، فقد كان ليوسيفوس قناعة تامة أن الله في صف الرومان، وقد عزا هذا التأييد الإلهي للرومان إلى ثلاث عوامل متقاربة؛ أولها أن الله ﷻ قد استعمل الرومان

¹ Baumgarten. *The Flourishing of Jewish Sects in the Maccabean Era*, p: 182.

² Joseph. « La guerre des Juifs Contre les Romains. » Livre VI, Chapitre XXX, p: 778.

³ Aslan. *Zealot*, p. 50.

⁴ Ibid, p. 136.

لمعاقبة اليهود، وثانها أن الله يكافئ الرومان لسلوكهم التقديري تجاه المعبد الأورشليمي، وثالثها أن الثروة والحظ والقدر (τύχη = týchi) هي كلمة يونانية كتابية تعني "تأييدا لا مشروطا ومقدرا مسبقا"، وقد استخدمها يوسيفوس تبادليا مع كلمة الله، وعبر عنها ليشير إلى أنه كان في صف اليهود الذين سعوا لوقف الحرب ضد الرومان¹. وبما أن السكاريين كانوا يحاربون هؤلاء اليهود والرومان على السواء، فإنهم كان يقومون بعمل مزدوج نموذجي للشر الحقيقي لأنهم يحاربون الله في كلتا الجبهتين. إن يوسيفوس كان بأطروحته يدافع عن الدين اليهودي بإضفاء صبغة العناية الإلهية الكونية على مآلات الحرب اليهودية الرومانية، من ثم يكون انتصار الرومان انتصارا للإله اليهودي أيضا².

للسبب ذاته نجد يوسيفوس يتناقض في مسألة الانتحار إرضاء لأطروحته، فيبدو أن هناك تناقضا تاما بين موقف يوسيفوس والسكاريين الذين انتحروا بالمسعدة في هذه المسألة، فبينما رأى يوسيفوس يوم حوصره ورفاقه في يودفات أن الانتحار أمر لا يليق، وأن الأولى تسليم النفس للعدو، رأى العازر بن جاير أن تسليم النفس عار، وأن الأولى قتل النفس وتسليمها لخالقها. كما أن نيكول كيلي (Nicole Kelley)³ ترى أن هذين الخطابين يعكسان صدى نقاش فلسفي في تلك الحقبة حول مسألة الانتحار، فقد رأى سقراط حسب رواية

¹ Josephus. *Jewish War*. Ibid, Book XIV, Para. 9, p: 603-605.

² Kelley, Nicole. «The Cosmopolitan Expression of Josephus's Prophetic Perspective in the "Jewish War"». » *The Harvard Theological Review*, Vol. 97, No. 3, July 2004, pp. p. 257-274, p: 260-274.

³ نيكول كيلي: أستاذة بجامعة هارفارد تخصص العهد الجديد المسيحية المبكرة. ومجال بحثها يتركز حول أدب الأبوكريفا والتفاعل بين التاريخ اليهودي القديم والمسيحية وقضايا العنف الديني. لها كتاب *The Church Body Knowledge and Religious Authority in the Pseudo-Clementines: Situating the Recognitions in Fourth-Century Syria*. Department of Religion. "Nicole Kelley." *Florida State University*. n.d. Retrieved 23 December 2020, from <https://religion.fsu.edu/person/nicole-kelley>

أفلاطون في كتاب "عن النفس" أن من المنطقي القول إن المرء "لا ينبغي أن يقتل نفسه حتى يرسل الله في حاجة ذلك"¹. ومن خلال ذلك ترى كيلي أن يوسيفوس يعتقد أنه كانت هناك حاجة لأن يقتل العازر نفسه لأن الله قد علم أنه وأتباعه من الأشرار الذين ينبغي معاقبتهم لقتلهم اليهود، وخاصة كبار الكهنة، لأن الله يعاقب الأشرار بشر صنيعهم، والأخيار يجزون خيرا. ومن ثم فيوسيفوس أراد من قرائه (المثقفين والهلنستيين) أن يستنتجوا أن العازر قد أحسن تأويل موقفه وعمل وفقا لإرادة الله ووفقا للنبوات الكتابية. فإن الله يريد السكارين أن يموتوا جزاء لسوء صنيعهم بقتلهم أهلهم².

لهذا السبب نفسه اختلق يوسيفوس خطاب العازر زعيم السكارين المنتحرين ليؤكد أطروحة انتصار القدر ضد الشر. يبدو واضحا أن خطاب العازر هو محض تأليف أدبي خاصة أن الشهود على الخطاب انتحروا جميعا وإن كان يوسيفوس قد توقع انتقادات بهذا الخصوص فأشار إلى وصف قصير للأحداث من لدن امرأتين وخمسة أطفال كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ومن البين أن يوسيفوس اختلق أو على الأقل عدل في خطاب العازر ليؤكد على عقاب الله للمسعدين جراء معارضتهم لإرادته بمقاومة الرومان. إن حديث العازر عن الروح والموت يشير إلى فكر سقراطي وأفلاطوني ورواقي في الآن نفسه. لقد تحدث أفلاطون في كتاب الفيديو (Vido) عن الروح وكونها قوة ربانية منزهة وغير مرئية حيث لا أحد يستطيع أن يحول دونها، وأنها كيان مستمر الوجود أي أنها أبدية وهي كائن حر ينعق من أي كارثة. وقد أشار الرواقيون المعاصرون ليوسيفوس إلى ظاهرة الروح والانتحار باعتبارهما سبيلا للخلاص

¹ Kelley, Nicole. «The Cosmopolitan Expression of Josephus's Prophetic Perspective in the "Jewish War"». » Ibid, p: 266-268.

² Ibid. p : 260-274.

من رهبة الموت، وأن ذلك من شيم الشجعان. ولذلك فقد نصحوا بالانتحار في حالات الخطر المحقق. مع ذلك فقد تمت المبالغة في تأويل نظرة أفلاطون للموت من قبل تلامذته خاصة أرسطو، فقد اعتبر أفلاطون الحياة ثروة وليس الموت، وبما أن الحياة ثروة وأن الروح تستمتع بالخلود عندما تتحرر من سجن الحياة، فإن تلامذة أفلاطون اعتبروا أنه لا ينبغي أن نحزن على الموت. ولهذا كان الناس في زمن يوسيفوس يعتقدون أن توقف الحياة هو تغير من الشر إلى الخير. وفي سياق هذا الاعتقاد وبخ العازر رجاله لخوفهم التحرر من الشر، واعتبر أن الموت أفضل من الحياة، خاصة أنه راحة للجسد مثله مثل النوم، ذلك أن موضوع الموت باعتباره إيقاف لشروع الحياة كان معروفا في الأدب الهلنسي¹.

ولقد انتقل رأي يوسيفوس الإسخاطولوجي إلى اليوحانيين، وهم الذين شكلوا الفكر المسيحي الهلنسي الذي مهد لظهوره الرسول بولس، وبوضع الأحداث الإسخاطولوجية الموجودة في سفر الرؤيا في سياق تاريخي واقعي، يتبين أن النص الموجود في سفر الرؤيا (13) يشير إلى الإمبراطورية الرومانية وتخريبها للهيكل (رؤيا 13: 6-7). كما أن فيه إشارة لسبي وقتل المتحاربين من اليهود، ويبدو من النص أنه يقف موقفا معارضا منهم، حيث يذكر أن جزاءهم كان من جنس عملهم (13: 10)، وفي ذلك إشارة إلى نص إنجيل متى (26: 52)، وهو موقف سلبي تجاه الخيار العسكري الذي نهجه السكاريون، وبذلك اعتبروا غير مرشحين لنيل النصر الإسخاطولوجي، ومن ثم كان النصر على هذه القوى الأجنبية بزعامة من المسيح السماوي حسب سفر الرؤيا (19: 11-16)، وإذا ما قورن نص الرؤيا (13: 16-17) مع نص

¹ Luz, Menahem. «Eleazar's Second Speech on Masada and its Literary Precedents. » *Rheinisches Museum für Philologie*, Neue Folge, 126. Bd., H. 1, 1983, pp. 25-43, p: 26-39.

الرؤيا (7: 1-8) يتبين أن هناك ثنائية شعب إسرائيل باعتبارهم عبيدا ومخلصين لله، والأمم باعتبارهم مخلصين للوحش (الرومان) أو بمعنى أصح للوثنية، والختم المذكور هو بمثابة حماية من الكوارث الطبيعية والشيطانية القادمة، ولكن الذين لا يحملون ختم الوحش محاصرون اقتصاديا؛ فلا يباع منهم ولا يشتري، ولعل ذلك له علاقة باعتماد العملة النقدية الرومانية التي رفض هؤلاء استخدامها، وهو أمر يمكن مقارنته مع رفض الغيورين استخدام نقود تحمل صورا ومجسمات. وكل هذا يجعل كاتب سفر الرؤيا متفقا مع رؤية الغيورين: مملكة الله تتضارب مع مملكة قيصر¹.

ومع ذلك فإن استشهادهم كان ضروريا قربانا للرب كي يكون لمجيء المسيح الإسخاطولوجي شرعية انتقامية لدمائهم (رؤيا 6: 9-11)، فكان من الضروري أن يُقتلوا ويقتل غيرهم؛ بل إن استشهادهم يقرب من موعد مجيء الانتقام الإلهي، وهو ما يسعى بالمقاومة السلبية²، وانتقام الرب لدماء الشهداء هو عبارة عن كارثة طبيعية بتحويل مصادر المياه إلى دم حسب سفر الرؤيا (16: 5-7 / 17: 6)، ومن ثم يؤدي الهوس الإسخاطولوجي إلى تضحية بالنفس من أجل آمال غيبية، وهذا يخلق متدينين يحبون الموت ويكرهون الحياة، وبدل مواجهة الواقع فإنهم يفرون منه، وهنا يكمن خطر الهوس الإسخاطولوجي على الأديان، ويظهر أن الفكر المسيحاني قد بلغ ذروته في زمن الحرب اليهودية الرومانية، ولم

¹ Collins, Adela Yarbro. «The Political Perspective of the Revelation to John ». *Journal of Biblical Literature*, Vol. 96, No. 2, June 1977, pp. 241-256, p: 247; 225; 252-253.

² Ibid, p: 249; 252.

يستثنى أحد من الأبوكاليبسية، فحتى الرومان ومؤيدوهم اعتبروا التدخل الإلهي جزءاً رئيسياً في الأحداث.

المبحث الثالث: الهوس الإسخاطولوجي في الفكر اليهودي بين الغيورين القدماء والجدد.

إن اليهود وكذلك المسيحيين - فيما بعد - قد افترقوا إلى مدرستين كلاهما يؤمن بالعقيدة الألفية¹ نظراً للتناقض النابع من حيرة اليهودية في تحديد مبادئ المسيحانية؛ فالمدرسة الأولى ترى أن الألف سنة السعيدة ستأتي فجأة بتدبير إلهي ودون تدخل من البشر، وإثر ذلك ستدهور الحضارة وتنهار، وأما المدرسة الثانية فتري أن السلام الحقيقي سيتم بعد الألف عام، حيث سيبعث الموتى ويحاسبون، وكل هذا ناجم عن توبة المؤمنين ودورهم الإيجابي عن طريق الفعل الأخلاقي في التغيير. وقد تفرعت عقيدة الألفية إلى فرق ومعتقدات مختلفة عبر

¹ **العقيدة الألفية:** هي حالياً عقيدة مسيحية بروتستانتية إلا أن جذورها يهودية مسيحانية. فاليهود يسمونها حسب التلمود بأيام المسيح حيث "يعيش البشر حياة سعيدة صالحة قائمة على السلام والعدل". وهو عبارة عن خلاص سياسي يقوم فيه "المسيح بن داود" بإنقاذ اليهود "من ضائقتهم" فيجمع شتات اليهود ويقيم لهم دولتهم "اليهودية الكاملة المؤسسة على أحكام التوراة، وتتمركز فيها القدس المشيدة وفيها الهيكل"، ولكن يسبق يوم "مجيئه فترة من المظالم والاضطرابات الشديدة" ورغم أن التلمود يعتبر مجيء المسيح أمراً قطعياً إلا أن هناك بعض المعلمين أنكروا ذلك مثل هيل مثلًا في مقابل شمائي الذي أقرها. التلمود البابلي، المجلد الأول، ص: 167. ويقول المسيحي: "عقيدة الملك المقدس هذه لم يأت لها أي ذكر في العهد القديم ويبدو أنها مجرد صدى في الوجدان العبراني لمؤسسة الملكية المقدسة العبرانية. وما حدث هو أن مؤسسة الملكية المقدسة اختفت مع انهيار الدويلات العبرانية ولم تتم استعادتها حتى بعد عودة اليهود بأمر قورش الفارسي. فأسقط الوجدان العبراني فكرة الملك المقدس على المستقبل أصبحت جزءاً من الأفكار الأخروية (وتتحدث جماعة قمران عن الزوج المشيحاني): الماشيخ بن هارون الكهنوتي والماشيخ بن داود الملكي، ثم ظهر فيما بعد الماشيخ بن يوسف والماشيخ بن داود". المسيحي. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد. م.س، الجزء 6، ص: 210.

التاريخ، فأنشأت جماعات متطرفة كالحركة الغنوصية¹ وحركة القبالة²، وكذلك حركات علمانية كالحركة النازية وحركة الهوية المسيحية (Christian Identity)³، وهاتان حركتان عنصريتان تُنظران لإبادة جميع الأعراق غير البيضاء والمعتقدات غير المسيحية⁴.

لقد تنبه الربّي يوحنا بن زكاي قبل قرون لمآلات المسيحية اليهودية، فأسس مبادئ من شأنها الحد من انحراف الفكر المسيحي لما لذلك من خطورة على الديانة اليهودية نفسها، وتتلخص رسالته لليهود في ثلاثة عناصر؛ أولها: ألا تؤخذ النبوات حول المسيا على محمل الجد، ثانيها: أن نصر الرب لليهود مقرون بطاعتهم له، ثالثاً: أن الله يريد رحمة لا ذبيحة (هوشع 6:6)⁵. وبناء على ذلك يُمنع اليهود من التدخل في النبوات ويطالبون بطاعة الرب والالتزام بالسلام مع الأميين والتراحم فيما بينهم، فلا مجال إلى أن يفرض يهودي على الآخر

¹ الغنوصية: كلمة غنوسيس (Gnosis) (γνῶσις) اليونانية يتم نقرتها إلى غنوسية، لكن البعض يستعمل لفظ غنوصية. والغنوصية تعني المعرفة الحسية الباطنية، والغنوصيون هم العارفون الذين يتوصلون من خلال بصيرتهم الداخلية بالحقيقة الكلية، وهذه المعرفة تتعلق بمعرفة النفس ومصيرها، وهي المعرفة التي تؤدي إلى معرفة الله، حيث يقول مؤلف إنجيل "توما المنافح" على لسان المسيح: "إن من لم يعرف نفسه لم يعرف شيئاً، ولكن الذي عرف نفسه حقق في الوقت نفسه معرفة بأعمق الكل". ومن خلال هذه المعرفة يتم تحرير الروح الحبيسة في إطار الجسد المادي والعالم المادي الأوسع لتعود إلى العالم النوراني الذي صدرت عنه هذه الروح. أما عن الإله التوراتي يهوه صانع هذا العالم المادي فهو مجرد إله لهذا الدهر (إشعيا 40: 28) الشيطان الذي ذكره بولس (كورونثوس الثانية 4: 4) وهو إله شرير برأيهم يطلقون عليه اسم ديميرج (Demiourgos) أي الإله الصانع وعلى الرغم من أن هذا الإله قد صنع الإنسان من مادة الأرض الظلامية إلا أنه سرق روحه من نور الأعالي وحبسها في قوقعة الجسد المادي، أما الإله الحقيقي عندهم فهو الآب السماوي النوراني الذي يتجاوز ثنائيات الخلق، ولا يحده وصف أو يحيط به اسم. وليبقى الديميرج أو يهوه الإنسان جاهلاً بالحقيقة فرض عليه الشريعة التي تشغله عن نفسه أي معرفتها. وتبقى الروح ذات الأصل النوراني هي سبيل خلاص الإنسان بمعرفتها لأصلها السماوي. السواح، فراس. **الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم، ومقدمة في المسيحية الغنوصية**، الطبعة الأولى. دمشق: دار علاء الدين، 2004م ص: 66-73.

² القبالة: تسمى الباطنية والتصوف اليهودي قبالة، وقد ظهرت بعد فترة الهيكل الثاني بقليل. وهي تحمل جميع معاني التصوف المتعارف عليه كالعرفان والحكمة واللجوء إلى التعبير عن الوجد الإلهي بالمجاز والرمز. ولا يستبعد أنها ردة فعل للثورة اليهودية والاضطهاد الديني الذي عرفه اليهود. وقد تأثرت بالأفلاطونية الحديثة. كما للقبالة ارتباط بالمسيحية باعتبارها حالة روحية واستخدام التوراة في أعمال السحر من قبل بعض القباليين.

Scholem, Gershom. "Kabbalah." *Encyclopaedia Judaica*, Vol.11, p: 585-614.

³ الهوية المسيحية: حركة أيديولوجية دينية شائعة في دوائر اليمين المتطرف. يعتقد أتباع الديانة أنه يمكن إرجاع البيض من أصل أوروبي إلى "القبائل المفقودة في إسرائيل". "يعتبر الكثيرون أن اليهود هم النسل الشيطاني لحواء والثعبان، بينما يعتبر غير البيض "شعوب طينية" خلقوا قبل آدم وحواء. وعادة ما تصاحب معتقداتها العنصرية والمعادية للسامية مشاعر متطرفة مناهضة للحكومة. على الرغم من صغر حجمها، فإن الهوية المسيحية تؤثر فعلياً على جميع الحركات المتطرفة المناهضة للحكومة. كما أنه تبث أن معتنقي فكر الحركة يتميزون بسلوك إجرامي يتراوح بين جرائم الكراهية إلى أعمال الإرهاب. ولعل آخر عمل إرهابي هوما تم في مسجد في نيوزيلندا من إطلاق النار على المصلين وتحميل ذلك في بث مباشر على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك.

"Christian Identity". (n.d.). *Anti-Defamation League*. Retrieved 21 December 2020, from

<https://www.adl.org/resources/backgrounders/christian-identity>

⁴ المسيري. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. الجزء 6، ص: 210.

⁵ Neusner, Jacob. "Yohanan Ben Zakk'ai". *Encyclopedia of Religion*. Ibid, Vol. 14, p: 9904-9905.

طاعة الرب بالقوة. وهو نفس المبدأ الذي سار عليه عيسى ﷺ حين كان يدعو للتوبة ويتجنب الحكم على الناس، وكان حينها يستشهد بنفس نص هوشع (متى 9: 10-13؛ 12: 1 - 7).

عادة ما تحدّد الرؤى الأبوكاليبسية موعدا للخلاص، ومع ذلك فإن إمكانية تسريع العملية متاح، فتعتبر الصلاة والتوبة والاستشهاد طرقا متداولة لفعل ذلك، وحين لا تصدر عنها أي نتائج وتفهم أحداث معينة على أنها علامات لاقترب نهاية العالم، عندها يكون التحرك لإجبار التاريخ أو إحداث بعض تلك العلامات مجرد مسألة وقت، فيبدو أن للعمليات الإرهابية الغيورية هدفين: أن تجعل من الجور أمرا لا يطاق إلى درجة يكون معها التمرد أمرا لا مفر منه، وبالنتيجة يتم إحباط كل محاولة صلح بين الأطراف المعنية¹. لقد رأى أتباع يهوذا الجليلي أن تعاون إسرائيل هو ما سيمكن من تحقيق النبوات، ولهذا السبب رأوا أن رفض دفع الجزية لروما يعد تحقيقا لنبوة إشعيا (62: 8)²، حيث خطب يهوذا الجليلي في اليهود وذكرهم أنه لا ينبغي لهم أن "يأملوا أن الرب قد يعمل ما هو مناسب إن لم يعملوا من جهتهم كل ما يستطيعون فعله بكل ما أوتوا من قوة، فتأثر الشعب بكلامه"³. لكن يحتمل كذلك أن يكون يهوذا هنا عبر عن الاعتقاد اليهودي المبني على عهد الله المشروط مع إسرائيل الوارد في سفر الخروج (26: 3-17)، فيحث الرب اليهود على الالتزام بالوصايا كي يتم لهم النصر على أعدائهم.

¹ Rapoport, David C. «Fear and Trembling: Terrorism. » *The American Political Science Review*, Vol. 78, No. 3 September 1984, pp. 658-677, p: 669.

² Hengel. *The Zealots*, p: 140.

³ Flavius. *Histoire des Juifs*. Tome Quatrième, Livre XVIII, Chapitre I, p : 172.

رغم أن الزيلوت لم يكونوا مسيحيانيين -ولم ينظروا إلى أنفسهم بوصفهم دعاة لفكرة، بل رأوا أنفسهم ثوريين محفزين- فإنهم دفعوا الناس بقوة إقدامهم للثورة مستغلين توقعاتهم بوشوك وقوع تحرر مسيحاني مزلزل، وهم بهذه الطريقة قد حولوا الإرهاب وقطع الطريق في عيون الناس إلى أمر منطقي ومقبول، خاصة أن جمهورهم هو جمهور لاهوتي وليس علماني، ومن ثم كان رد السكاريين هو السعي بكل قوة لتسريع نهاية الزمن عن طريق مضاعفة المعاناة اليهودية¹، ولذلك فإنهم اعتقدوا -بعد أن نجحت خطتهم في انفراج الكبت الشعبي- أن النصر قادم والعلامات صحيحة، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أنهم كانوا فقط يُفعلون قانونا فزيائيا يتلخص في أن الضغط يولد الانفجار، إلا أن الانفجار لا يأتي بالضرورة بالنصر، ولم يقتصر الأمر على السكاريين بل تعداه إلى جماعات في العصر الحديث والمعاصر. إن هذه النهاية السعيدة أغرت كثيرا من اليهود، في كثير من العصور منذ السبي، فحاول بعضهم السعي لتحقيقها، أو خلق شروطها، فأعلنوا في غير مرة أنهم مسحاء، وأن الأيام الأخيرة قد اقتربت.

أعلن شبتاي تسيفي (Sabbatai Zevi)² في القرن السابع عشر الميلادي بمدينة سميرنا (تركيا) أنه المسيح المخلص، ويبدو أنه عانى من حالة نفسية دفعتة إلى جنون العظمة مما دفعه إلى الاعتقاد أنه المسيح. وقد شجعه على ذلك ربي من غزة يدعى نثان، فجمع تسيفي

¹ Rapoport, David C. «Fear and Trembling: Terrorism. » Ibid, p: 670; 672-675.

² شبتاي تسيفي (1626-1676م): مؤسس الحركة السبتية. ولد بسميرنا (إزمير بتركيا حاليا) وهو أشكنازي ينتمي لعائلة يهودية غنية. درس باليشيفا وخضع لتعليم تلمودي وقبالي. وادعى أنه المسيح مخلص إسرائيل وأعدمه السلطان محمد الرابع العثماني يضغط يهودي حسب بعض المصادر.

Neusner. et al. « Messiah. » *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition. Ibid, p: 1687.

حواله اثنا عشر رسولا من ممثلي أسباط إسرائيل وبدأ يدعو اليهود في فلسطين وسوريا ومصر وإيطاليا وتركيا إلى الإيمان به واتبعه عدد كبير من اليهود في العالم¹.

صار أتباعه في سмирنا يدعون بالمؤمنين بينما رافضوه بالكفار، ولم يكتف تسفي بخلق اضطرابات بين اليهود، بل أعلن أنه سيطيح بال خليفة العثماني، فانطلق مبحرا إلى اسطنبول مع قيادات جماعته وهو متيقن أن أحداثا مسيحانية خارقة ستنصره، فقامت ثورة قمعتها السلطات التركية، ولكن نظرا لكون ثورته سلمية فإن السلطان العثماني محمد الرابع لم يرد أن يجعل منه شهيدا فاكتفى بسجنه. ولكن ذلك أدى إلى انتشار دعوته أكثر في القارات الأفريقية والأوروبية والآسيوية، وقد أراد السلطان الاستفادة من هذه الأحداث، فدعاه للإسلام علّ أتباعه يتبعونه في هذه الخطوة، فأسلم وأطلق عليه اسم عزيز محمد، وبالفعل أسلم معه كثير من أتباعه. لكن ناثن الغزي اعتبر ذلك خطة مسيحانية لاستقطاب غير اليهود من قبل المسيح عن طريق اختراق الخلافة الإسلامية. ثم زار ناثن تسفي وأمره بأن يسافر إلى روما، ويقوم بطقوس سحر سرية من شأنها تسريع سقوط العالم المسيحي باعتباره ممثلا للمسيحانية، واستمر تسفي في دعوته المسيحانية التي طالت حتى الباطنية من المسلمين، ثم قام السلطان محمد الرابع بنفيه إلى ألبانيا بعد أن اكتشف أمره، ولا يوجد دليل على أنه قام بإعدامه. وقد استمر أتباعه بأداء مناسك الحج بوصفهم مسلمين².

لكن كثيرا من أتباعه عاد إلى اليهودية، وشكلوا فرقة باطنية جديدة سميت بالشبتائية. وكانت تركيا وإقليم كردستان والمغرب أكبر مراكز تجمع هذه الفرقة، ولكن وجود هذه الفرق

¹ Scholem, Gershom. "Shabbetai Zevi." *Encyclopaedia Judaica*. Ibid, Vol 18, p: 341.

² Scholem, Gershom. "Shabbetai Zevi." *Encyclopaedia Judaica*. Ibid, Vol 18, p: 341-347.

باعتبارها لا تختلف في التزامها باحترام قوانين البلاد التي تعيش فيها، جعلها شبيهة بالفرق اليهودية الأخرى، وبقي الخلاف بينها حبيس عالم التخمينات اللاهوتية¹. ثم اختفت الحركة الشبتائية تدريجياً أمام ظهور حركات مسيحية أخرى أخذت أشكال معتقدات يهودية ومسيحية وإسلامية جديدة، بل التحق كثير منهم بالحركة الليبرالية.

يمكن اعتبار الحركة الصهيونية حركة غيورية في أهدافها؛ فإنها لم تدع اليهود للعودة إلى فلسطين من أجل إقامة دولة فحسب، بل دعت لإقامة دعوة مبنية على اعتبار التوراة المرجع الأساس²، ولا تملك إسرائيل إلى اليوم أي دستور، ولذلك أشكل الأمر على اليهود الأرثوذكس المتمسكين بالتراث الربّي، فاعتبروا هذه العودة خلاصاً لليهود العلمانيين فقط³، فرفضوا اعتبارها خلاصاً مسيحانياً لأن المدرّش يحرم العودة للأرض المقدسة⁴. كما أنهم أدركوا بعد ثورة 73م أن الرؤى في الكتاب المقدس ليست تخمينات شاذة، وإنما توصيات بحراك من أجل الحرية، والتي يمكن أن تقوم مقام كتاب كفاحي لهتلر⁵. وهذا يدل على أن الصهيينة لم يلتزموا بالمنهج المعتمد من قبل اليهودية الربّية في التعامل مع النبوات، فاعتبروها نبوات ينبغي تحقيقها بالقوة، فبرر لهم ذلك احتلال أرض فلسطين، ومع ذلك فإن لإسرائيل اليوم شكل علماني أكثر منه ديني، حيث تعتمد على نظام سياسي ديموقراطي برلماني⁶.

¹ Scholem, Gershom. "Shabbetai Zevi." *Encyclopaedia Judaica*. Ibid, Vol 18, p: 348-359.

² "Harari Proposal Passes, Ending Prospects for an Israeli Constitution." *Center for Israel Education*. 13 June 2019. Retrieved 26 December 2020, from <https://israeled.org/harari-proposal-constitution/>

³ Neusner, et al. « Messiah. » *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition. Ibid, p: 1688.

⁴ *The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash*. Ibid, Part III, Chapter 4, 61, p: 384.

⁵ Van der Waal, C. « The Last Book of the Bible and the Jewish Apocalypses. » Ibid, p: 115.

⁶ "Middle East | Israel's Election Process Explained." *BBC News*, BBC, 23 Jan. 2003, Retrieved 07 February 2020, from [news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/2683259.stm](https://www.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/2683259.stm).

رغم أن إسرائيل أسست دولتها واعترف بها حتى رافضو تأسيسها، فإن تلك لم تكن نهاية الفكر الغيور، فقد ظهرت في دولة إسرائيل نفسها حركة "كاخ" (ومعناها بالعربية "هكذا") وهي اختصار لرابطة الدفاع اليهودية) التي أسسها مائير كهانا¹ سنة 1972م، وكان اسمها حركة دوف (أي قمع الخونة)، وهي حركة تدعو للعنف ليس فقط ضد الفلسطينيين ولكن أيضا ضد كل من يعترض مصالحها من اليهود أنفسهم. وقد أسست الحركة حزبا سياسيا وحاولت الضغط عن طريق الكنيست لفرض قانون يمنع وجود أي أقلية دينية بإسرائيل وخاصة العرب المسلمين²، ولكن الحزب لم يحصل على أي مقعد سواء في سنة 1973 أو في سنة 1977، وفي سنة 1984 مُنع الحزب من الترشح، بحكم من المحكمة بدعوى قدمتها حركة حقوق الإنسان (المواطن) بإسرائيل، ولكن الحكم استؤنف لصالح ترشح كهانا مرة أخرى، ومن ثم حصلت على 1.2 بالمئة من مجموع الأصوات مما خول لها الفوز بمقعد في الكنيست. وكانت القوانين التي تدعو إليها الحركة تتسم بالعنصرية والتعصب ضد غير اليهود، خاصة أن العمالة العربية بإسرائيل رخيصة والحل من وجهة النظر الاقتصادية لحزب كاخ كانت في طرد العرب، ولهذا استمال الحزب كثير من أصوات المتضررين من الحالة الاقتصادية لإسرائيل آنذاك³.

¹ مائير كهانا يسرائيل الداد (1932-1990): ولد في نيويورك حاخام يهودي أرثوذكسي وهو أيضا ناشط سياسي إسرائيلي. عمل رئيس تحرير جريدة الصحافة اليهودية بنيويورك. وكان يرأس حركة معادية للسود بنيويورك وهي حركة الدفاع اليهودية (JDL). ويبدو كذلك أن هناك علاقات قد ربطته بالاتحاد السوفييتي ولما هاجر لإسرائيل أسس حركة كاخ. اشتهر بارتباطه بعدة عمليات إرهابية في القدس واعتقل جراء ذلك. وفي سنة 1990 اغتيل بنيويورك سنة 1990 من قبل مواطن أمريكي من أصل فلسطيني. سيمون، فيليب وميرجي، رفائيل. مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، الطبعة الأولى. ترجمة وإعداد: عائدة عم علي. دار الأوائل: دمشق، 2003م، ص: 26؛ 64-76؛ 159.

² نفسه، ص: 25-26؛ 64-76.

³ "Who Votes for Kahane?" MERIP Reports, no. 136/137, 1985, pp. 32-32, p. 32

علاوة على ذلك، فإن للحركة جناحاً سرياً، قام بعمليات إرهابية خاصة بالقدس، ويسمى الجناح تي إن تي (TNT - Terror Against Terror) (إرهاب ضد إرهاب)، حيث تم إطلاق قنابل نارية على حافلة عربية فارغة في أحد ضواحي شرقي القدس، وذلك في ماي 1975، وقد تم القبض على بعض عناصرهم، لكن أغلبهم أطلق صراحه، ومنذ سنة 1980 بدأت العمليات الكاخية تخلف قتلى وجرحى¹، فقد تم إطلاق النار على مصليين في مسجد قبة الصخرة، وقتل شابان فلسطينيان بالقدس، وقتل أحد أعضاء حركة السلام، كما تم القيام بعمليات تفجيرية أخرى في القدس وغيرها. ولكن زعيم الحركة أنكر ارتباط الكاخ بتلك الأعمال رغم تأييده الصريح لها بقوله: "أنا أؤيد كل من يرتكب مثل أعمال العنف تلك، في الحقيقة لا أعتقد أننا نستطيع أن نجلس دون حركة، نشاهد العرب وهم يرمون الحجارة على الباصات متى أرادوا ذلك؛ يجب أن يفهموا بأن إلقاء قنبلة على باص يهودي سيعني إلقاء قنبلة على باص عربي"².

هناك تشابه بين فكر مؤسس حركة كاخ وفكر الغيورين؛ فقد دعي مؤسسها من قبل بعض الحاخامات اليهود بالنبي الكذاب (باركوزبا)³، أي أنه يحمل نفس أفكار بركوبا قائد الثورة اليهودية الثانية، ومن ذلك أيضاً اعتقادهم بضرورة تسريع مجيء المسيح عن طريق تفجير مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، لأن ذلك قد يؤدي إلى استفزاز العرب

¹ Friedman, Robert I.. « Inside the Jewish Terrorist Underground Author(s). » *Journal of Palestine Studies*, Vol. 15, No. 2, Winter, 1986, pp. 190-201, p: 192-193.

² سيمون وميرجي. مانير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، ص: 31-33؛ 50؛ 134. وينظر: الحاتمي، محمد. "الجماعات اليهودية المغربية والخيار الصعب بين نداء الصهيونية وهران المغرب المستقل: 1947-1961." *دكتوراه غير منشورة*. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس: 2007.

³ سيمون وميرجي. مانير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، ص: 37؛ 62.

والمسلمين وجرحهم إلى حرب أبوكالبسية تؤدي إلى قيام حكم الرب¹، يقول مائير كهانا في هذا الصدد: "الصهيونية تسارع في مجيء المسيح"². إضافة إلى ذلك، فإن كهانا يدافع عن دعوة التوراة ليس فقط للقتل، بل للاغتيال أيضا على منوال ما كان يقوم به السكاريون، كما أن العمليات التي يقومون بها تتصف بأسلوب حرب العصابات مثلما كان يفعل الغيوريون، فكانوا يهربون السلاح من الجيش الإسرائيلي³، وكانت عملياتهم تتم بالليل ضد العرب أو اليهود اليساريين⁴.

إن هدف مؤسس الحركة مائير كهانا هو تأسيس دولة دينية لا علمانية؛ أي دولة تحكم بالشريعة اليهودية ويترأسها محكمة حاخامية، وهو يرى أن الديمقراطية ما هي إلا وسيلة وبالأصح فترة انتقالية لتحقيق الحكم بالتوراة. إنه يرى أن مفاهيم مثل الديمقراطية الغربية وحقوق الإنسان تنبني على مبدأ أن الإنسان يجهل الحقيقة، وهذا يخالف التوراة التي تقول إن الإنسان خلقه الله ﷻ من أجل هدف، وهو أن يقيم الوصايا التي أمر بها الله لينال السعادة ما بعد الموت، بينما أفق الثقافة الغربية لا يتجاوز تحقيق سعادة دنيوية، وهو يرفض أي يهودية دنيوية ويرى أن حرباً أهلية بإسرائيل قد تفصل في المسألة، ولكنه زعم أنه لا يشجع عليها⁵.

¹ Friedman. « Inside the Jewish Terrorist Underground Author(s). » p: 194.

² سيمون وميرجي. مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، ص: 121.

³ Yishai, Yael. « Challenge Groups in Israeli Politics. » *Middle East Journal*, Vol. 35, No. 4, Autumn, 1981, pp. 544-556, p: 553.

⁴ سيمون وميرجي. مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، ص: 50.

⁵ Yishai. « Challenge Groups in Israeli Politics. » *Ibid*, p: 549.

إن الدولة التي يدعو لها هي دولة تحترم قوانين التوراة؛ فمثلا لا يجوز برأيه تحريك السيارات وغيرها يوم السبت، ولا يجوز لليهودي أن يتزوج من غير اليهودية، والأهم من ذلك ألا يتساوى غير اليهودي مع اليهود بإسرائيل في الحقوق إلا حسب ما تسمح به التوراة، إذ أن وصايا التوراة غير خاضعة لتصويت أو نقاش¹. كما يعتقد مائير كهانا أن عودة اليهود لفلسطين وتأسيسهم للدولة دليل على صدق ديانتهم نظرا لأن النبوات التوراتية قد تحققت²، وهو بذلك يدعو إلى دولة ثيوقراطية هي نفسها التي دافع عنها الغيوريون. كما يعتقد كهانا أن العالم يعيش في الزمن المسيحاني، وأنه لم يبق سوى أن يصبح كل اليهود متدينين ليأتي المسيح³.

كما يتبنى بعض من المواطنين الإسرائيليين أفكارا غيورية؛ فقد قام باحثون أكاديميون بعمل ميداني في دولة إسرائيل استهدف المرشدين السياحيين الذين يترددون مع مجموعاتهم من السياح إلى قلعة المسعدة، واستمعوا إليهم وما يرددونه أمام الناس ليعرفوا عن قرب آراءهم حول ما قام به ألعازر بن جاير في المسعدة، وقد اختلفت آراءهم باختلاف توجهاتهم كما يلي:

فمن المرشدين السياحيين من اعتبر السكارين والزيلوت مدافعين عن الثقافة اليهودية، ولولاهم لتخلى اليهود عن دينهم، لذلك فضلوا الموت على تسليم أنفسهم للكافر، ومنهم من اعتبرهم متطرفين يؤمنون بثقافة الموت، بينما على اليهودي أن يكون مقبلا على الحياة، بل

¹ سيمون وميرجي. مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، ص: 101-112.

² Yishai. « Challenge Groups in Israeli Politics. » p: 547-548.

³ سيمون وميرجي. مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، ص: 122.

منهم من اعتبر انتحارهم نموذجاً سيئاً لليهود اليوم لأنه – برأيه يفضل تسليم أرض إسرائيل على أن يموت فتضيع ثقافته ودينه، كما رأى بعضهم في المسعدة تجسيدا لمعاناة اليهود عبر التاريخ كالاضطهاد الذي تعرضوا له والمجازر مثل "الهولوكوت"، وفي ذلك رمزية ودلالة لصمود اليهود عبر التاريخ ومقاومتهم للاندثار القومي، وقد تبنى بعضهم الآخر أفكارا علمانية ترى أن على اليهودي أن يشتغل في إطار الملموس بعيدا عن أمور لا عقلانية ومثالية من قبيل السعي لثورة على أساس أن الله سيتدخل لينقذ اليهود¹.

لعل ما قام به يوحنا بن زكاي في رأي أحدهم، واسمه ياريف (Yariv)، مدعاة للفخر خاصة أنه منح اليهود فرصة ثانية للعيش؛ بأن اقترح على فسبازيانوس أن يسمح لبعضهم باللجوء ليمنية، فتأسس هناك مجتمع يهودي جديد ساهم في استمرار الوجود اليهودي إلى اليوم، ومع ذلك فقد اعتبر آخر واسمه دورون (Doron) أن عمل اليهود في المسعدة هو عمل بطولي لا يقل أهمية عن عمل يوحنا بن زكاي، خاصة أنهم انتحروا مخلفين وراءهم الطعام ليثبتوا للرومان أنهم لم يسلموا أرواحهم إلى الله من الجوع، بل بمحض إرادتهم كي لا يدنسوا أنفسهم، وقد أشار أحد المرشدين السياحيين وهو طالب دكتوراه واسمه إران (Eran) إلى أن فعل المسعدين كان عملاً متطرفاً، وأن الغيورية أمر خطير يهدد المجتمع الإسرائيلي، وقد ضرب مثلاً بمن اغتال إسحاق راين، حيث كان من أولئك الذين يتبنون أفكار السكارين

¹ Sasson, Theodore, Kelner, Shaul and Sasson, Ted. «From Shrine to Forum: Masada and the Politics of Jewish Extremism. » *Israel Studies*, Vol. 13, No. 2, Summer, 2008, pp. 146-163, p: 151-152.

المتطرفة التي تدعو لاستخدام العنف والاعتقال وتنفيذ الشريعة بالأيدي دون العودة للسلطات العليا¹.

من الملاحظ بعد استجواب أغلب المرشدين السياحيين -كما جاء في تقرير ثيودور ساسون Theodore Sasson وزملائه الباحثين- أن جميعهم كانوا متفقين أن خطابهم الحكائي على قمة قلعة المسعدة كان يهدف بالضرورة لربط الحدث التاريخي بدولة إسرائيل الحالية، وربط الديانة والثقافة اليهودية بالكيان القومي الصهيوني، ولهذا قال أحدهم واسمه آفي (Avi): "أريدكم أن يحبوا إسرائيل ويروا مدى حبي لها. أريدكم أن يروا بلدي إسرائيل. أريدكم أن يروا إسرائيل خاصتنا لا إسرائيل السياحية فقط"². وقد لخص أحد المرشدين الأهداف من رواياتهم على قمة المسعدة؛ وهي تسليط الضوء على البطولات اليهودية، وأن عودتهم إلى الحياة كان معجزة شبيهة بمعجزة حزقيا في إعادة جيش إلى الحياة بعد أن صار عظاما، إن هذا الأمر يثبت عقيدة يهود الشتات للاستمرار في الكفاح من أجل إيمانهم ومقاومتهم للتأثر بالشعوب الأخرى، وتلك مسؤولية تقع على عاتق يهود العالم، وقد أشار أحدهم إلى الهدف البيداغوجي (التربوي) من زيارة المسعدة؛ والذي لخصه في سعي اليهود للدفاع عن دولة إسرائيل ومقاومة أعداءها كي لا تسقط المسعدة مرة أخرى، وفي هذا الصدد أشار آفي إلى أنهم في المدرسة الابتدائية كانوا يحكون له عن عظمة الغيورين وعظمة بركوبا، ولكنهم تطرقوا في المرحلة الثانوية إلى النقد التاريخي لتلك القصص، وأن ذلك صدمه، لكنه أدرك بعد ذلك أن

¹ Sasson, Theodore, Kelner, Shaul and Sasson, Ted. «From Shrine to Forum: Masada and the Politics of Jewish Extremism. » p: 153-155.

² Ibid, p : 156.

هذه الحكايات لها رمزية فلكلورية وعبرة خالدة بغض النظر عن تاريخيتها¹. من الملاحظ أن أنصار الرواية المضادة (النقدية) اليوم الذين يتبنون موقفا معاديا تجاه الغيورين، شبيها بموقف يوسفوس فلافيوس -على اعتبار أنهم جماعة مسيحية متعصبة تسببت في دمار أورشليم والهيكل- يعدون أقلية أمام أنصار السرد التقليدي.

إن لهذا الموضوع تبعات فتنة قادمة داخل إسرائيل بسبب المواقف المختلفة حول إحلال عملية السلام بأرض فلسطين، وقد يؤدي هذا الأمر إلى دمار آخر للأمة اليهودية لأن غيوربي اليوم يهددون استقرار دولة إسرائيل²، ولذلك ينبغي التركيز في البحث الأكاديمي على التزام الدقة العلمية فيما يخص الروايات التي تتحدث عن واقعة المسعدة، وذلك بالإشارة إلى أن المسعدين لم يكونوا زيلوتا بل سكارين، وهم الذين عرفوا بعمليات الاغتيال التي تسببت في حرب داخلية بين يهود فلسطين، إضافة إلى هوسهم الإسخاطولوجي الذي لم يقدم الكثير لليهودية. كما أن جماعة الغيورين القدماء بصفة عامة قد خالفوا نهج يوحنا بن زكاي الذي يعتبر رمزا يهوديا لامعا إلى اليوم، خاصة أنه مؤسس الفريسة اليهودية الحالية³. ولذلك فعلى الغيورين الجدد الاستفادة من دروس الماضي قبل أن يقودوا العالم لحرب هم في غنى عنها.

¹ Ibid, p :157.

² Sasson, Theodore et al. «From Shrine to Forum: Masada and the Politics of Jewish Extremism. » p: 158-159.

³ Ibid, p : 160.

الفصل الثالث:

المسيحانية عند المسلمين وأثرها (نماذج مختارة)

تعد النهاية السعيدة مسألة مغرية للمتدين فهي تدفعه إلى السعي لتحقيقها هروبا من الواقع الأليم، ومن ثم يصير المتدين مصدر خطر ليس على الناس فقط، وإنما على نفسه وهويته. ولا تتعلق القضية المسيحانية بشخص المسيح الإسلامي المنتظر فحسب، بل بالأحداث التي ستقع وستتزامن مع وجوده، والتي تسمى أحداث نهاية الزمان، أو أشراط الساعة. هذه الأحداث -حسب التراث الإسلامي- ليست بالأحداث السارة دائما؛ بل هي أحيانا كارثية، حيث ستقع فيها عدة حروب، ويخرج فيها يأجوج ومأجوج، ويخرج فيها الدجال، وبالنهاية سيقتل المسيح ﷺ وينقد الصالحين من بطش يأجوج ومأجوج، ومن ثم ستنتهي الحروب والمآسي وسيتآلف الناس. لذلك ينبغي الوقوف عند تأثير الحركات المسيحانية الإسلامية سواء في القرون الوسطى أو في العصر الحديث بالتأويلات النصية التي عرفتها تلك الفترة. ونظرا لكون الموضوع شاسع ويصعب حصره، فقد تم اختيار نماذج بدءا من فترة العصر الأموي ومرورا بالعباسي وانتهاء بتنظيم داعش الإرهابي.

المبحث الأول: الإشارات المسيحانية في الدين الإسلامي.

وردت لفظة «المسيح» في القرآن الكريم دون توضيحٍ لمعناها. وقبل الخوض في تأويلات علماء المسلمين، فإنه من المهم لفت الانتباه إلى أن المسيح في القرآن الكريم ليس شخصية مستقبلية فحسب، بل هي مرتبطة بالماضي كذلك؛ حيث إن المسيح حسب القرآن هو نفسه عيسى ﷺ، وهو نبي إسرائيلي ظهر فترة من الزمن ثم انتهى أمره مع قومه، لكن في الوقت

نفسه لم تنته مهمته، بل إنه سيعود في آخر الزمان ليتأمر على المسلمين أو يكون مستشاراً أو ما شابه، والبيت القصيد هو أنه لا فرق بين المسيح وعيسى حسب القرآن الكريم¹.

ليس هناك ما يصطلح عليه مسيحانية في الفكر الإسلامي، لكن هذا المعنى مبثوث في الكثير من النصوص الإسلامية، فإذا كانت المسيحية هي الإيمان بأحداث ما قبل نهاية العالم، فالفتن أو علامات الساعة الكبرى، هو المقابل لمصطلح مسيحانية في القرآن الكريم، وبما أن المسيح جزء من هذه الأحداث حسب المصادر الدينية الإسلامية فإنه من المهم الوقوف عنده.

اختلف في التفاسير الإسلامية للقرآن الكريم حول معنى لفظة ﴿المسيح﴾ فقيل: "إنه على وزن "فعل" صرّف من "مفعول" إلى "فعل" أي "الصدّيق"، وقيل هو: "ممسوح"، يعني: "مسحه الله فطهره من الذنوب"، وقيل: "لأنه كان سائحاً في الأرض يدعو إلى الله"، وذلك أنه انتقل من قرى الجليل إلى أورشليم ثم إلى "كفرناحوم" (بقرب بحيرة طبرية) وقيل: "لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالذهن"، وقال ابن عباس أنه: "كان لا يمسح ذا عاهة إلا براً؛ أي أنه سمي مسيحاً لمعجزاته²، وقال آخرون: "مسح بالبركة"، ولا توجد إشارة في القرآن إلى أي معنى سياسي لكلمة "المسيح" كما هو مشار إليه في التوراة، فلفظة "المسيح" القرآنية لا تدل على كونه مختاراً ليحكم، مع أن الرازي -حينما فسر قول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

¹ ابن منظور. لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف، د.ت. المجلد السادس، ص: 4197.

² الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة الأولى. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، ص: 414.

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 78)- ذكر أن الحكم الذي أوتي عيسى هو الزعامة والسلطة بكل ما تحمله الكلمة من معنى استناداً لآية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية: 89). وقال: "اعلم أن قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الذين مضى ذكرهم قبل ذلك، وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ﷺ قبل ذلك، ثم ذكر تعالى أنه آتاهم الكتاب والحكم والنبوة"¹. ومن الأنبياء الثمانية عشر الذين تم ذكرهم ﴿عيسى﴾ (سورة الأنعام، جزء من الآية: 85)، ومن ثم فقد يكون المقصود بالمسيح في القرآن "المختار والحاكم"، مع العلم أن عيسى ﷺ اعتبر حاكماً حسب أحاديث آخر الزمان، حيث سيكون {حَكَمًا مُّقْسِطًا} و{إِمَامًا عَادِلًا}².

ما سيقوم به المسيح عيسى ﷺ أثناء عودته هو جزء من المسيحية الإسلامية التي وردت التفاصيل حولها في الأحاديث النبوية الشريفة، ولكن ليس هناك دليل على أن المسيح سيكون خليفة للمسلمين لأن المهدي³ سيكون الخليفة -حسب الاعتقاد الإسلامي- لقول النبي ﷺ: {كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ}⁴، فلا يعدو المسيح الأخروي عن أن يكون قاضياً يحكم بالقسط، وهذا يعيدنا إلى سلطان وسيادة ما قبل نزوله في آخر الزمان، ولكن أياً من المفسرين غير الرازي أشار إلى أن المقصود بالحكم هنا هو السلطان والسيادة، وأغلب

¹ الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، الجزء الثالث عشر، ص: 53-54.

² ابن ماجه. سنن ابن ماجه. باب فتنة الدجال، وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، (4077)؛ البخاري. صحيح البخاري. كتاب البيوع، باب قتل الخنزير (2222).

³ أبو داود. سنن أبي داود. كتاب المهدي (4282/4285).

⁴ البخاري. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (3449).

الظن أن الحكم هنا يقصد به -حسب ما روي عن ابن عباس- العلم¹، ومن ثم فلم يكن للمسيح سلطان ولن يكون له قبل أو بعد رفعه حسب التراث الإسلامي، ولم يثبت أيضا في الإسرائيليات أنه قاد ثورة ضد روما أو دعا إلى ذلك.

أما بالنسبة للأحداث التي تسبق نزول المسيح ﷺ فلم تختلف رواياتها كثيرا عما ورد في التراث اليهودي؛ فقد ورد ذكر حرب حاسمة بين المسلمين والروم تفتح على إثرها مدينة القسطنطينية، حيث روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قول رسول الله ﷺ: {لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نُقَاتِلَهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةً²}.
قُسْطَنْطِينِيَّةً².

لكن لا يذكر ظهور المسيح خلال هذه الأحداث باعتباره ذلك المنقذ الذي سيقبل موازين الحرب ضد الكفار، بل ترتبط مهمته فقط بقتل المسيح الدجال، حيث ورد في تنمة الحديث: {فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ،

¹ ابن أبي الحاتم، عبد الرحمن ابن ادريس. تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين، الطبعة الأولى. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1997، المجلد الثاني، ص: 690.

² مسلم. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشرط الساعة. باب فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، (2897).

فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ¹.

لم يرد إلا بعض هذه الأحداث في القرآن الكريم لأنه لم يفصل فيها؛ فلم يرد صراحة ذكر عودة عيسى ﷺ في القرآن ولا خروج الدجال، ولكن وردت تلك الأحداث في روايات صحيحة عن البخاري ومسلم، ولا يخلص الناس من هذا الدجال سوى المسيح عيسى بن مريم ﷺ، حيث يقتله ثم يهرب بالمسلمين من بطش يأجوج ومأجوج².

كما أن يأجوج مأجوج -الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية 96)- قوم مفسدون في الأرض، سبق وجودهم بعثة النبي محمد ﷺ (سورة الكهف، الآية: 94)، ويفهم من قوله تعالى: ﴿مَنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أن عددهم هائل، ولكن لم يذكر امتلاكهم لأي قدرات خارقة للبشرية، ولا يوجد حديث صحيح عن مكان خروجهم، وأصح حديث ورد عن النبي ﷺ أنهم استأنفوا عملية ردم السور الذي بناه ذو القرنين منذ عهد النبي ﷺ³.

كل هذه الأحداث تقع في زمن يظهر فيه مسحاء دجالون، ويقع فيه شر كبير، ثم يليه خير كثير، وهو نفس منطق الكتاب المقدس بعهديه، وإن اختلفت التفاصيل، فقد ورد في حديث البخاري: {لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ

¹ مسلم. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، (2897).

² نفسه. باب ذكر الدجال وصفته وما معه، (2137).

³ البخاري. صحيح البخاري. كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج (7136/7135).

اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبِضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارِبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ؛ وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ (...)»¹، ومن ثم يظهر من خلال المصادر الإسلامية أن التراث الأبوكاليفي حاضر، ومغري لكثير من المهووسين الذين يتطلعون لتحول العالم إلى عالم فاضل خالي من المآسي، ولذلك السبب حاول بعض المسلمين عبر التاريخ السعي لتحقيق تلك النبوات.

المبحث الثاني: الهوس الإسقاطولوجي عند المسلمين في العصور الوسطى.

إن الإسلام يعتبر يوم القيامة أمراً غيبياً، وليس هناك تحديد لموعد يوم القيامة، والذي يعبر عنه في القرآن بلفظ "الساعة"، ومع أنه يوم عظيم وكارثي و"فتنة" إلا أن الله ﷻ استأثر بعلم زمن وقوعه، ومع ذلك فقد أشار القرآن إلى علامات -سماها آيات- تدل على اقتراب يوم الساعة، وأشار إلى هذه العلامات في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ (سورة الأنعام، الآية: 159). كما أن هناك إشارة للدابة ويأجوج ومأجوج في آيات أخرى.

أما فيما يخص المسيح عيسى بن مريم ﷺ، فوروده باعتباره جزءاً من أحداث الساعة كان في سياق الحديث عن الذين سيؤمنون به من يهود ومسيحيين قبل موته، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (سورة النساء، الآية: 15)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ (سورة الزخرف، جزء من الآية: 61)، ورغم الغموض الذي يكتنف هذه النصوص إلا أن العلماء المسلمين القدماء -مثل

¹ البخاري. صحيح البخاري. كتاب الفتن، (7121).

مجاهد وسليمان بن مقاتل- ذكروا أنها إشارة إلى كون عيسى من علامات الساعة، وأن المقصود بالذين سيؤمنون به: اليهود، وذلك بعد نزوله باعتبار عدم موته في زمانه، بل رفعه حيا، كما أن عودته ستتوج بقتله للمسيح الدجال¹.

ورد في حديث عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: {لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُفْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ}²، وسيكون من نتيجة عودة المسيح أن {تُرْفَعُ الشَّحَنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنَزَّعَ حُمَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، حَتَّى يُدْخَلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَنْشِ فَلَا يَضُرَّهُ، وَتَلْقَى الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونُ فِي الْإِبِلِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَالذَّنَبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَيُسَلَبَ الْكُفَّارُ مُلْكُهُمْ، فَلَا يَكُونُ مُلْكٌ إِلَّا الْإِسْلَامُ، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَأَثُورَةِ الْفِضَّةِ، فَتَنْبِتُ نَبَاتَهَا كَمَا كَانَتْ عَلَى عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ فَيُشْبِعُهُمْ، وَيَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَانَةِ فَتُشْبِعُهُمْ، وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونُ الْفَرَسُ بِالدُّرِّهِمَاتِ}³، فهي مسيحية إسلامية تختلف فيها القوانين، وتعرف انتصارا للحكم العادل في آخر الزمان بعد التخلص من كل ما يهدد السلام آنذاك. وتشبه هذه النظرة اليوتوبية للعالم ما ورد في سفر إشعيا: "[وَيَبْنُونَ بُيُوتًا وَيَسْكُنُونَ فِيهَا، وَيَغْرِسُونَ كُرُومًا وَيَأْكُلُونَ أَثْمَارَهَا. لَا يَبْنُونَ وَآخَرُ يَسْكُنُ، وَلَا يَغْرِسُونَ وَآخَرُ يَأْكُلُ. لِأَنَّهُ كَأَيَّامِ شَجَرَةِ آيَّامٍ

¹ Yücesoy, Hayrettin. *Messianic Beliefs and Imperial Politics in Medieval Islam: The Abbasid Caliphate in The Early Ninth Century*. Columbia, South of Carolina: the University of South of Carolina, 2009, p: 36-40.

² البخاري. صحيح البخاري. كتاب البيوع، باب قتل الخنزير (2222)؛ مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (242).

³ ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج (4077).

شَعْيِي، وَيَسْتَعْمِلُ مُخْتَارِي عَمَلٍ أَيْدِيهِمْ. لَا يَتَعَبُونَ بَاطِلًا وَلَا يَلِدُونَ لِلرُّعْبِ، لِأَنَّهُمْ نَسَلُ مُبَارِكِي الرَّبِّ، وَذُرِّيَّتُهُمْ مَعَهُمْ. وَيَكُونُ أَنِّي قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أُجِيبُ، وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْدُ أَنَا أَسْمَعُ. الدِّثْنُ وَالْحَمَلُ يَرْعِيَانِ مَعًا، وَالْأَسَدُ يَأْكُلُ التِّبْنَ كَالْبَقَرِ. أَمَّا الْحَيَّةُ فَالْتُّرَابُ طَعَامُهَا. لَا يُؤْذُونَ وَلَا يُهْلِكُونَ فِي كُلِّ جَبَلٍ قُدْسِي، قَالَ الرَّبُّ" [(65: 22-25).

نظرا لكون المسألة مغرية لكثير من المهووسين الذين يسعون لتسريع وقوع هذه الأحداث، فإن القرآن الكريم وضع منهجا لإبقاء الأدب القيامي تحت السيطرة¹، فلم يفصل في الأحداث الأخيرة، ولم يركز عليها، بل ركز على الآخرة نفسها. كما أن الأحاديث دعت للتعوذ بالله من الفتن، والصبر إلى حين لقائه ﷺ²، وعدم تمني لقاء العدو³، وقد علم ﷺ أن السعي لتسريع أحداث الساعة الكبرى سيتطلب التمرد والخروج على السلطان، ولهذا اعتبر ذلك جاهلية⁴ وعدم تحضر، خاصة إذا تعلق الأمر بهوس يدفع صاحبه إلى التيقن من النصر أمام وجود قوى عظمى تمنع تحقيقه. وأكد رسول الله ﷺ أن الهدف من الإشارة لأحداث النهاية هو الدعوة للإيمان واكتساب خير الأعمال قبل وقوعها⁵، كما أمر أتباعه أن يستمروا في العمل وإن قامت الساعة في قوله: {إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا}⁶.

¹ Yücesoy, Hayrettin. *Messianic Beliefs and Imperial Politics in Medieval Islam: The Abbasid Caliphate in The Early Ninth Century*. Ibid, p: 72.

² البخاري. صحيح البخاري. كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن (7091)؛ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: {سترون أمورا بعدي تنكرونها}.

³ مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء (1741).

⁴ البخاري. صحيح البخاري. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: {سترون أمورا بعدي تنكرونها} (7053).

⁵ مسلم. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (2947).

⁶ البخاري. الأدب المفرد. الجزء الثالث، باب اصطناع المال (479).

بل دعا في بعض الأحيان إلى اجتناب الفتن والهرب بالدين¹، وهي نفس وصية عيسى ﷺ
لأتباعه (متى 10: 23).

سعى في المقابل كثير من المشتغلين بموضوع الفتن والعلامات إلى محاولة تفسير تلك
النبوات -سواء القرآنية أو الحديثية- حسب الأحداث التي يعايشونها؛ فلقد سيطرت أحداث
الساعة الكبرى على فكر المسلمين منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه،
فقد كانوا يحاولون فتح القسطنطينية تنفيذا للنبوة منذ سنة 49هـ/ 669م، ولم يفتحوها
إلا سنة 857هـ/ 1453م²؛ أي بعد ثمانية قرون من النبوة، هذا إن صحت مطابقتها لما حدث،
حيث إن النبوة تتحدث عن ظهور مباشرة للدجال بعد اقتسام غنائم القسطنطينية. وعلى
العموم فقد كانت محاولات المسلمين الأبوكاليبسية المدفوعة بالهوس الإسخاطولوجي في فترة
كانت موازن القوى فيها تسمح لهم بذلك. ولكن الإشكال يكمن في محاولات معاصرة تفتقد
للعقلانية والواقعية، وهي نفس المحاولات التي قام بها الغيورون، فكادوا يتسببون في زوال
الديانة اليهودية في ذلك الزمن، فالمسيحانية الإسلامية انتقلت من تذكير بالآخرة والتوبة³
إلى إسخاطولوجيا تطبيقية.

زعم الخليفة الوليد بن يزيد في عهد الدولة الأموية، واعتمادا على سفر دانيال،
(90هـ/ 709م – 126هـ/ 744م) أن نهاية الزمان ستكون بعد 274 سنة من وفاة الرسول ﷺ،

¹ نفسه. صحيح البخاري. كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم (7081)؛ باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (7084).

² كلتي، برناردين. فتح القسطنطينية. ترجمة: شكري محمود نديم. بغداد: مكتبة النهضة، 1962، ص: 38؛ 131.

³ مسلم. صحيح مسلم. كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (2759).

ومن ثم يكون عمر المجتمع الإسلامي 300 سنة كما هو الشأن بالنسبة لبني إسرائيل، فكانت الخلافة العباسية تسعى لتوجيه النبوات لترسيخ حكمها السياسي ¹.

ثم ثار قائد عربي مسلم يدعى الحارث بن سريج بخراسان (128هـ/746م) على الخليفة الأموي مروان بن محمد (72هـ/691م – 132هـ/750م)، وقد كان ابن سريج من أهل السنة فلم يكن من الخوارج أو الشيعة أو غيرهم، لكنه كان يدعي أنه صاحب الرايات السود¹، يقول ابن كثير: "قال رسول الله ﷺ: {إِذَا أَقْبَلَتِ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ عَقِبِ خُرَاسَانَ فَاتُوهَا وَلَوْ حَبَوًّا عَلَى النَّلْجِ، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِي} ثم قال: "وقد استقصى ذلك نعيم بن حماد في كتابه، وفي بعض الروايات ما يدل على أنه لم يقع أمرها بعد، وأن ذلك يكون في آخر الزمان"². وبغض النظر عن دور أصحاب الرايات السود السلبي في الأحداث، وعن درجة صحة الحديث من ضعفه، فلم يكن ابن سريج وأتباعه متأكدين من أنهم يمثلون أحداث النهاية، وأكدوا أن نصرهم هو الضمان الوحيد على ذلك³، ولهذا يعتبر ابن سريج نموذجاً معتدلاً من أولئك الذين حولوا النبوات المسيحانية الإسلامية إلى تشريع سياسي، وقد كانت نهايته الإعدام صلباً⁴، ومن ثم فقد فشلت ثورته، وتبين أنه لا يمثل أي نبوة مسيحانية.

مع ذلك فإن انقلاب السلطة من أموية إلى عباسية كان مصدره الفكر المسيحاني، لأن الاعتقاد الإسلامي في المهدي -باعتباره من أهل البيت الذين كانوا من المستضعفين آنذاك-

¹ ابن كثير، الحافظ الدمشقي. البداية والنهاية، الطبعة الثانية. بيروت: مكتبة المعارف، 1990م، الجزء العاشر، ص: 26؛ ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب الفتن، باب خروج المهدي، (4084). عن ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: {«يُقْتَلُ عِنْدَ كُنُزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ - «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبَوًّا عَلَى النَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»}.
² ابن كثير. البداية والنهاية. الجزء السادس، م.س، ص: 246-247.

³ Yücesoy. *Messianic Beliefs and Imperial Politics in Medieval Islam*, p: 41.

⁴ ابن كثير. البداية والنهاية. الجزء السادس، ص: 27.

جعل رعايا الدولة الأموية يعتبرون ثورة بني العباس الهاشميين (أهل البيت) نذيرة باقتراب عودة المسيح عيسى ﷺ، فكانت الأفكار المسيحانية ملهمة لثورتهم. وبعد أن استحكم الأمر لبني العباس تم ربط فكرة انتشار العدل في آخر الزمان بنشر الإسلام في العالم أي الفتوحات الإسلامية، وربط بعض المفسرين ذلك بحكم بني هاشم، فقد أشار حذيفة إسحاق بن البشر لذلك بغرض تكريس هذا الفهم مستدلاً بقول كعب الأحبار: "ليس هناك جيش أكثر غنيمة من الجيش الزاحف على الصين، فحينما سيأتون بملك الصين وملك العقبة مصفدين سيجدون ابن مريم قد نزل بالشام"¹، مع العلم أن انتشار الإسلام ليس شرطاً من أشراف الساعة، لأنه سيغدو غريباً، وسيكون أكثر الناس عدداً -حسب صحيح مسلم- من أهل الروم، أي غير المسلمين².

لم يكن هذا الأمر حكراً على العباسيين، ولم يكن متعلقاً بالسياسية دائماً، بل بالأدب أيضاً، فقد كتب عبد الملك بن حبيب الأندلسي³ كتاباً أسماه "كتاب التاريخ"، حدد فيه موعد يوم القيامة، فذكر أن الحياة الدنيا منذ بدايتها لن تتجاوز 7000 سنة، وزعم أنه يعيش في الألف الأخيرة، ودليله آية: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (سورة الحج، الآية: 45)، وقول الرسول ﷺ: {خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا

¹ Yücesoy. *Messianic Beliefs and Imperial Politics in Medieval Islam*, p: 46.

² مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يارز بين المسجدين (145)؛ كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر أهل الأرض (2898).

³ أبو مروان عبد الملك بن حبيب المرداسي السلمي (174 هـ / 790 م - 238 هـ / 853 م): فقيه ومؤرخ وأديب ولغوي ولد بالبصرة وعاش في قرطبة ومات هناك. صنف غريب الحديث وطبقات الفقهاء والتابعين. ابن حبيب، عبد الملك السلمي الأندلسي. كتاب التاريخ، الطبعة الأولى. تحقيق: عبد الغني مستو، صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، 2008م، ص: 9.

ففيوم الجمعة¹، وبناء عليه ذكر ابن حبيب أن يوم الجمعة الذي تقوم فيه الساعة هو على الحقيقة يوم الجمعة الموالي لخلق آدم، فكأن الله ﷻ خلق الدنيا في ستة أيام، وسيفنيها بعد نهاية الستة الأخرى. كما أن للرقم سبعة دلالة رمزية على نظام الأشياء، ولهذا خلق الله سبع سماوات وسبع أرضين، والأيام سبعة، وشرع السعي بين الصفة والمروة سبعة²، ولعلها ليست مصادفة أن يذكر في "الهكادا" أن عمر العالم "مقدر له أن يكون 6000 سنة: ألفان منها هو زمن الخراب (بدون تورا)، وألفان مع وجود التورا، وألفان هي زمن حكم المسيح"³. وهنا يظهر مدى التلاقح الثقافي بين المسلمين واليهود في الأندلس.

وكان ابن حبيب نموذجاً للمؤرخين الذين اعتقدوا بقرب الساعة، فكان كتابه يصف الأحداث التاريخية كأنها نبوات اقتراب قيام الساعة⁴. وهذا يرجع إلى سيطرة الفكر المسيحياني في زمنه، وتأثيره في كتابات ذلك العصر. وفي المقابل، يؤكد المؤرخ البريطاني برنارد لويس (Bernard Lewis)⁵ أنه لم يكن للفكر المسيحياني مكان لا في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الصحابة الخلفاء الراشدين⁶، فمن أين جاءت الأفكار المسيحية التي انتشرت في العهد

¹ مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة (854).

² Yücesoy. *Messianic Beliefs and Imperial Politics in Medieval Islam*, p: 53-54.

³ *The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash*. Ibid, Part III, Chapter 5, 13, p: 390

⁴ ابن حبيب، عبد الملك. كتاب التاريخ، م. س، ص: 30-31.

⁵ برنارد لويس (1916-2018): مؤرخ بريطاني مهتم بتاريخ الشرق الأوسط والإسلام والحركات الإسلامية الراديكالية. وشغل منصب أستاذ فخري بجامعة برنستون بنيو جيرسي. كتب *The Assassins. A Radical Sect in Islam* و *The Emergence of Modern Turkey*.

Murphy, Brian. "Bernard Lewis, eminent historian of the Middle East, dies at 101". *Washington Post*. 20 May 2018. Retrieved 25 December 2020, from shorturl.at/lnIQZ

⁶ Heine, Peter. "I Am not the Mahdi, but ..." *Apocalyptic Time*. Ed. Albert I. Baumgarten. Leiden: Brill, 2000, p: 69.

الأموي والعباسي واليهود التي تلتها كالعهد الفاطمي؟ لعل ذلك يرجع للتأثر بالفكر المسيحي بعد غزو أوروبا وشعوب الشرق خاصة اليهود. ويؤكد هذه القضية صاحب كتاب إسقاطولوجيا الشرق (*Morgenlandische Eschatologie*)، والذي تحدث فيه عن المعجم الإسقاطولوجي الذي ترعرع في عهد الإمبراطورية البيزنطية بين المسيحيين واليهود والمسلمين¹، فكان التلاقح الثقافي سببا في نمو الفكر المسيحياني في تلك الفترة. وبدل سعي بعض المسلمين إلى التوبة عملا بأحاديث النبوات التي جاءت في سياق الأمر بالأعمال الصالحة قبل نهاية العالم، استبدلوا ذلك بسعي حثيث لتحصيل غنائم دنيوية اعتبرت فتنا، ولذلك تعتبر هذه الأطروحة الجري وراء تحقيق أشرار الساعة هوسا إسقاطولوجيا.

المبحث الثالث: الهوس الإسقاطولوجي عند المسلمين في الزمن المعاصر (داعش أنموذجا).

إن الهوس الإسقاطولوجي هو انعكاس لتأويل منحرف للنبوات الإسلامية التي تتحدث عن الخلافة ونزول المسيح وحدوث حرب كبرى، وهي نبوات -بغض النظر عن صحتها- قد أضحت تشكل مصدر قلق في الفكر الإسلامي، مما أدى إلى بروز جماعات إسلامية متطرفة آخرها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي أطلق على نفسه اسم "دولة الخلافة". عرف المسلمون كثيرا من الانقسامات العقائدية جراء إسقاطهم نصوص النبوات على الواقع، فزعم كثير منهم أنه المهدي المنتظر أو المسيح فانشق الصف؛ وهو الأمر الذي لم ينتج خلافات سياسية وثورات فحسب، بل أنتج أديانا مستقلة مثل البابية والبهائية

¹ Baun, Jane. « The Moral Apocalypse in Byzantium. » *Apocalyptic Time*. Ibid, p: 242.

والأحمدية، وغيرها من العقائد المهداوية المسيحانية. ولأن الأطروحة لا تتسع لكل هذه الملل المسيحانية، ونظرا لكون تنظيم داعش له خلفية سنية فقد وقع الاختيار عليه، وقد شهد العالم عمليات إرهابية تبنتها جماعات مسلحة تنسب نفسها للإسلام، وتميز خطاب تلك الجماعات بالدعوة للجهاد في قالب راديكالي، بحيث نشرت أفكارها عبر رسالة تحمل قيم الكراهية للآخر والدعوة للعنف، ولم تتغير رسالة الجهاديين مع حلول الألفية الثالثة، وإنما تغيرت وسائلهم، وتطورت من خلال الإعلام واستغلال الأحداث العالمية لدعم وجهة نظرهم؛ ومن تلك الأحداث غزو العراق وأفغانستان، والثورة السورية والحراك الشعبي في العراق ... وأهم معالم التطور على مستوى الوسائل استخدام الآليات التقنية بدقة كحجب التتبع والتلاعب بالصورة، وفي نفس الوقت اللجوء لتأويل النصوص الدينية المتعلقة بنهاية العالم لتتناسب والأحداث العالمية، ومن ثم خلق جو أبوكاليسي يستهوي الأتباع الجهاديين¹.

أدى بزوغ دولة الإسلام في العراق والشام "داعش" إلى تعديل ملحوظ في الخطاب الجهادي الذي انتقل من معاداة الآخر المختلف أيديولوجيا إلى معاداة التيارات المتبنية لنفس أيديولوجيته، ومن ذلك تنظيم القاعدة وجمعة النصرة وغيرها من التنظيمات الجهادية على الساحة. وفي الوقت نفسه أضحت دعوة رائد الجهادية الجديد "داعش" موجهة ليس فقط للمختلفين معهم أيديولوجيا، بل أيضا لبقية الفصائل الجهادية تحت مسمى البيعة. نحن إذن أمام عناصر جذب مبتكرة ليس فقط لمقاتلي تنظيم القاعدة، ولكن أيضا لجهاديين لا يستهويهم إلا هذا النوع من الخطاب.

¹ الهاشمي، هشام. عالم داعش: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، الطبعة الأولى. لندن: دار الحكمة، 2015م، ص: 35-36.

إن أهم معالم رؤية تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام التي تظهر من خلال خطابات أبي بكر البغدادي تتلخص في العقلية الإقصائية والنخبوية التي تهيمن على منظورها؛ فهو يعتقد أنه حامي حما السنة وحارسها ضد المد الشيوعي الصفوي، كما زعم أنه ممثل للأمة الإسلامية في معاركه في سوريا والعراق، فقام بإقصاء حتى تنظيم القاعدة، الرحم الذي خرج منه، ويظن التنظيم أنه ما إذا فرضت البيعة على جميع خصومه (ويقصد بقية المقاتلين ضد نظام الرئيس السوري بشار الأسد) فإن المؤامرات ضده ستنتهي وسيتم بذلك توحيد المجاهدين لقتال العدو المشترك، والذي يتمثل في نظام الأسد وحلفائه، وهي دعوة متعالية وجهها لقيادات الجهاد بسوريا والعراق من أجل أن يتوحدوا تحت قيادته هو وحده بغرض بناء الدولة وإقامة أحكام الشريعة الإسلامية على منهاج الخلافة النبوية، ولمح التنظيم بذلك إلى أن بقية الفصائل ليس لديهم أي مشروع متكامل بخلافه¹.

يتسم الخطاب الجهادي الجديد بتركيزه على الجانب الإسقاطولوجي من الدين، وهو ما يخص نبوات غيبية وردت في بعض الأحاديث حول مجيء المهدي ونزول المسيح لقتل الدجال ويأجوج وماجوج؛ فنجد أبا عمر البغدادي القائد السابق لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق يقول: "فلمست أشك يعلم الله، طرفة عين ... أنا نحن الجيش الذي يسلم الراية لعبد الله المهدي ... إن قتل أولنا ... فسيسلمها آخرا ..."، ويقول كذلك: "أتخالون أنا سننتهي؟ ... كلا إننا باقون بإذن الله إلى قيام الساعة وليقاتلن آخرا الدجال"²، فإن ميول داعش الأبوكاليسية هي التي تمنح التنظيم تفردا يجذب الجهاديين، ومع ذلك فإن أيديولوجية

¹ الهاشمي، هشام. عالم داعش: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، م.س، ص: 171.

² إبراهيم، فؤاد. داعش من النجدي إلى البغدادي: نوستالجيا الخلافة، الطبعة الأولى. بيروت: مركز أوائل للدراسات والتوثيق، 2015م، ص: 138.

التنظيم المتزمتة خلقت له مشاكل داخل التنظيم نفسه، خاصة بعد مقتل أبي بكر البغدادي¹.

رغم ما يحمله الإسلام من نصوص تتعلق باليوم الآخر، أهمها أن الله ﷻ هو ملك يوم الدين (سورة الفاتحة، الآية: 3)، لكن الإسلام لا يتوفر على وثائق إسقاطولوجية متفق عليها. فإننا نجد في الإنجيل مثلاً سفرًا باسم رؤيا يوحنا، في حين لا نجد في القرآن الكريم سورة خاصة بالإسقاطولوجية التي نتحدث بتفصيل عما يطلق عليه في الإسلام أشراط الساعة، بل كل ما يتعلق بتلك التفاصيل نجده في أحاديث متفرقة، بعضها ضعيف السند، وقليل منها صحيح السند، وهذا الأمر يفتح باب التأويل والقراءة للأبوكريفا الإسلامية على مصراعيه، فيختار داعش ما يناسب أجندته ليكونوا هم ملوك يوم الدين²، وهو نوع من إضفاء القداسة على حربهم - ليس عن طريق الشريعة الإسلامية- بل من خلال النبوات المستقبلية.

يؤسس الدواعش كذلك لثقافة المخلص والمنقذ عبر مؤسساتهم الإعلامية في الأنترنت، وفي مواقع التواصل الاجتماعي، ويسعون لإضفاء صبغة القداسة على فكرة الخلافة المتمثلة في تجديد الإسلام على منهاج النبوة والرشاد من غير اعتبار للقوميات والحدود³؛ وهو اعتماد آخر لحديث رواه أحمد: {تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ

¹ فرغلي، ماهر. "داعش من التمكين إلى الانتشار.. البناء الثالث." Trends Research and Advisory، 15 دجنبر 2020، مسترجع بتاريخ 07 فبراير 2021 من العنوان: shorturl.at/ansRT.

² Fromson, James and Simon, Steven. « ISIS: The Dubious Paradise of Apocalypse Now. » Survival, Vol. 57 no. 3, June-July 2015, pp. 8-56, p: 28.

³ الهاشمي، هشام. عالم داعش: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، م. س، ص: 139.

يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ¹، فصارت عبارة "خلافة على منهاج النبوة" بالنسبة لداعش الشعار غير الرسمي للتنظيم ومصدر هيئته، وهو يبرر عن طريق إعلانه للخلافة كل جرائمه باعتباره دولة ذات "سيادة"، كما يعتبر نفسه الحكومة الشرعية الوحيدة التي تمثل أمة المسلمين ويطالبهم على إثر ذلك بالدخول في البيعة².

علاوة على ذلك، فإن التنظيم قد صدّق أن قياداته هم أصحاب الرايات الذين سيسلمونها للمهدي حقيقة، ويدل على ذلك تسميتهم لإحدى شبكاتهم الإخبارية "مجلة دابق"³، وأخرى سموها "وكالة الأعماق"⁴، لأن الحديث المروي في أشرطة الساعة يتحدث عن منطقة بسوريا ستقع بها معركة كبرى، وهما موضعان مختلفان بقرب حلب، لكن الراوي لم يكن متأكدا ما إذا كان النبي ﷺ قد قال دابق أو الأعماق، حيث يقول: {لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نُقَاتِلُهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِم

¹ ابن حنبل، أحمد. مسند أحمد. جزء 30، (18406).

² Fromson, James and Simon, Steven. « ISIS: The Dubious Paradise of Apocalypse Now. » Ibid, p: 30.

³ « على ماذا يستند السنة والشيعية في معركة "القيامة" بسوريا؟ » أرشيف CNN بالعربية. 13 أكتوبر 2013. مسترجع بتاريخ 26 دجنبر 2020 من العنوان http://archive.arabic.cnn.com/2013/middle_east/9/25/syria.Religious-clashes/.

⁴ « "وكالة أعماق" .. من صفحة فيسبوك! إلى الذراع الإعلامي الأقوى لتنظيم داعش. » الأمانة العامة للمؤتمر العالمي لمواجهة التيارات المتطرفة و التكفيرية. 14 دجنبر 2017. مسترجع بتاريخ 26 دجنبر 2020 من العنوان shorturl.at/uFMW3.

أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةً¹.

إن أنصار تنظيم "الدولة الإسلامية" يرون أن العلامات على تحقق النبوات الواردة بالحديث بدأت تظهر بالفعل جراء انضمام مقاتلين من أوروبا وأمريكا إلى التنظيم، في مقابل الاستعدادات الدولية لمقاتلة التنظيم عبر التحالف الذي يتوسع باضطراد، إلى جانب إمكانية تدخل تركيا ضد التنظيم، وهذا يبرر من ثم مهاجمة القسطنطينية "إسطنبول" المدينة التي تقطنها غالبية مسلمة، وأشاروا في شبكاتهم إلى أن المعركة ستكون "عظيمة" بضمها مئات الآلاف من المقاتلين، وسيجتمع "الروم" (الأوروبيون والأمريكيون) تحت ثمانين راية، تضم كل واحدة منها اثنا عشر ألف مقاتل، أي ما يعادل 960000 جندي، وعلق أبو بكر البغدادي قائلاً: "ما يحدث في عين الإسلام (التسمية التي أطلقها داعش على كوباني) المجاورة لدابق ليس شيئاً عبثياً بل مخطط له منذ قرون بشرنا بهذه المعركة المصطفى ... وستنزل ثمانون دولة صليبية لا محال وسنهزمهم." كما يرى همام الشمري أنه لم يتبق سوى ثمانين عشرة دولة -بعد أن وصل العدد لاثنتين وستين- على معركتهم الكبرى².

أشار أبو سليمان العتيبي -وهو قاضي دولة العراق الإسلامية- للأخطاء التي وقع فيها تنظيم داعش فيما يخص أسراط الساعة الذي تحول لعمل جهادي متهور؛ وذلك لجزمهم أن المهدي سيخرج خلال عام، وأنهم بالنتيجة سيملكون الأرض انطلاقاً من بلاد الرافدين في

¹ مسلم. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، (2897).

² «دابق» مجلة داعش.. اسم قرية سورية وردت في صحيح مسلم تشهد حرب "آخر الزمان" التي يقاتل فيها داعش 80 راية قبل

"فتح" إسطنبول ونزول المسيح. «CNN بالعربية». 14 أكتوبر 2014. مسترجع بتاريخ 26 دجنبر 2020 من العنوان:

<https://arabic.cnn.com/middleeast/2014/10/14/dabiq-syria-isis-islamic>.

غضون ثلاثة أشهر، ولذلك أصدر أبو بكر البغدادي أمرا بالنزول إلى الساحات وعدم الانسحاب لمدة أسبوع حتى يأتي الأمر بالانسحاب، وهو الأمر -حسب العتيبي- الذي عرض حياة المقاتلين للخطر، وكان الغرض من نشر تنظيم داعش لمقاتليه على الساحة هو جعل النبوات حقيقة معيشة وليس مجرد هدف مفترض، وهنا يكمن السر وراء جاذبيته للجهاديين¹.

يعتبر التكفير والجهاد ركيزتي كل التنظيمات المسلحة، لكن تنظيم داعش أضاف ركيزة أخرى؛ وهي البيعة التي طعمها بمجموعة من النصوص الأبوكاليسية ليضفي المشروعية الدينية على خلافته، في حين أن النصوص الأبوكاليسية -إن صحت- لا تصلح للاستدلال الفقهي والشرعي، ورغم أن العمل الإعلامي لنظام داعش برّاق، إلا أن اللمعان ليس حكرا على الذهب والفضة، ومع مرور السنين اتضح أن للكذب على الأنبياء نهاية مخزية.

خلاصة

يكمن الخلل في الاعتقاد بالهوس الإسقاطولوجي أن المتدين يترك أصل الدين العقائدي والعملي، ويركض وراء نبوات غيبية، ويحاول إسقاطها على واقع معين أو يسعى إلى تحقيقها بطريقة أو بأخرى، فلو سألت مسلما منضمّا أو مناصرا لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، ما الذي دعاكم لإقامة الخلافة؟ لاستدل بحديث في النبوات أن النبي ﷺ بشر بها، فهؤلاء يظنون أنهم بمحاولاتهم تنزيل تلك النصوص كرها على الواقع، فإنهم سيعجلون من تحقق الأيام الأخيرة التي ستنتهي إلى تحقيق العدل والسلام، ولذلك تجدهم يهدرون في سبيل ذلك

¹ Fromson, James and Simon, Steven. « ISIS: The Dubious Paradise of Apocalypse Now. » Ibid, p: 29; 32.

كثيرا من الدماء. ومع ذلك، فإن القوى العالمية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وإيران يتحملون قسما من المسؤولية؛ نظرا لسوء تديبرهم للملف السياسي في الشرق الأوسط، وقد ساهموا بشكل كبير، ولو غير مباشر، في تقوية الإرهاب عن طريق دعم إسرائيل ودخولهم في معارك خاسرة وعمليات عسكرية تمس ملف حقوق الإنسان، وهو أمر استفز بعضا من المسلمين ولعله أدى إلى دفعهم للانضمام إلى داعش.

خاتمة

إن الغيرة جزء من المعتقد اليهودي، لكن الإشكال الذي كان مطروحا هو ما إذا كان لها أهمية باعتبارها مكونا أساسيا في العقيدة اليهودية، فالغيرة قبل كل شيء إحساس لا فعل، وهي تذكرنا بمفهوم الولاء والبراء الذي تدعو إليه الحركات المتطرفة، وتعتبره عقيدة إسلامية وجزءا لا يتجزأ منها، وتنبني عليه منطلقات لتصنيف الناس إلى مسلمين وكفار، فمن المحتمل أن الأمر كان كذلك، فالغيرة أو الولاء والبراء مجرد مشاعر يحملها المؤمن بدينه ولا ينبني عليها أي دعوة للعنف أو تحريض على الآخر، وقد يكون لها دور مهم في الدفاع عن الوطن، ولكن ليست أبدا مبررا للهجوم على الآخرين، وتأجج تلك الأحاسيس أحيانا قد يكون تهورا، وإن كان بهدف الدفاع عن الوطن. لعل أمر اليونانيين كان ضعيفا في عهد المكابيين، فكان تأجيج الغيرة أمرا فعالا لإنهاء أمر الاحتلال السلوقي، لكن ما كان ذلك ليتم لولا مساعدة الرومان باعتبارهم حلفاء للمكابيين، وتجمع بينهم مصلحة مشتركة في إضعاف التراث المقدوني في المنطقة. ولكن في المقابل، لم يفلح شعار الغيرة في القرن الميلادي الأول، ولا أفلح شعار حاكمية الله لأنه كان نابعا من عدم تخطيط وركوب أمواج فوضى عارمة، ولم يكن على اليهود سوى التفاعل مع الوضع سواء عن طريق العنف أو الاستسلام الذي كان سيؤدي لنفس النتيجة في النهاية؛ وهي إجراء تعديلات على الديانة اليهودية نفسها وفصلها عن الهيكل.

قامت ثورة حزقيا وابنه يهوذا وكانت قضيتها سياسية، وإذا كان لثورة هذين الشخصين تأثير على الأحداث فيما بعد، فلعله تمثل في الدفاع عن اورشليم، وشعبها المقدسين، ومن ثم يمكن اعتبار ما تبقى من أتباع يهوذا بن حزقيا غيورين مكابيين، ولا علاقة لهم سواء بالسكاريين أو الزيلوت على اعتبار ظهور هذه الجماعات المتأخر. وقد كانت للفلسفة الرابعة أكبر تأثير، وهي من خلفت ما سمي بالسكاريين ومدعي النبوة، ولا شك أن السكاريين هم من

تفرع عنهم من أسموا أنفسهم بالزيلوت الذين عرفوا باسم الطغاة، وعرفوا بمواجهتهم المباشرة للرومان بخلاف السكاريين الذين عرفوا باغتيال الموالين من اليهود للرومان. وقد كان للكهنة الفريسيين دور في الحرب اليهودية، باعتبار أن التأويل السائد آنذاك للديانة اليهودية قد حث على النظام الهيروقراطي، ومع ذلك يمكن أن يطلق على كل هذه الفصائل بالغيورين. هذه الفصائل أو بعضها أعاد التشكل في القرن الميلادي الثاني، وأعلنوا التمرد على الرومان مباشرة بعد أن صار واضحاً أنهم العدو الأول، ولكن يستبعد أن يكون للزيلوت وجود آنذاك. أما السكاريين فإن اسمهم ارتبط باستخدام الخناجر إضافة إلى كونهم مسيحيانين، ويمكن أن نسمي جميع المقاومين للسلطة الأجنبية منذ عهد المكابيين إلى عهد بركوبا بالغيورين باعتبار الغيرة عقيدة يهودية برزت بقوة على أرض الواقع في تلك الفترة.

إن المتأمل في نهج عيسى ﷺ يرى أن له مواقف سياسية محتشمة لا تتعدى ما هو متعلق برفع الظلم عن الناس والسماح لهم بأداء شعائهم بحرية دون تدخل لا من السلطات السياسية ولا حتى الدينية، فإنه يقول: «وَوَيْلٌ لَّكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لَأَتَّكُمُ تَحْمِلُونَ النَّاسَ أَخْمَالاً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لَا تَمْسُونَ الْأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ» [لوقا 11: 46]، وإن كان وصفه ﷺ لهيرودس بالثعلب تعبيراً عن رأيه السياسي إلا أنه لم يقدر حملة مباشرة ضد القيادات السياسية، بل تجنبها وحاول أن ينفذ بجلده منها (لوقا 13: 31-33)، ومن ثم يمكن القول إن عيسى ﷺ كان غيوراً على دينه ووطنه، ولم يعتبر الغيورين أعداء لرسالته، وربما كانوا أنفسهم مجرد ضحية لعنف سبق منه السيف العدل، ولم يكن لهم دور مباشر في الثورة الرومانية، ولو كان عيسى مكانهم لاختار بعد أن اندلعت الحرب والفتنة الوقوف بجانب قومه الذين بعث فيهم، ولكنه ﷺ في الوقت نفسه مقت التطرف واللجوء للعنف

خاصة الذي اعتمده السكاريون (متى 26: 52)، فإن السكاريين كانوا مهووسين بالأدب القيامي الذي تركه المكابيون، وكانوا يترصدون الفرصة التي تشتعل فيها نار الحرب، إذ اعتبرت في اعتقادهم السبيل الوحيد لتحقيق الآمال اليهودية المسيحانية، ولكن هيهات، فبعد أن كفر بنو إسرائيل بعيسى ﷺ وطاردوا أتباعه، فأنى لهم النصر؟ لقد كان عيسى غيوراً، لكنه لم يكن من حزب الغيورين. إن عدم مشاركته في الحرب اليهودية الرومانية لا يمنع إقراره لها، ولكن من المؤكد أنه ما كان ليقر بالوجه المتطرف للثورة ضد الرومان الذي أبان عنه الغيورون.

كما أدى هوس بعض الجماعات -سواء كانت مسلمة أو يهودية- وسوء تأويلها للنصوص الدينية والواقع معاً إلى مزيد من المآسي الإنسانية، فازداد الظالمون ظلماً، فإننا نرى جماعات دينية اليوم لم تتعظ بالتاريخ، وما زالت إلى اليوم تحاول تغيير العالم عن طريق الدعوة إلى التطهير، وهو أمر لا يقدر عليه إلا رب العالمين، وأما الإنسان فمحدودة قدراته، فإن التهور وإشعال نيران الحرب لن يكون وسيلة لإقامة العدل، وأما علامات الساعة فلا يعلم أمرها إلا الله ﷻ، ولا يصح أن يتدخل كائن بشري -لا يعلم حتى ما خفي عنه في الماضي- لتحقيق غيبات مستقبلية لم نؤمر بها، ولم تكن جزءاً من شريعتنا.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم، يرواية عاصم عن نافع.

الكتاب المقدس، الطبعة الخامسة. الفاندايك العربية، القاهرة، دار الكتاب المقدس، 2010.

إبراهيم، فؤاد. داعش من النجدي إلى البغدادي: نوستالجيا الخلافة، الطبعة الأولى. بيروت:

مركز أوائل للدراسات والتوثيق، 2015.

آثار اليهود القديمة: محاوره ضد أبيون، الطبعة الأولى. ترجمة: محمد حمدي إبراهيم. المكتب

المصري للمطبوعات: القاهرة، 2007.

البخاري، محمد بن إسماعيل. الأدب المفرد. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: المطبعة

السلفية ومكتبتها، 1375هـ.

ترجمة متن التلمود (المشنا): نزقين - الأضرار. ترجمة: مصطفى عبد المعبود، الطبعة الأولى.

مكتبة النافذة، القاهرة، 2007.

التلمود البابلي: المقدمات - الفهارس - مسرد المصطلحات، الطبعة الأولى. المؤسسة الأردنية

للبحوث والمعلومات. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 2011م.

ابن أبي الحاتم، عبد الرحمن ابن ادريس. تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم والصحابة والتابعين، الطبعة الأولى. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز،

1997.

الحاتمي، محمد. "الجماعات اليهودية المغربية والخيار الصعب بين نداء الصهيونية ورهان المغرب المستقل: 1947-1961." دكتوراه غير منشورة. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس: 2007.

الخضري، حنا جرجس. تاريخ الفكر المسيحي: يسوع المسيح عبر الأجيال. القاهرة: دار الثقافة، 1981م، ص: 263.

ال دراوشة، عبد الله سالم. "المعرفة والوصم الاجتماعي واتجاهات طلبة الجامعات الأردنية نحو المصابين بمرض الإيدز". رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة مؤتة: مؤتة، 2010.

الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ. الرهبة اليسوعية. الكتاب المقدس، الطبعة الثالثة. بيروت: دار المشرق، 1988-1994.

السقاط، حنان. بين الاستشهاد والإرهاب، الطبعة الثانية. الرباط: منشورات الزمن، 2018.

السواح، فراس. أَلغاز الإنجيل، الطبعة الأولى. دمشق: دار التكوين 2012.

_____ . الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم،

ومقدمة في المسيحية الغنوصية، الطبعة الأولى. دمشق: دار علاء الدين، 2004.

الشرقاوي، جمال الدين. المسيح والمسيا: مبحث جديد، الطبعة الأولى. الجيزة: مكتبة النافذة، 2006.

الصليبي، كمال. البحث عن يسوع: قراءة جديدة في الأناجيل. عمان: دار الشروق.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة الأولى. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م.

العقاد، عباس محمود. حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث. القاهرة: نهضة مصر، 2005م.

العوري، هالة. أهل الكهف: قراءة في مخطوطات البحر الميت، الطبعة الأولى. بيروت: رياض الريس، 2000م.

العيسة، أسامة. مخطوطات البحر الميت: قصة الاكتشاف، الطبعة الأولى. دمشق: دار قدمس، 2003.

الغندور، نبيل أنسى (ترجمة عن العبرية). المسيح المخلص في المصادر المسيحية اليهودية، الطبعة الأولى. الجيزة: مكتبة نافدة، 2007.

الفغالي، بولس وعوكر، أنطوان (ترجمة). النصوص المذكورة في العهد القديم العبري ترجمة بين السطور: عبري-عربي، الطبعة الأولى. بيروت: المكتبة البولسية، 2007.

_____ (ترجمة). العهد الجديد ترجمة بين السطور، يوناني - عربي، الطبعة الأولى. بيروت: الجامعة الأنطوية، 2003.

القيصري، يوسابيوس. تاريخ الكنيسة، الطبعة الثالثة. ترجمة: مرقس داود. القاهرة: مكتبة المحبة، 1997م.

المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق، 1999.

المنجد في الأعلام، الطبعة التاسعة والعشرون. بيروت: دار المشرق، 2008م.

الهاشمي، هشام. عالم داعش: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، الطبعة الأولى. لندن: دار الحكمة، 2015.

باركلي، وليم. تفسير العهد الجديد: إنجيل مرقس، الطبعة الأولى. ترجمة: فهم عزي، القاهرة: دار الثقافة، 1993.

_____. تفسير العهد الجديد: إنجيل متى، الطبعة الأولى. ترجمة: فايز فارس. القاهرة: دار الثقافة، 1993.

تعاليم الرسل: الدسقولية، الطبعة الثانية. إعداد: وليم سليمان قلادة. القاهرة: دار الثقافة، 1989.

ابن حبيب، عبد الملك السلمي الأندلسي. كتاب التاريخ، الطبعة الأولى. تحقيق: عبد الغني مستو، صيدا-بيروت: المكتبة العصرية. د.ت.

ابن حنبل، أحمد. مسند أحمد، الطبعة الأولى. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.

الحمومي، بدر. المسيح ثائراً: نزعة المقاومة عند الزيلوت والأسينيين. القاهرة: دار رؤية، 2019.

أبو داود، سليمان الأزدي. سنن أبي داود، الطبعة الأولى. بيروت: دار ابن جزم، 1997.

ديورانت، ويل وايريل. قصة الحضارة، الطبعة الأولى. ترجمة: محمد بدران، بيروت: دار الجيل، 1992.

رستم، أسد. آباء الكنيسة، الطبعة الثانية. بيروت: المكتبة البولسية، 1990 م.

زكار، سهيل (ترجمة). الأناجيل النصوص الكاملة، الطبعة الأولى. دمشق: دار قتيبة، 2008.

ستيس، ولتر. تاريخ الفلسفة اليونانية. ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد. القاهرة: دار الثقافة، 1984.

سيمون، فيليب وميرجي، رفائيل. مائير كهانا وغلاة التطرف الأصولي اليهودي، الطبعة الأولى.

ترجمة وإعداد: عائدة عم علي. دار الأوائيل: دمشق، 2003م.

طابور، جيمس د. سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة، الطبعة الأولى، ترجمة: سهيل زكار. دمشق:

دار قتيبة، 2008.

طرابشي، جورج. معجم الفلاسفة، الطبعة الثالثة. بيروت: دار الطليعة، 2006.

ظاظا، حسن. الفكر الديني الإسرائيلي. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1971، ص:

260.

ابن عاشور، سيد محمد. اليهود في عصر المسيح، الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم، 1414هـ/

1993م.

عبد المسيح، عادل فرج. موسوعة آباء الكنيسة. القاهرة: دار الثقافة، 2006م.

عكاشة، علي والناطور، شحادة وبيضون، جميل. اليونان والرومان، الطبعة الأولى. أريد: دار

الأمل، 1991م.

ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد

السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

فرانس، ريتشارد توماس. التفسير الحديث للكتاب المقدس: العهد الجديد، إنجيل متى، الطبعة

الأولى. ترجمة: أديب شكري. القاهرة: دار الثقافة، 1990.

فورست، روبيرت فان. يسوع خارج العهد الجديد: مدخل إلى الأدلة القديمة، الطبعة الأولى.

ترجمة: وسيم حسن عبده. دمشق: دار صفحات، 2012م.

قوجمان، يحزقيل/קוגמן, יחזקאל. قاموس عبري-عربي/מילון עברי-ערבי. بيروت: دار الجيل، 1970.

ابن كثير، الحافظ الدمشقي. البداية والنهاية، الطبعة الثانية. بيروت: مكتبة المعارف، 1990.
كلي، برناردين. فتح القسطنطينية. ترجمة: شكري محمود نديم. بغداد: مكتبة النهضة، 1962.
كمال، ربي. المعجم الحديث: عبري-عربي، للمترجم وللطالب الجامعي، الطبعة الثانية. بيروت: دار العلم للملايين، 1992.

لونوار، فريدريك. المصنف الوجيز في تاريخ الأديان. ترجمة: محمد الحداد. تونس: دار سيناترا، 2012.

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، 1952.

مجموعة من الكهنة وخدام الكنيسة. الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، الطبعة الثانية. القاهرة: كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، 2007.

مسلم النيسابوري، أبو الحسن بن الحجاج القشيري. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول صلى الله عليه وسلم)، الطبعة الأولى. الرياض: دار طيبة، 2006.

ابن منظور. لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف.

منى، زياد. مقدمة في تاريخ فلسطين القديم. بيروت: دار البيان، 2000.

نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الرابعة

عشر. هيئة التحرير: بطرس عبد الملك وجون الكساندر طمسن وإبراهيم مطر. بيروت: دار

مكتبة العائلة، 2001م.

نعمة، حسن. موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات

القديمة. بيروت: دار الفكر اللبناني، 1994م.

يوسيفوس. تاريخ يوسيفوس اليهودي، بيروت: المطبعة العلمية، 1872.

- La bible*, Segond 21. Genève : Société Biblique de Genève, 2007.
- The Holy Bible: Latin Vulgate Translation*. Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library, 2002.
- The Holy Bible: Today's New International Version: New Testament Preview Edition*. Colorado Springs, CO : International Bible Society, 2001.
- “Solomon Zeitlin Dead at 84.” *Daily News Bulletin*. Jewish Telegraphic Agency, Vol. 43, No. 249, 30 December 1976, pp: 1-4.
- “Who Votes for Kahane?” *MERIP Reports*, no. 136/137, 1985, pp. 32–32.
- Agapius, (Mahboub) De Menbidj. *Kitab al-'Unvan (Universal History)*. Ed. & Trans. Alexandre Vasiliev. Paris: Patrologia Orientalis, 1909.
- Appelbaum, Alan. «The Idumaeans" in Josephus' "The Jewish War. » *Journal for the Study of Judaism in the Persian, Hellenistic, and Roman Period*, Vol. 40, No. 1, 2009, pp. 1-22.
- Applebaum, Shimon. « The Zealots: The Case for Revaluation. » *The Journal of Roman Studies*, Vol. 61, 1971, pp. 155-170.
- Aslan, Reza. *Zealot: The Life and Times of Jesus of Nazareth*. New York: Random House, 2013.
- Babylonian Talmud*. . Trans. Michael L. Rodkinson. Boston: The Talmud Society, 2018.
- Baumgarten, Albert I. *The Flourishing of Jewish Sects in the Maccabean Era: An Interpretation*. (Supplements to the Journal for the Study of Judaism; Vol. 55). Leiden : Brill, 1997.
- Beckwith, Roger T. «Daniel 9 and the Date of Messiah's Coming in Essene, Hellenistic, Pharisaic, Zealot and Early Christian

- Computation. » *Revue de Qumrân*, Vol. 10, No. 4 (40),
Décembre 1981, pp. 521-542.
- Benner, Jeff A. *The Ancient Hebrew Lexicon of the Bible: Hebrew Letters, Words and Roots Defined within their Ancient Cultural Context*. Pennsylvania: US, Virtual Book Worm, 2005.
- Borg, Marc. «The Currency of the Term 'Zealot'». » *The Journal of Theological Studies*, Vol. 22, No. 2 October 1971, pp. 504-512.
- Brandon, Samuel George Frederick. *Jésus et les Zélotes: Recherche sur le facteur politique dans le Christianisme primitif*. Trad. Georges et Béatrice Formentelli. Paris: Flammarion, 1975.
- Brighton, Mark. *The Sicarii in Josephus's Judean War: Rhetorical Analysis and Historical Observations*. Atlanta : Society of Biblical Literature, 2009.
- Buchanan, George Wesley. «An Additional Note to "Mark 11.15—19: Brigands in the Temple. » *Hebrew Union College Annual*, Vol. 31, 1960, pp. 103-105.
- _____. «Mark 11.15—19: Brigands in the Temple. » *Hebrew Union College Annual*, Vol. 30 (1959), pp. 169-177.
- Campbell, Edward F., Jr. « A New Book on Masada ». *The Biblical Archaeologist*, Vol. 29, No. 4, December 1966, pp. 125-128.
- Cazenove, John Gibson. *St. Hilary of Poitiers and St. Martin of Tours*. London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1883.
- CÉAS de la Mayenne. « Christophe Mézange, spécialiste des Sicares et des Zélotes «Le sujet reste encore brûlant» .» *Société*, Avril 2005, pp. 1-4.
- Collins, Adela Yarbro. «The Political Perspective of the Revelation to John ». *Journal of Biblical Literature*, Vol. 96, No. 2, June 1977, pp. 241-256.

- Croy, N. Clayton. «Sword Handling: The Early Christian Reception of Matthew 10:34.» *Journal of the Bible and its Reception*, 2019; Vol. 6, No. 1, pp. 135–162.
- _____. «The Messianic Whippersnapper: Did Jesus Use a Whip on People in the Temple (John 2:15)? » *Journal of Biblical Literature*, Vol. 128, No. 3, Fall 2009, pp. 555-568.
- Dickey, Samuel. “Jesus and His Brethren”. *The Biblical World*, Vol. 35, No. 1 January 1910, pp. 33-38.
- Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology*. Ed. William Smith. London: Taylor and Walton, Vol. 1, 1869.
- Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology*. Ed. William Smith. London: Taylor and Walton, Vol. 2-3 1849.
- Dios, Cassius. *Dio’s Roman History*, eds. E. Capps, T.E. Page, and W. H. D. Rouse. Trans. Earnest Cary. Herbert Baldwin Forster’s version. London: William Heinemann, 1925.
- Donaldson, Terence, L. «Zealot and Convert: The Origin of Paul's Christ-Torah Antithesis. » *The Catholic Biblical Quarterly*, Vol. 51, No. 4, October 1989, pp. 655-682.
- Donnini, David. *Gamala*, Donnini, David. *Gamala: Il segreto delle origini di Gesù*. Roma: Coniglio Editore, 2010.
- Ehrman, Albert. «Judas Iscariot and Abba Saqqara.» *Journal of Biblical Literature*, Vol. 97, No. 4, December 1978, pp. 572-573.
- Encyclopaedia Judaica*, 1st ed. Jerusalem: Keter Publishing House, 1971.
- Encyclopaedia Judaica*, 2nd edition. Jerusalem: Keter Publishing House, 2007.
- Encyclopaedia of Judaism*. 1st ed. Leiden-Boston: Brill, 1999.
- Encyclopedia of Religion*, 2nd ed. Michigan: Thomson Gale, 2005.

- Farmer, William Reuben. *Maccabees, Zealots, and Josephus: An Inquiry into Jewish Nationalism in the Greco -Roman Period*, 2nd ed. New York, Columbia University Press: 1958.
- Feldman, Louis H. «Josephus' Portrait of Jehu. » *Jewish Studies Quarterly*, Vol. 4, No. 1, 1997, pp. 12-32.
- Flavius, Joseph. *Oeuvres complètes de Flavius Joseph*, Trad. Arnould d'Andilly. Ed. J.A.C Buchon. Librairie delagrave, Paris : 1852.
- Flavius, Josèphe. *Histoire des Juifs, sous le titre de "Antiquités judaïques"*. Trad. Arnould D'andily, Paris: Gisse, 1870.
- Foyer, Dominique. « Les récits du procès de Jésus. » *Histoire de la justice*, Vol. 1, No 23, 2013, pp. 17-41.
- Friedman, Robert I.. « Inside the Jewish Terrorist Underground Author(s). » *Journal of Palestine Studies*, Vol. 15, No. 2, Winter, 1986, pp. 190-201.
- Fromson, James and Simon, Steven. « ISIS: The Dubious Paradise of Apocalypse Now. » *Survival*, Vol. 57 no. 3, June-July 2015, pp. 8-56.
- Garber, Zev. « The Jewish Jesus: A Partisan's Imagination. » *Shofar*, Vol. 23, No. 3, Spring 2005, pp. 137-143.
- _____. «The Jewish Jesus: Conversation, Not Conversion. » *Hebrew Studies*, Vol. 56 (2015), pp. 385-392.
- Goodblatt, David. « Priestly Ideologies of the Judean Resistance. » *Jewish Studies Quarterly*, Vol. 3, No. 3, 1996, pp. 225-249.
- Groenewald, E. P. « The Christological meaning of John 20 : 31. » *Neotestamentica*, Vol. 2, 1968, pp. 131-140.
- Heine, Peter. *"I Am not the Mahdi, but ..."* *Apocalyptic Time*. Ed. Albert I. Baumgarten. Leiden: Brill, 2000.

- Hengel, Martin. *The Zealots: Investigation into the Jewish Freedom Movement in the Period from Herod I until 70 A.D.* Trans. David Smith. Edinburgh : T. & T. Clark, 1989.
- _____. *War Jesus Revolutionär?* Stuttgart: Calwer Verlag Stuttgart, 1970.
- Hilary of Poitiers. *Commentary on Matthew*, trans. D. H. Williams. Washington, DC: Catholic University of America Press, 2012.
- Hill, David. «False Prophets and Charismatics: Structure and Interpretation in Matthew 7,15-23. » *Biblica*, Vol. 57, No. 3, 1976, pp. 327-348.
- Hippolytus. *Refutatio Omnium Haeresium*, ed. Miroslav Marcovich. Berlin: Walter de Gruyter, 1986.
- Hirschberg, Harris. «Simon Bariona and the Ebionites. » *Journal of Biblical Literature*, Vol. 61, No. 3 September 1942, pp. 171-191.
- Homolka, Walter. *Jesus Reclaimed: Jewish Perspectives on the Nazarene*. Trans. Ingrid Shafer. New York : Berghahn, 2015.
- Horsley, Richard A. «The Zealots. Their Origin, Relationships and Importance in the Jewish Revolt. » *Novum Testamentum*, Vol. 28, Fasc. 2 April 1986, pp. 159-192.
- Huntsman, Eric D. « The Reliability of Josephus: Can He Be Trusted? » *Brigham Young University Studies*, Vol. 36, No. 3, 1996-97, pp. 392-402.
- Jackson, Foakes & Lake, Kirsopp. eds. *The Beginning of Christianity*. New York: The Macmillan Company, 1933.
- Jackson, Kent P. « Revolutionaries in the First Century ». *Brigham Young University Studies*, Vol. 36, No. 3, Masada and the World of the New Testament, 1996-97, pp. 129-140.

- Josephus. *The Jewish War*. Trans. J. Thackeray. London: William Heineman, 1957, Vol. 3.
- Kelley, Nicole. «The Cosmopolitan Expression of Josephus's Prophetic Perspective in the "Jewish War". » *The Harvard Theological Review*, Vol. 97, No. 3, July 2004, pp. 257-274.
- Lake, Kirsopp. "Simon Zelotes." Ibid, p: 61; Zeitlin, Solomon. « Zealots and Sicarii. » *Journal of Biblical Literature*, Vol. 81, No. 4, Dec. 1962, pp. 395-398.
- _____. "Simon Zelotes." *The Harvard Theological Review*, Vol. 10, No. 1, January 1917, pp. 57-63.
- Luz, Menahem. «Eleazar's Second Speech on Masada and its Literary Precedents. » *Rheinisches Museum für Philologie*, Neue Folge, 126. Bd., H. 1, 1983, pp. 25-43.
- Maimonides, Moses. *The Guide for The Perplexed*, 2ed. Trans. M. Friedländer. Skokie, Illinois: Varda Books, 2002.
- Makarian, Christian. « Jésus, Il n'était pas un révolutionnaire politique. » Propos recueillis avec Olivier-Thomas Venard. *L'express*, N° 3275, 9 Avril 2014, pp. 58-59.
- Mantel, Hugo. «[The Causes of the Bar Kokba Revolt]: Postscript. » *The Jewish Quarterly Review*, Vol. 59, No. 4 April 1969, pp. 341-342
- _____. «The Causes of the Bar Kokba Revolt (Continued). » *The Jewish Quarterly Review*, Vol. 58, No. 4 April 1968, pp. 274-296.
- _____. «The Causes of the Bar Kokba Revolt. » *The Jewish Quarterly Review*, Vol. 58, No. 3 January 1968, pp. 224-242.

- Mathews, Shailer. « The Social Teaching of Paul. II. The Social Content of Messianism in New Testament Times ». *The Biblical World*, Vol. 19, No. 2, February 1902, pp. 113-121.
- Mézange, Christophe and C. Mèzange. « Simon le Zélote était-il un révolutionnaire ? » *Biblica*, Vol. 81, No. 4, 2000, pp. 489-506.
- Mézange, Christophe. *Les Sicaires et les Zélotes, la révolte juive au tournant de notre ère*. Paris: Librairie Orientalise Paul Geuthner, 2003.
- Mucz, David. “Frederick John Foakes-Jackson Papers, 1916-1941.” *Union Theological Seminary Archives 1*, The Burke Library Archives, Columbia University Libraries, Union Theological Seminary, New York, pp: 1-4.
- Neusner, Jacob, Avery-Peck, Alan j. and Green, William Scott. *The Encyclopaedia of Judaism*, 2nd edition. Leiden-Boston: Brill, 2005.
- Paul, Robert Stephen. *Etymological Dictionary of Greek*. Ed. Alexander Lubotsky. Leiden: Koninklijke Brill, 2009.
- Philo. *Philo*. Trans. F. H. Colson. Cambridge: Harvard University Press, 1985.
- Pitts, Andrew W. “Martin Hengel, the New Tübingen School, and the Study of Christian Origins.” *Pillars in the History of Biblical Interpretation*, Vol. 2, 2014, pp: 137-157.
- Rapoport, David C. «Fear and Trembling: Terrorism. » *The American Political Science Review*, Vol. 78, No. 3 September 1984, pp. 658-677.
- Roth, Cecil. « The Debate on the Loyal Sacrifices, A.D. 66. » *The Harvard Theological Review*, Vol. 53, No. 1, January 1960, pp. 93-97.

- Sasson, Theodore, Kelner, Shaul and Sasson, Ted. «From Shrine to Forum: Masada and the Politics of Jewish Extremism. » *Israel Studies*, Vol. 13, No. 2, Summer, 2008, pp. 146-163.
- Schoenfeld, Andrew J. "Sons of Israel in Caesar's Service: Jewish Soldiers in the Roman Military." *Shofar*, vol. 24, no. 3, 2006, pp. 115–126.
- Scott, Hamish M. "The Times of Christ". *The Biblical World*, Vol. 6, No. 6, December 1895, pp. 413-423.
- Seland, Torrey. «Saul of Tarsus and Early Zealotism Reading Gal 1,13-14 in Light of Philo's Writings.» *Biblica*, Vol. 83, No. 4, 2002, pp. 449-471.
- Seward, Desmon. *Jerusalem's Traitor: Josephus, Massada, and the Fall of Judea*. Cambridge: Da Capo Press, 2009.
- Smiles, Vincent M. «The Concept of "Zeal" in Second-Temple Judaism and Paul's Critique of It in Romans 10:2. » *The Catholic Biblical Quarterly*, Vol. 64, No. 2, April 2002, pp. 282-299.
- Smith, Morton. "What Is Implied by the Variety of Messianic Figures?" *Journal of Biblical Literature*, vol. 78, no. 1, 1959, pp. 66–72.
- _____. « Zealots and Sicarii, Their Origins and Relation. » *The Harvard Theological Review*, Vol. 64, No. 1 January 1971, pp. 1-19.
- Spero, Shubert and Rabinowitz, Louis. «The Defenders of Masada. » *Tradition: A Journal of Orthodox Jewish Thought*, Vol. 12, No. 2, Rabbinical Council of America, FALL 1971, pp. 136-139.
- Spero, Shubert. « In Defense of the Defenders of Masada ». *Tradition: A Journal of Orthodox Jewish Thought*, Vol. 11, No. 1, Spring 1970, pp. 31-43.

- The Book of Legends: Sefer Ha-Aggadah, Legends from the Talmud and Midrash.* Eds. Hayim Nahman Bialik et al. Trans. William Braude. New York: Schocken Books, 1992.
- Ukpong Justin S. «Tribute to Caesar, Mark 12:13-17 (Mt 22:15-22; Lk 20:20-26). » *Neotestamentica*, Vol. 33, No. 2, 1999, pp. 433-444.
- Van der Waal, C. « The Last Book of the Bible and the Jewish Apocalypses. » *Neotestamentica*, Vol. 12, 1978, pp. 111-132.
- Walker, William. O. Jr. « Jesus and the Tax Collectors. » *Journal of Biblical Literature*, Vol. 97, No. 2, January 1978, pp. 221-238.
- Walzer, Micheal. *In God's Shadow: Politics in the Hebrew Bible*, New Haven & London: Yale University Press, 2012.
- Wright, Nicholas T. Paul. "Arabia, and Elijah (Galatians 1:17)." *Journal of Biblical Literature*, Vol. 115, No. 4, Winter, 1996, pp. 683-692.
- Yadin, Y. « Expedition D. » *Israel Exploration Journal*, Vol. 11, No. 1/2, 1960 (1961), pp. 36-52.
- Yadin, Yigael and Brown, S. Kent. «Masada: Herod's Fortress and the Zealots' Last Stand: A BYU Forum Address. » *Brigham Young University Studies*, Vol. 36, No. 3, 1996, pp. 15-32.
- Yishai, Yael. « Challenge Groups in Israeli Politics. » *Middle East Journal*, Vol. 35, No. 4, Autumn, 1981, pp. 544-556.
- Yücesoy, Hayrettin. *Messianic Beliefs and Imperial Politics in Medieval Islam: The Abbasid Caliphate in The Early Ninth Century*. Columbia, South of Carolina: the University of South of Carolina, 2009.
- Zias, Joseph and Gorski, Azriel. «Capturing a Beautiful Woman at Masada. » *Near Eastern Archaeology*, Vol. 69, No. 1, March 2006, pp. 45-48.

אלמאליח, אנרהים ורביעי , כרך. מלון חדש ושלם: עברי – צרפתי. Tel-Aviv: Yavneh, 1955.

and Ben-Zion Luria. "Did Jews Make Pilgrimages to Jerusalem and Did They Settle There after the Bar Kokhba Rebellion?" / "האם עלו יהודים לירושלים לאחר מרד בר-כוכבא וישבו" / *Beit Mikra: Journal for the Study of the Bible and Its World* 1974, no. 1, pp. 309–336.

שטרן, מנחם. "הקנאים והסיקריקים: ענפים של תנועת חרות לאומית." *Cathedra: For the History of Eretz Israel and Its Yishuv*, no. 1, 1976, pp. 52–55.

المصادر والمراجع في الشبكة العنكبوتية

- “About Reza Aslan.” *About*. n.d. Retrieved 12 December 2020, from <http://rezaaslan.com/about/>
- “Alan Appelbaum: Yale University”. *Curriculum Vitae*. n.d. Retrieved 10 December 2020, from <https://yale.academia.edu/ALANAPPELBAUM/CurriculumVitae>
- “Albert I. Baumgarten: Bar-Ilan University”. *Curriculum Vitae*. n.d. Retrieved 10 December 2020, from <https://biu.academia.edu/AlbertBaumgarten/CurriculumVitae>
- “Christian Identity”. *Anti-Defamation League*. n.d. Retrieved 21 December 2020, from <https://www.adl.org/resources/backgrounders/christian-identity>
- “David Donnini Home Page.” n.d. Retrieved 07 December 2020, from <http://www.donninidavid.it/>
- “David Goodblatt.” (n.d.). Retrieved 02 December 2020, from <https://history.ucsd.edu/people/faculty/goodblatt>.
- “Desmon Seward: Official Website – Personal Website”. (n.d.). Retrieved 08 December 2020, from <http://www.desmondseward.com>
- “Donald Senior”. *Catholic Theological Union*. 27 February 2020. Retrieved 19 December 2020, from <https://ctu.edu/faculty/donald-senior/>
- “Eric D. Huntsman”. *Brigham Young University: Religious Education*. n.d. Retrieved 13 December 2020, from https://religion.byu.edu/eric_huntsman
- “Gamaliel I.” *Jewish Encyclopedia*. n.d. Retrieved 05 December 2020, from <http://www.jewishencyclopedia.com/articles/6494-gamaliel-i>
- “George Wesley Buchanan”. *Bas Library*. 23 September 2015. Retrieved 19 December 2020, from <https://www.baslibrary.org/authors/george-wesley-buchanan>

- “Harari Proposal Passes, Ending Prospects for an Israeli Constitution.” *Center for Israel Education*. 13 June 2019. Retrieved 26 December 2020, from <https://israeled.org/harari-proposal-constitution/>
- “In Memoriam, Dr. Louis Feldman.” Accessed 27 March 2017. Retrieved 02 December 2020, from <http://blogs.yu.edu/news/in-memoriam-dr-louis-feldman/>
- “John Howard Yoder”. *Bibliothèque nationale de France*. (n.d.). Retrieved 19 December 2020, from https://data.bnf.fr/en/12174168/john_howard_yoder/
- “Los Angeles Valley College Philosophy / Economics / Jewish Studies.” Zev Garber, retrieved 16 March 2020, from lavc.edu/Philosophy/Zev_Garber.html.
- “Rashi (Solomon Bar Isaac)”. *Jewish Encyclopedia*. n.d. Retrieved 05 December 2020 from <http://www.jewishencyclopedia.com/articles/13862-solomon-b-isaac-rashi>
- “S. Kent Brown”. *Brigham Young University: Religious Education*. n.d. Retrieved 13 December 2020, from https://religion.byu.edu/kent_brown
- “Saint Epiphanius of Constantia”. (n.d.). *Encyclopædia Britannica*. Retrieved 20 December 2020, from <https://www.britannica.com/biography/Saint-Epiphanius-of-Constantia>
- “Shimon Applebaum (1911-2008).” - *Auteur - Ressources de la Bibliothèque nationale de France*. n.d. Retrieved 09 December 2020, from https://data.bnf.fr/fr/12021738/shimon_applebaum
- “Terence Donaldson.” Accessed 02 December 1970. Retrieved 02 December 2020, from <https://www.wycliffecollege.ca/users/terry-donaldson>

- Adsole, Atenebris. 25 December 2002. *Babylonian Talmud: Tractate Gittin*. Retrieved 20 December 2020 from http://www.come-and-hear.com/gittin/gittin_56.html
- Bureau of Coordinator for Counterterrorism. "Foreign Terrorist Organizations." *U.S. Department of State*, 13 May 2009. Retrieved 27 December 2020, from <https://www.state.gov/foreign-terrorist-organizations/>
- David M. Rhoads Professor of New Testament, Emeritus. n.d. Retrieved 01 December, 2020, from <https://www.lstc.edu/academics/faculty/david-rhoads>.
- Department of Religion. "Nicole Kelley." *Florida State University*. n.d. Retrieved 23 December 2020, from <https://religion.fsu.edu/person/nicole-kelley>
- Gaster, Theodor H., Greenberg, Moshe et al. «Judaism. » *Encyclopædia Britannica*. 24 août 2018. Retrived 19 janvier 2019, from <https://britannica.com/topic/Judaism>
- Gordon, L.. "SMITH, Morton". *All Scholar: Rutgers School of Art and Sciences*. n.d. Retrieved 09 December 2020, from <https://dbcs.rutgers.edu/all-scholars/9131-smith-morton>
- Jackson, Wayne. "The Enigmatic William Barclay". *Christian Courier*. n.d. Retrieved 12 December 2020, from <https://www.christiancourier.com/articles/681-the-enigmatic-william-barclay>
- JNi. Media. "Scholar Jacob Neusner Dead at 84". *Jewish Press*. 09, October 2016. Retrieved 21 December 2020, from <https://www.jewishpress.com/news/breaking-news/scholar-jacob-neusner-dead-at-84/2016/10/09>

Klapper, Daniel. "Trump: US Will Designate Antifa As Terrorist Organization". *Jurist*, 2 June 2020. Retrieved 27 December 2020, from <https://www.jurist.org/news/2020/06/trump-us-will-designate-antifa-as-terrorist-organization>

"Middle East | Israel's Election Process Explained." *BBC News*, BBC, 23 January 2003, Retrieved 07 February 2020, from [news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/2683259.stm](https://www.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/2683259.stm).

Murphy, Brian. "Bernard Lewis, eminent historian of the Middle East, dies at 101". *Washington Post*. 20 May 2018. Retrieved 25 December 2020, from [shorturl.at/lnIQZ](https://www.shorturl.at/lnIQZ)

Offord, D. "Narodnaya Volya After 1 March 1881 (Chapter 2)." *The Russian Revolutionary Movement in the 1880s*. n.d. Retrieved 15 December 2020, from [shorturl.at/jkvT7](https://www.shorturl.at/jkvT7)

Provisional handlist of manuscripts in the Roth Collection. Handlist 164. Leeds University Library.

بدور، جمال. "الإرهاب." *الموسوعة السياسية*. 1 دجنبر 2020. مسترجع بتاريخ 28 يناير 2021 من [shorturl.at/prvE8](https://www.shorturl.at/prvE8) العنوان:

"بيان هيئة كبار العلماء السعودية: جدل بعد وصمه 'الإخوان المسلمين' بالإرهاب والجماعة تزد." *BBC News عربي*. مسترجع بتاريخ 28 أكتوبر 2020 من العنوان:

www.bbc.com/arabic/trending-54936598

« "دابق" مجلة داعش.. اسم قرية سورية وردت في صحيح مسلم تشهد حرب "آخر الزمان" التي يقاتل فيها داعش 80 راية قبل "فتح" إسطنبول ونزول المسيح. » *CNN بالعربية*. 14 أكتوبر 2014. مسترجع بتاريخ 26 دجنبر 2020 من العنوان:

<https://arabic.cnn.com/middleeast/2014/10/14/dabiq-syria-isis-islamic>

"زياد منى." *معرفة*. د.ت. مسترجع بتاريخ 27 دجنبر 2020 من [shorturl.at/lvzH8](https://www.shorturl.at/lvzH8)

"فراس السواح" n.d. Retrieved 17 December 2020, from <https://web.archive.org/web/20160814231547/http://arab.bfsu.edu.cn/index.php/Index/article/id/266>

« على ماذا يستند السنة والشيعية في معركة "القيامة" بسوريا؟ » أرشيف CNN بالعربية. 13 أكتوبر 2013. مسترجع بتاريخ 26 دجنبر 2020 من العنوان

http://archive.arabic.cnn.com/2013/middle_east/9/25/syria.Religious-clashes/

فرغلي، ماهر. "داعش من التمكين إلى الانتشار ... البناء الثالث." *Trends Research and Advisory*, 15 دجنبر 2020، مسترجع بتاريخ 07 فبراير 2021 من العنوان: [.shorturl.at/ansRT](https://shorturl.at/ansRT)

"ما هي جماعة "ANTIFA" التي تحملها إدارة ترامب مسؤولية العنف بالمظاهرات." *CNN بالعربية*. 3 يونيو 2020، مسترجع بتاريخ 27 دجنبر 2020 من العنوان:

<https://arabic.cnn.com/world/video/2020/06/03/v89883-who-antifa>

"ما هي المنظمات الإرهابية في الشرق الأوسط حسب التصنيف الأمريكي؟" *BBC News عربي*. مسترجع بتاريخ 28 أكتوبر 2020 من العنوان:

www.bbc.com/arabic/middleeast-54694904

« "وكالة أعماق" .. من صفحة 'فيسبوك' إلى الذراع الإعلامي الأقوى لتنظيم داعش. » الأمانة العامة للمؤتمر العالمي لمواجهة التيارات المتطرفة والتكفيرية. 14 دجنبر 2017. مسترجع بتاريخ 26 دجنبر 2020 من العنوان [.shorturl.at/uFMW3](https://shorturl.at/uFMW3)

فهرس القرآن الكريم

المضون بحسب ترتيب المصحف	السورة وآياتها	الصفحة
... وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾	سورة البقرة، الآية: 238	24
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ...﴾	سورة آل عمران، الآية: 78	279
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ...﴾	سورة النساء، الآية: 15	283
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ...﴾	سورة الأنعام، الآية: 89	280
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ...﴾	سورة الأنعام، الآية: 159	283
﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ...﴾	سورة الأنبياء، الآية: 96	282
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ...﴾	سورة الحج، الآية: 45	288
﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ ...﴾	سورة الزخرف، الآية: 61	283

فهرس الكتاب المقدس

المضمون بحسب ترتيب الكتاب المقدس	السفر وأرقامه	الصفحات
[وَالْأَرْضُ لَا تَبَاعُ بَتَّةً، لَأَنَّ لِي الْأَرْضَ ...	اللاويين 23:25	213
[يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ ...	العدد 17:24	174
[ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «ضَايِقُوا الْمِدْيَانِيِّينَ وَاضْرِبُوهُمْ ...	العدد 18-1:25	50
[يُبَارِكُكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ كَمَا قَالَ لَكَ ...	التثنية 6:15	174
[يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي ...	التثنية 18:15-19	237
[أَنَا بَقِيتُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ وَحْدِي ...	الملوك الأول 18:22-24	50
[لِمَاذَا ارْتَجَبَتِ الْأُمَمُ، وَتَفَكَّرَتِ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ ...	مزمور 2:8-1	240
[أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَالِي كُلُّكُمْ ...	مزمور 6:7-82	72
[فَوَقَفَ فِينَحَاسُ وَدَانَ، فَاَمْتَنَعَ الْوَبَاءُ ...	مزمور 30:31-106	50
[أَحْلِفُكَ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِالْظُّبَاءِ وَبِأَيَّالِ الْحُقُولِ ...	نشيد الأنشاد 2:7	247
[فَقَدْ جَعَلْتُكَ نُورًا لِلْأُمَمِ لِتَكُونَ خَلَاصِي إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ	اشعيا 49:5-7	253

217	إشعياء 12:53	[وَأُخْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ ...
284 ؛ 243	اشعياء 25-22:65	[لَا يَبْنُونَ وَآخِرُ يَسْكُنُ ...
253 ؛ 239	دانيال 14-13:7	[سُلْطَانُهُ سُلْطَانُ أَبَدِيٍّ مَا لَنْ يَزُولَ ...
239	دانيال 25:9	[فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ
259	دانيال 14:11	[وَبَنُوا الْعُتَاةَ مِنْ شَعْبِكَ يَقُومُونَ لِإِثْبَاتِ الرُّؤْيَا ...
244	زكرياء 12-8:9	[وَأَحْلُ حَوْلَ بَيْتِي بِسَبَبِ الْجَيْشِ الذَّاهِبِ وَالْآئِبِ ...
28	المكابيون الأول 27-24:2	[وَعَارَ لِلشَّرِيعَةِ كَمَا فَعَلَ فِنْحَاسُ ...
65	المكابيون الأول 21:9	[كَيْفَ سَقَطَ الْبَطْلُ مُخْلِصُ إِسْرَائِيلَ؟ ...
193	متى 19-17:5	[لَا تَطْنُونَا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ
219	متى 38-21:10	[وَسَيَسْلِمُ الْأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ ...
217	متى 34:10	[لَا تَطْنُونَا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ ...
218	متى 35:10	[فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا ...

224	متى 9:7-11	[وَبَيْنَمَا ذَهَبَ هَذَا ابْنُ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يوحنا ...
227	متى 12:11	[وَمِنْ أَيَّامِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الْآنَ مَلَكَوْتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ ...
225	متى 19:11	[جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ...
193	متى 22:34-40	[تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ ...
217	متى 26:52	[لَأنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السِّيفَ بِالسِّيفِ يَهْلِكُونَ ...
255	متى 27:42	[خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا
221	مرقس 11:17	[أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الْأُمَمِ؟ ...
205 : 233	مرقس 13:15	[إِصْلِبْهُ ...
192	لوقا 2:49	[فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِي؟ ...
193	لوقا 5:13-14	[امْضِ وَأَرِنَا نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ ...
194	لوقا 6:1-5	[لَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ: «لِمَاذَا تَفْعَلُونَ مَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السُّبُوتِ؟ ...
195	لوقا 6:9	[أَسْأَلُكُمْ شَيْئًا: هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ ...

96	لوقا 13: 1-3	[وَكَانَ حَاضِرًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ ...
225	لوقا 13 : 6-9	[لَا يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ ...
216	لوقا 13: 31-35	[امْضُوا وَقُولُوا لِهَذَا الثَّغْلَبِ: هَا أَنَا أُخْرِجُ شَيَاطِينَ ...
220	لوقا 16: 2	[ارْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هُنَا! لَا تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ ...
216	لوقا 22: 36	[فَقَالَ لَهُمْ: «لَكِنَّ الْآنَ، مَنْ لَهُ كَيْسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِمَزُودٌ كَذَلِكَ ...
215	لوقا 23: 5	[إِنَّهُ يَهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يَعْلَمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَةِ ... إِنْجِيلِ
255	لوقا 24: 13-21	[يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا ...
255	لوقا 24: 25-27	[مَا أَغْبَاكُمَا وَأَبْطَاكُمَا عَنِ الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا قَالَهُ الْأَنْبِيَاءُ! ...
225	يوحنا 1: 47-51	[قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلُبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التَّيْنَةِ، رَأَيْتُكَ ...
193	يوحنا 2: 8-6	[مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ ...

207	يوحنا 12:13	[أَوْصَنَّا! مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ ...]
94	أعمال الرسل 5:37	[هَلَكَ يَهُوذَا وَتَشَتَّتَ أَتْبَاعُهُ ...]

فهرس أعلام الشخصيات

ألبيرت باومغارتن 126	أبّاسيكارا 228
ألبينوس 110, 111	أبيون 53, 54, 166, 167, 228
ألعازر بن جابر 32, 37, 40, 53, 56,	أثرونجيس 93
117, 136, 156, 157, 158, 161, 163,	أديث سمالوود 72
180, 261, 274	أرخيلاوس 90, 91, 93
ألعازر بن حنانيا 31, 55, 75, 76, 111,	أرسطو 263
118, 122, 139, 159, 184	أرسطوبولس 66, 67, 85, 86, 87,
ألعازر بن دانوس 102, 103, 121	إريك هونتسمان 161
ألعازر بن سمعان 30, 33, 37, 42, 44,	الإسكندر المكابي 66, 85
45, 55, 127, 132, 133, 135, 139, 141,	إسكندرة 66
142, 155	أغابوس 98
ألعازر بن شمواع 176	أغربيا الأول 99, 100, 197, 203
ألكساندر تيبيروس 31, 101,	أغربيا الثاني 103, 108, 109, 117, 119,
انتغونوس 67, 86, 87	120, 123, 130, 131, 166
أنتيبترس 66, 67, 85, 86	أفلاطون 185, 262, 263
أنتيخوس الرابع 61, 62, 63, 64, 68	آلان ألباوم 135
أوسكال كولمان 215, 216, 217	ألبيرت إهرمان 229

70, 123, 131, 137, 138, 143, تيطس	أوغسطس 90, 91, 93
144, 145, 146, 147, 148, 149, 150,	أوليفر فينارد 232
151, 154, 158, 166, 167	أوليفر ماكاريان 232
ثو اداس 100, 101	أيلاري من بوتيه 218
ثيودور ساسون 290	باراباس 209, 210, 234
جاستن يوكبونج 211, 212	برنارد لويس 289
جاكوب نويسنر 242	بشار الأسد 292
جاليكولا 99, 100	أبو بكر البغدادي 292, 293, 295, 296
جورج بوكانان 221	بلعام بن بعور 49, 52
جورج فلويد 188	بولس 28, 35, 58, 59, 60, 185, 186
جوناثان 104, 105	198, 202, 211, 217, 257
جيمس طابور 226	بومباي 66, 67, 85, 86
الحارث بن سريج 287	بيترون 100
ابن حبيب 288, 289	بيلاطس 95, 96, 97, 99, 160, 195
حزقيا 31, 32, 40, 67, 83, 84, 85, 87,	205, 209
92, 94, 95, 117, 208, 276, 298	تراجان 170, 171
حنانيا بن حنانيا 110, 121, 132, 133	توربو 170
حنانيا بن ندبائي 56, 111, 112, 119	توماس رايت 186
دفيد دونيني 82, 92, 226	تيرانسي دونالدسون 58

دوميسان 137	زيف جاربير 250
دونالد ترامب 188	سابينيوس 91
دونالد سينيور 220	الساحر المصري 40, 54, 100, 186, 259
ديسمون سيوارد 111, 130, 142, 179	سلومة 89, 90, 91
ديفد جوتبلات 56	أبوسليمان العتيبي 295
ديفد رودز 42	سمعان بن يهوذا 31, 101,
ديوكاسيوس 173, 177	سمعان الغيور 28, 35, 205, 226
الربي شمائي 74, 75, 136, 185, 202	سمعان المكابي 65, 180
الربي صمويل 183	سمعان برجوريا 31, 44, 45, 46, 77,
الربي غملائيل 77, 133	112, 125, 126, 135, 136, 137, 139,
الربي هلبو 250	141, 142, 144, 146, 148, 153, 154
الربي هليل 75, 140, 196, 202, 250	سمعان بركوبا 84, 152, 171, 173,
الربي يهوذا الناسي 69	174, 175, 176, 177, 178, 179, 180,
رضا أصلان 153, 214, 223, 256	203, 222, 223, 257, 273, 276, 299
ريتشارد هورسلاي 44, 46, 51, 80, 126	سمعان بطرس 186, 187, 195, 218,
زكريا بن أمفيقالوس 115	226, 227, 228, 229, 230, 233, 306
زكريا بن أنفيكانوس 33, 139	سمعان بطرس بارجونا، 226, 227,
زكريا بن باريس 134	سولبيسيوس سيفيروس 148
زياد مني 23	

فسبازيانوس, 121, 122, 123, 124, 127,	سولومون تسيتلين, 12, 38, 46, 81,
128, 129, 130, 131, 132, 134, 136,	118
137, 138, 140, 166, 239, 244, 275	سيسل روث 222
فلوروس 111, 113, 115, 116, 121	سيلفا 158
فنجاس, 27, 28, 36, 37, 48, 49, 50,	شبتاي تسيقي 268, 269
51, 52, 58, 59, 64, 73, 183, 184, 191	شوبرت سيرو 160, 200
فواكس جاكسون 42, 46	شيمون أبيلبوم 13, 40, 57
فيلكس, 101, 103, 104, 105, 106, 108,	صادوق الفريسي 55, 56, 72, 93, 199
121	صمويل براندون 14, 212, 220, 222
فيلو بن أنتيپطرس 67	صمويل دكاي 232
فيلون السكندري 238	ابن عباس 279, 281
فيليبس 91	عقيبا بن يوسف 174, 176
كاستيوس جالوس, 109, 112, 119,	أبو عمر البغدادي 292
120, 121, 125	فادوس 101
ابن كثير 287	فاروس 92
كريستوفر ميزانج, 36, 39, 40, 41, 49,	فاستوس 108, 109, 110
74, 76, 83	فراس السواح 208, 209, 210,
كلايطون كروي 219, 220	
كلوديوس 103	

كليوباس (قيلوفا) 169, 226	محمد الرابع 269
كمانوس 101, 102, 103	محمود سامي العقاد 194, 254
كوبونيوس 93	مروان بن محمد 287
كورنيليوس طاسيتوس 155	مريم أم عيسى 110, 169, 226, 280
كوسماس إنديكوبليوتس 220	282, 283, 284
كويتوس 171	معاوية بن أبي سفيان 286
كيرسكوب ليك 229	مناحم 32, 37, 38, 41, 42, 52, 76
كيرينيوس 31, 72, 93, 117, 203	112, 117, 118, 157, 208
كينت براون 157	مورتون سميث 13, 41, 248
كينت جاكسون 46, 111	موسى بن ميمون 79
لوبوس 170	ناثان 269
لوكواس 169, 170	النبي إيليا 36, 50, 51, 52, 172, 173
لويس رابينوفيتس 160	177, 199
لويس فلدمان 51	النبي داود 48, 82, 145, 150, 153, 157
مارتن هينجل 12, 37, 38, 41, 51, 55	169, 174, 194, 208, 234, 236, 242,
80, 81, 217, 246	245, 253, 260
مارك بورغ 36	النبي سليمان بن داود 150, 177, 210, 236
مائير كهانا 269, 270, 271, 273, 274	النبي عيسى جل صفحات البحث
متتيا المكابي 28, 60, 63, 64, 65, 88	

هيچيسبوس 35	النبى موسى 49, 50, 62, 65, 69, 70, 77,
هيركانوس الثانى 66, 67, 85, 86, 87	78, 79, 99, 145, 183, 184, 185, 192,
هيرود أنتيباس 90, 91, 132, 202, 216	193, 235, 241, 255
هيرودس الكبير 31, 33, 52, 67, 73, 82,	النبى هارون 27, 49, 72, 77, 236
86, 87, 89, 88, 91, 92, 95, 99, 106,	النبى يعقوب 231
107, 114, 119, 140, 166, 175, 258	نكولاس الدمشقي 166
هيروديا 175	نيرون 107, 108, 111, 115, 121, 122,
هيوجو مانتل 172, 177	129, 137, 138, 156, 186
الوليد بن يزيد 286	نيكانور 145
ويليام باركلي 195	نيكول كيلى 262
يعقوب (ابن يهوذا) 31, 101,	هادريان 172, 173, 174, 176, 177,
يعقوب (أسرة عيسى) 98, 110, 186,	187
226, 230, 231	هالة العوري 165
يهوذا الاسخريوطي 205, 223, 226,	هتلر 270
229	هركانوس 65, 66, 67, 85, 135, 180
يهوذا الجليلي 13, 25, 26, 31, 39, 41,	أبوهريرة 281, 284
43, 52, 55, 57, 69, 70, 72, 81, 82, 85,	همام الشمري 295
93, 94, 95, 96, 101, 112, 113, 117,	هوارد يودر 220
	هيبوليتوس 35, 38, 39

يوحنا بن زكاي, 69, 74, 80, 140, 141,	123, 179, 199, 203, 207, 247, 259,
246, 247, 266, 275, 277	276
يوسابيوس القيصري, 16, 169, 170,	يهوذا ابن حزقيا, 31, 32, 40, 85, 87,
171, 172, 179, 222, 223	92, 95, 298
يوستينوس, 35, 222	يهوذا بن صاريقا 88
يوسف النجار, 169, 226	يهوذا بن متتيا المكابي, 64, 65
يوسيفوس فلافيوس جل صفحات	يهوذا بن يهوذا 144
الكتاب	يوآزار بن بويتس, 93, 94, 120
يوليوس سيفيروس, 176	يوحنا الأسيني, 123, 186
يوناثان المكابي, 65	يوحنا كوشالا, 46, 126, 130, 131, 133,
	136, 137, 139, 141, 142, 146, 147,
	149, 154, 155

فهرس أعلام الأماكن

بيسان 118	أدوم, 65, 85, 91, 121, 122, 125
بيلا 168, 222	136
تمنة 186	الأردن 90, 91, 100, 101, 168
جبعون 120, 121	إسطنبول 267, 293, 294, 318
جبل الزيتون 106, 143, 149	الإسكندرية 118, 123, 137, 163
جدارة 118, 123, 124	164, 169, 170
جرزيم 99, 125	أشدود 91
جريس 124	الأعماق 281, 293
جسثيماني 226	أنطاكيا 123, 158
الجلجثة 144	أنطونيا 102, 108, 109, 117, 119
حورون 121	148, 149, 150
دابقي 281, 294, 295	أورشليم (أو القدس) جل صفحات
روما 137, 138, 155	الكتاب
السامرة 65, 228	إديسا 169
سبسطية 86	بيت زور 180
سميرنا 268, 269	برقة 169
سيناء 78	بيتار 177
	بيريا 91

كوشالا 122, 131, 133	صفورية 25, 92, 93, 123, 124,
اللدة 186	130, 231
المسعدة 13, 32, 40, 41, 76, 112,	طبرية 91, 123, 279
117, 118, 136, 139, 152, 156,	عسقلان 118, 123
157, 159, 161, 162, 163, 252,	العقرب 125, 143
261, 274, 275, 276, 297	عوفل 118, 144, 156
موسيا 156	الفريديس 175
نابلس 65	قدرون 144
الناصره 197, 225	القسطنطينية 281, 286, 295
يافا 120, 123, 125, 144, 186	القلط 175
يمنية 74, 91, 140, 202, 275	القيروان 163, 164, 170
يودفات 123, 124, 125, 127, 129,	قيصرية 86, 95, 106, 118, 122
261	كفرناحوم 279
	كوباني 295

فهرس المحتوى

4	إهداء
5	شكر وتقدير
6	مقدمة
9	موضوع البحث
11	أهمية الموضوع
12	دوافع اختيار الموضوع
13	الدراسات السابقة
16	إشكالية الموضوع
17	منهج البحث
17	المنهج المتبع
20	التصميم
21	الصعوبات
22	الباب الأول:
22	تعريف فرقة الغيورين (الزيلوت) وبيان جذورها الفكرية
24	الفصل الأول:
24	تعريف فرقة الغيورين (الزيلوت)
25	المبحث الأول: تنقيب لغوي ومصطلحي لفهم سياق تسمية الزيلوت
33	المبحث الثاني: مفهوم فرقة الغيورين
38	المبحث الثالث: التمييز بين الزيلوت والسكارين والفلسفة الرابعة
51	الفصل الثاني:
51	الجذور الفكرية للزيلوت
52	المبحث الأول: الجذور الكتابية للغيرة ومراحل تطورها
64	المبحث الثاني: الجذور المكابية للفكر الزيلوتي
75	المبحث الثالث: فلسفة الغيورين

87.....	خلاصة.
88.....	الباب الثاني:
88.....	تاريخ الغيورين قطاع الطرق.
90	الفصل الأول:
90	الاضطرابات الأولى بفلسطين في القرن الميلادي الأول
91	المبحث الأول: تمرد أسرة حزقيا وبروز الفلسفة الرابعة بقيادة يهوذا الجليلي.
101	المبحث الثاني: بروز الحركة المسيحانية والانتفاضات الشعبية.
110	المبحث الثالث: بروز تنظيم رجال الخناجر السكاريين.
121	الفصل الثاني:
121	اندلاع الثورة اليهودية الرومانية (66-70م)
122	المبحث الأول: الحكومة المؤقتة بقيادة الكهنة وانطلاق الحرب ضد الرومان.
133	المبحث الثاني: بروز فرقة الزيلوت حراس الحرية وخيانة يوسفوس.
146	المبحث الثالث: حرب الغيورين الأهلية التي أفضلت الثورة.
159	الفصل الثالث:
159	تبعات الحرب اليهودية الرومانية (71م-135م) وعلاقة الثورة اليهودية الثانية بالأولى
160	المبحث الأول: عودة الهوس الإسخاطولوجي وحصار المسعدة.
171	المبحث الثاني: انتشار الفكر الغيوري في شمال أفريقيا وانفجار ثورات جديدة.
179 ...	المبحث الثالث: ثورة بركوبا (132-135م) وعلاقتها بثورة اليهود الأولى ضد الرومان.
188.....	خلاصة.
189.....	الباب الثالث:
189.....	علاقة عيسى ﷺ بحراك الغيورين
191	الفصل الأول:
191	غيرة عيسى ﷺ وعلاقتها بحراك الغيورين
192	المبحث الأول: الغيورية من الاعتقاد الديني إلى الوصم الاجتماعي.
202	المبحث الثاني: المعتقد اليهودي لعيسى ﷺ وعلاقته بالحراك الغيوري.

210	المبحث الثالث: الغيرة وعلاقة الفريسيين بالسيد المسيح
218	الفصل الثاني:
218	حدود العلاقة بين عيسى والغيورين من خلال رسالته
219	المبحث الأول: المسيح وإشكالية الملك ودفع الجزية
227	المبحث الثاني: دعوة عيسى ﷺ للسلم بخلاف الغيورين
236	المبحث الثالث: حواريو عيسى وعلاقتهم بالغيورين
245	خلاصة
246	الباب الرابع:
246	من المسيحية إلى الهوس الإسخاطولوجي
248	الفصل الأول:
248	المسيحية ومراحل تطورها منذ السبي إلى ما بعد خراب أورشليم
249	المبحث الأول: جذور المسيحية في الدين اليهودي
254	المبحث الثاني: المسيحية عند يهود بعد السبي
258	المبحث الثالث: المسيحية لما بعد خراب أورشليم
265	الفصل الثاني:
265	الهوس الإسخاطولوجي وأثره على اليهود منذ عهد عيسى ﷺ إلى العصر الحالي (نماذج مختارة) ...
266	المبحث الأول: الهوس الإسخاطولوجي في عهد عيسى ﷺ وتلاميذه
271	المبحث الثاني: الهوس الإسخاطولوجي والحراك الثوري اليهودي
279	المبحث الثالث: الهوس الإسخاطولوجي في الفكر اليهودي بين الغيورين القدماء والجدد
292	الفصل الثالث:
292	المسيحية عند المسلمين وأثرها (نماذج مختارة)
293	المبحث الأول: الإشارات المسيحية في الدين الإسلامي
298	المبحث الثاني: الهوس الإسخاطولوجي عند المسلمين في العصور الوسطى
305	المبحث الثالث: الهوس الإسخاطولوجي عند المسلمين في الزمن المعاصر (داعش أمودجا) ..
311	خلاصة

313	 خاتمة
317	 فهرس المصادر والمراجع
317	 المصادر والمراجع العربية
324	 المصادر والمراجع باللغات الأجنبية
334	 المصادر والمراجع في الشبكة العنكبوتية
339	 فهرس القرآن الكريم
340	 فهرس الكتاب المقدس
345	 فهرس أعلام الشخصيات
352	 فهرس أعلام الأماكن